موسوعة الحياة الرهبنة السليمة
الإصدار السادس ٢٠٢٤م
الباب الثاني: الرهبنة وفضائلها
إعداد الراهب: أبانوب المحرقي

الإرادة ـ الوصايا
الأعمال ـ اقتناء الفضائل

{١} مار إسحق السرياني	{٢} القديس دوروثاؤس	{٣} القديس يوحنا السلمي
{٤} الأنبا إشعياء الإسقيطي	{٥} الأنبا برصنوفيوس	{٦} القديس ثؤفان الناسك
{٧} القديس مكاريوس	{٨} قديسين أخرون	{٩} الأنبا أنطونيوس
{١٠} القديس غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص		{١١} كتاب فردوس الآباء
{١٢} الأنبا أرسانيوس	{١٣} مار أوغريس	{١٤} القديس أوغسطينوس
{١٥} ق: باسيليوس الكبير	{١٦} القديس يوحنا كاسيان	{١٧} مار إفرام السرياني
{١٨} كتاب الحرب اللامنظورة	{١٩} القديسة الأم سنكليتيكي	{٢٠} ق: غريغوريوس السينائي
{٢١} سمعان اللاهوتي الجديد	{٢٢} كاليستوس وأغناطيوس	{٢٣} القديس مرقس الناسك
{٢٤} ثيئودورس الناسك العظيم	{٢٥} ق: مكسيموس المعترف	{٢٦} الأنبا موسي الأسود
{٢٧} كتاب بستان الرهبان	{٢٨} أغناطيوس برنانتشانينوف	{٢٩} فيلوكالية الأباء الزاهدين

{١}
مار إسحق السرياني

📖 ١ـ الذي يخاف من الخطية لا يخاف من الشيطان.
📖 والذي يتوق إلى اقتناء عطية الله، لن يرهب التجارب.
📖 والذي يؤمن بثبات أن مشيئة الله الخالق تضبط الخليقة بأسرها، لن يزعجه شيء.

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر التاسع ـ صفحة ٧١



📖 قوة الإرادة أو ضعفها، تُختبر بعمل الشرور، أو الصلاح

📖 ليس في الأمور العارضة، بل في الأعمال، التي لها صفة المداومة، فهي التي تُختبر فيها حرية الإرادة

📖 وكما أن الذين آمنوا بالمسيح عندما ظهر في العالم هم أولاً أخذوا طباً حقيقياً لأنفسهم وأجسادهم، هكذا أيضاً الذين يحفظون وصاياه، عندما يظهر في ذلك العالم، ينالون مجداً وكرامة، وبقياس ما تنظر الطفل الطبيعي، هكذا بالمثل أيضاً انظر في الطفل الروحاني، فمثلما هو ساكت لسان الطفل الذي لم يعرف الكلام بعد، ولسانه موضوع في فمه وليس له حركة الكلمة، هكذا أيضاً لسان العقل هو صامت من كل كلام ومن كل اهتمام، وهو موضوع ومعدّ فقط أن يتعلم تلغلغ وهجاية الكلام الروحاني.

📖 المراتب التي ينجح فيها الإنسان ثلاث: الأولى مرتبة المبتدئين، والثانية المتوسطة، والثالثة الكاملين، أما الذي في المرتبة الأولى فإنه وإن كان عقله يميل إلى الخير، إلا أن فكره يتحرك في الآلام، أما المرتبة الثانية فإنها متوسطة ما بين التألم والروحانية، والأفكار التي من اليمين والتي من اليسار تتحرك فيها بالسواء.

📖 والذي هو في هذه المنزلة لا يهدأ من أن يصدر عنه ظلامٌ ونورٌ على السواء كما قيل، فإذا توقف قليلاً عن مواصلة هذيذ الكتب الإلهية، التي بتأملها يلتهب باستنارة الحق {الذي فيها} حسب قوته، وإن توقف كذلك عن التحفظ من الخارج الذي منه يكون السهر الداخلي والعمل الخفي، فإنه عتيد أن يُجتذب إلى الآلام، وإن هو غذَّى حرارته الطبيعية بما قد قلتُ، ولم يكفَّ عن البحث والتفتيش والطلب والاشتياق إليها {الأمور الإلهية} من بعيد، فإنه وإن لم يعاينها، إلا أنه مما تُلوِّح به {تظهره}.

📖 قراءة الكتب الإلهية يغذي أفكاره ويجمعها، لئلا تميل إلى ناحية اليسار، فتقبل زرعاً شيطانياً بتخيلات من الشياطين بشبه الحق،

ويحفظ نفسه بشوق، ويطلب من الله تعالى بصلوات حزينة وطول اصطبار، فعندما يشاء الله أن يجود عليه بملتمسه، فإنه يفتح الباب قدامه، ولا سيما لأجل تواضعه، لأن الأسرار تنكشف للمتواضعين قلباً، وإن هو مات في هذا الأمل، ولم يعاين تلك الأرض عن قرب، فعلى ما أظن أن ميراثه يكون مع الأبرار القدماء الذين ترجوا أن يدركوا الكمال ولم يعاينوه، حسب قول الرسول إنهم بالرجاء عملوا ما عملوه كل أيام حياتهم، ورقدوا.

🕮 لأنه ماذا عسانا أن نقول إن لم يلحق إنسان أن يدخل إلى أرض الموعد التي هي رتبة الكمال، أي أنه لم يدرك الحق إدراكاً واضحاً حسب مقدار كفاءة الطبيعة؟ أتراه من أجل ذلك يُعاق عن هذا، ويمكث في المنزلة الأدنى كالذي تميل كل عزائمه إلى جهة اليسار؟ أو لأجل أنه لم يحصِّل كل الحق، العله يثبت في هجونه {مذلة} المرتبة السفلى والدرجة الحطيطة التي لا تعلم هذه الأمور ولا تشتهيها؟

🕮 أو هل يليق أن يعتلي إلى المرتبة الوسطى التي ذكرتها؟ لأنه إن كان لم يشاهدها ولا كما في مرآة، إلا أنه ظل يترجاها من بُعد، وبهذا الرجاء قد انضمَّ إلى مصاف آبائه، وإن لم يكن قد أُهِّل من ههنا للنعمة الكاملة، إلا أنه لأجل هذيذه الدائم في {أسرارها}، وترديده إياها في عقله، قد شغف بها، واستطاع طيلة أيام حياته أن يقطع الأفكار الخبيثة، وإنه ليخرج من هذا العالم وقلبه ملآن من هذا الرجاء.

🕮 فإذن كل ذي اتضاع هو بطبيعته على أحسن نظام، لأن كل تأملات العقل الروحية التي من أفهام الكتب على محبة الله المرتبطة بالشوق {الدائم إليه}، تحجز مداخل النفس {تحرسها} قدام الأفكار الغريبة، وتحفظ العقل وتصونه في تذكر الخيرات العتيدة، لئلا يتراخى بسبب

البطالة وينشغل بتذكار الأمور العالمية، لأنه منها تبرد حرارة حركاته وتنقلب إلى الشهوات.

📖 كل تغصّبٍ سواء كان بالإرادة أو بغير إرادة، يعطي ثقة وأجراً وعزاءً. فأعمال التغصب نوعان: من الإرادة، ومن غير الإرادة، والضيقة التي من كليهما هي لأجل مخافة الله. أما أعمال التغصب الإرادي فهي: الصوم والصلاة والسهر والتجرد والسكون والبعد من الناس والدموع والقراءة واشتياق ضرب المطانيات المنسحقة وما يشابه ذلك.

📖 وهي التي يقبل الإنسان على نفسه عملها لأجل خوف الله. وأعمال التغصب غير الإرادي هي: المؤذيات والأحزان والأمراض، وما يتولد منها ويحدث للجسد، وصعوبة المرض وعوز الغذاء، والضيق من الحبس والوحدة، وتخويف وعذاب الشياطين، والجوع المضني وانعدام المعونة من البشر، وضغطات وضيقات من قلة الكسوة بسبب المسكنة، وأحياناً تحصل عثرات في الجبال والمواضع العسرة التي يعيش فيها القديسون من أجل الله.

📖 هناك أفكار جيدة وإرادة صالحة، وهناك أفكار سمجة وإرادة سمجة، والأولى من غير الثانية {الأفكار بنوعيها من غير الإرادة بنوعيها} الجزاء عنها قليل، أما الأفكار فهي حركات تجوز في البحر فترتفع أمواجه، وأما الإرادة {بنوعيها} فهي الأصل، وبحسب ضبط الأصل والأساس تكون المكافأة إن كان جيداً أم رديئاً وليس بحسب حركة الأفكار، لأن النفس ما تهدأ من حركة الأفكار المختلفة، فإن كان ليس لها أساس وأصل عميق {أي بالإرادة} فما أقربك كل يوم أن تغيِّر صالحك ورديئك ألف دفعة.

📖 الفضيلة هي ان يكون الإنسان خالياً من العالم بفكره. لأنه ما دامت الحواس تباشر الأشياء، فالقلب لا يمكنه ان يهدأ من تخيل تذكارها،

كما ان الآلام الجسدانية، لا يمكن ان تبطل، ولا الأفكار الشريرة يمكن ان تموت، إلا في البرية.

📖 إذا كان شيء منها له نصيب في نفسك، {من الصالحات أو الشرور} فاعلم انه سيكون مقتناك إلى الأبد، لأنه يذهب معك إلى العالم العتيد. فان كانت صالحات، افرحْ واشكر الله في قلبك، وان كانت سيئات، أحزن وتنهدْ واطلب التخلص منها ما دمتَ في الجسد.

📖 ان أشياء الله تبادر إليك من نفسها، كما يقال دون ان تشعر، وذلك ان كان الموضع طاهراً وغير دنس.

📖 فكِّر وافهم ان الفضيلة هي الجسد، والثاؤريا هي النفس، والاثنان هما إنسان واحد كامل روحاني، متحد من جزئين الواحد حسِّي والآخر عقلي. ان كانت الفضيلة هي عافية طبيعة النفس وصحتها، فالآلام هي أمراضها وأسقامها التي تعرض للطبع، وتحرمه من الصحة. ومن المعروف ان الصحة تتقدم في الطبيعة على الأمراض والأسقام. وما دام هذا الأمر هو حقيقي، فالفضيلة تكون بالضرورة طبيعية للنفس، وما هو عَرَضي يكون خارجاً عن طبعها.

📖 ولا يمكن لما هو قديم في النفس، إلا ان يكون طبيعياً فيها. لقد كُتب ان أنت عملتَ عملاً، يجلب للعلمانيين عثرة وشكاً، فلن تبصر نوراً.

📖 ان الآباء القدماء، كانوا يفعلون هذا، {يتظاهرون بالجنون} بسبب كثرة الآيات والعجائب، التي كانوا يصنعونها، لكيما يُهانون ويُخفون مجد سيرتهم، ويبعدون عنهم أسباب الكبرياء.

📖 أما أنت فما الذي يضطرك إلى عمل مثل هذا؟ ألا تعلم ان لكل سيرة وقتاً ونظاماً؟ أما أنت فليست لك سيرة مفردة، وليس لك هذا الاسم، لأنك تعيش هنا كأحد الإخوة. وهذا العمل ليس فيه منفعة لنفسك، وقد يتسبب في أذية غيرك.

📖 فان اشتقتَ إلى ذلك فاصبر على المحقرة، التي تأتيك كُرهاً، واقبلها

بفرح من قِبَل العناية الإلهية، ولا تقلق ولا تمقت شاتمك.

📖 وبِّخ المجادلين بقوة فضيلتك لا بالكلام. والطامحين بحواسهم، بهدوء شفتيك، وعفة عينيك، المنقبضتين إليك بهدوء.

📖 هل أهلكتَ منك العفة، لا تترك الزنا مكانها، وتعطي صدقةً من أجلها، فهو لا يقبل هذا منك ... لأنك مقيمٌ على الزنا، ولأنه يريد منك طهارة جسدك، وإذ قد تجاوزتَ الوصية فلا تظن إنك قد تركتَ قنية العالم موضعها، وأنت تنازع من أجل أشياء أخرى.

📖 في وقت الحصاد والقيظ لا تجاهد مع الحر، وأنت في ثياب الشتاء.

📖 فكل ما يزرعه الإنسان، إياه يحصد، وكل مرض، يُعالج بالأدوية التي تخصه. وأنت، ان اتفق واستولى عليك الحسد، فلماذا تجتهد ان تحارب النوم؟ ان لم تكن لك أعمال، فلا تتكلم عن الفضيلة.

📖 الذي استحق أن يكون بهمِّ الله الدائم هو الذي يؤهل للدهش الدائم بالله. الذي يُشقي ذاته من أجل الله، ولأجل الخوف من الخطية، هو الذي يستحق أن ينظر في نفسه أعاجيب الله، والذي يحتمل الضيقة بإرادته يحمله الله كما على راحة يده في كل مكان، ولا يدنو منك شرٌّ إلا بنوع التجربة، وهذا لكي يعرِّفك الله بعنايته بك، كما كُتب: «إننا نتضايق ولكن لسنا نختنق».

📖 البر هو إفراز النية قدام الله بعمل الجسد، والفضيلة هي حكمة القلب، وحيثما توجد هناك يسكن الله، وهي مفتاح ملكوت السماء.

📖 الله تعالى رأى بمسرة حكمته أن يكون تناول هذا الخبز {الطعام الروحي} بالعرق، ولم يصنع ذلك على سبيل الشر، بل خوفاً من أن تحصل لنا تخمة، ويقودنا ذلك إلى الضرر فنموت، لأن كل واحدة من الفضائل هي أمٌ لثانيةٍ، فإذا تركتَ الأمَّ التي تلد الفضائل ومضيتَ تلتمس البنات {الفضائل} دون أن تكون قد اقتنيتَ الأمَّ أولاً، فإن تلك

الفضائل تصبح مثل الأفاعي لنفسك، وإذا لم تطرحها عنك فسرعان ما تموت {بسمومها}.

📖 الاعتناء بالفضيلة يقهر الآلام، وهكذا تتزايد فضلاً ورفعةً ونمواً بلا انقطاع، وتمتلئ فرحاً وسروراً لا يشوبه همّ، وتحظى بحياة صالحة وميناء لا خطر فيه.

📖 نُطقية الإنسان قد جُعلت مسكناً للاَّهوت المسجود له، وهو {الإنسان} بحرية إرادته يمضي إما إلى النعيم وإما للعذاب في الجحيم.

📖 هيكل الله لا يقع تحت عبودية الموت البسيط، وهو {الإنسان} بميالة حريته يختار لنفسه الموت العقلي أو حياةً جديدةً تفوق الطبع بالنعمة.

📖 ومعونة المسيح تلتصق بعمل البرِّ وليس بالخطية.

📖 إما أن يكون الإنسان، أو لا يكون هذا ليس لنا.

📖 أما أن يكون باراً، أو خاطئاً، فهذا في مقدورنا، ومعونة المسيح هي تساعدنا، لكن معونة نعمة المسيح تلزق بعمل البرِّ، وليس بالخطية.

📖 مسكن الله {الإنسان} قد خُلق بلا عوز.

📖 وهيكل الله، وقدس الأقداس الداخلي، وملكوت الله، هي جميعها داخلنا. والنفس مفتقرة إلى أعمال التوبة، وإلى تعليم الكتب، وحفظ الوصايا، والصلوات الدائمة، لكي بحرِّيتها تقتني من الكنز الذي في داخلها حياةً عقليةً جديدةً، تفوق الطبع، أو موتاً عقلياً خارج الطبع، بتغافل إرادتها.

📖 لقد خلق الله الإنسان العاقل ذا إرادة حرة، وهو بحرِّية إرادته يختار أن يُعِدَّ لنفسه في كمال سعيه، إن شاء، إكليلَ البرِّ والفضائل بمعونة الله، وإن اختار الخزي والعذاب بالميالة إلى تلذذ دغدغات الآلام.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الاول - صفحة ٩٠

📖 إن الباري سبحانه قد صوَّب إرادته للعالم الجديد، ولكنه سبق وأتقن هذا العالم الحاضر لأجل منفعة الكل. وأعطى لأولاده حرية الإرادة،

لكي باختيار إرادتهم يُعدُّون لأنفسهم أيَّ موضع أرادوا، إما موضع عذاب، أو مكان نعيم.

وقد وضع ههنا {لأولاده} جهاداً، ومَصافاً، ومحاربين.

وجعل لهم أيضاً في طبع خلقتهم معرفة الغلبة، وعار الانغلاب، وأظهر شرف الغلبة، وعار الانغلاب، من خلال وصاياه المحيية.

كما وضع في طبيعتنا قوة الغلبة مقابل العدو، ومجاذبات الخير مع حرية الإرادة.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الاول - صفحة ٩٢

١٦ـ حُسن الفضائل لا يُمتدح من فرز أسمائها، بل من فرز غرض وقصد فاعليها.

١٧ـ الفضائل ليست بإقنومها {بطبيعتها} فيها صلاح وشرور، بل بقوتها وفعلها، وبإرادة وهدف فاعليها تُختبر.

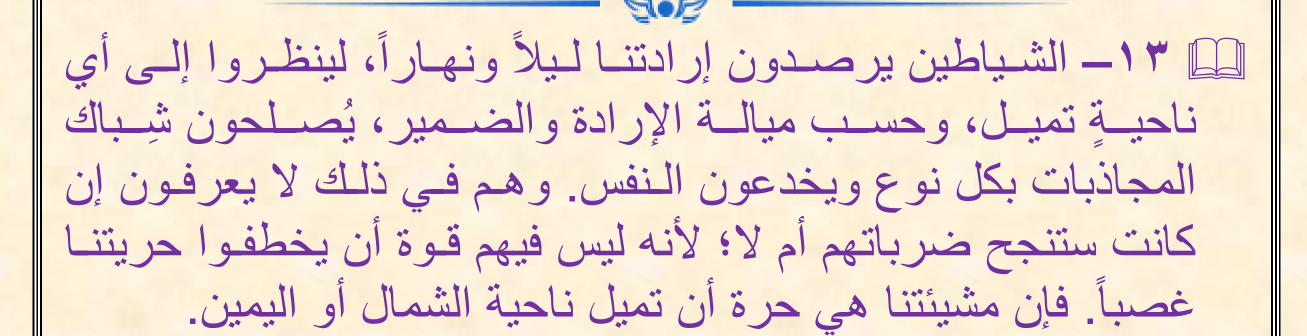
١٨ـ إن كانت قوة الفضائل نقتنيها بإقنومنا، إلا أن تكميل أفعالها، وتمييز الخير والشر، يأتيان للظهور بحرية إرادتنا.

١٩ـ الفضائل التي تُعمل بالجسد تُدهش من ينظرها، وتُقَدِّمه للتوبة، مثلما تنير الشمس المنظورة الأعين الخارجية، وبنورها تخلِّص كثيرين من الظلمة.

٢٠ـ أما الفضائل التي تُعمل خفياً داخل النفس، وعقلياً بهذيذ العقل، فهي تنير عيني النفس، وتمنحها نظر حُسن إلهي يفوق الطبع، بلذةٍ ليس لها تفسير.

٢١ـ الفضائل لا تُقني الناطقين تنعم الملكوت، أو عذاب الجحيم من طبيعتها، بل من فرز غرض ونوع فاعليها.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الاول - صفحة ٨٢



١٣- الشياطين يرصدون إرادتنا ليلاً ونهاراً، لينظروا إلى أي ناحيةٍ تميل، وحسب ميالة الإرادة والضمير، يُصلحون شِباك المجاذبات بكل نوع ويخدعون النفس. وهم في ذلك لا يعرفون إن كانت ستنجح ضرباتهم أم لا؛ لأنه ليس فيهم قوة أن يخطفوا حريتنا غصباً. فإن مشيئتنا هي حرة أن تميل ناحية الشمال أو اليمين.

١٤- الإنسان هو تامٌ بطبيعته مثل ناسوت المسيح، ويهوذا الدافع.

وهو بحرية إرادته يميل؛ فإما أن يرث مجد ربنا المسيح، أو هلاك يهوذا الإسخريوطي.

١٥- نفس الإنسان هي مناسِبة لملائكة النور، والشياطين الأنجاس، وبإرادتها ترث إما نور الملائكة القديسين، أو ظلام الشياطين المنافقين.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الثالث - صفحة ١١٩

٢٢- أعمال التوبة، والنسك، والبقية، هي: أبواب يقبل الضمير نور عدم الآلام بواسطتها. والهذيذ بالفضائل الرئيسية، هي رسوم روحانية ترتسم فيها مرآة القلب.

٢٣- كما أن نور الضمير هو أشرف من نور الشمس، لمن كان مستحقاً له، هكذا أيضاً النمو الذي ينبت من القلب الطاهر الغني بالله، هو أفضل من المادة التي تُقبل من آخرين من غير العمل بأنفسنا.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الثالث - صفحة ١٢٠

٢٥- بلا منفعةٍ هي النطقية {أي القوة العاقلة} إذا ارتفعت عنها الحرية. وهكذا أيضاً الحرية هي بغير منفعة، إذا ارتفعت عنها النطقية.



📖 ٢٦ـ النطقية الحقيقية هي التي تكون تقانتها {أي ثبات قوتها} مُسلطة على حرية الإرادة، وأفعال حريتها تُمتدح من نِيَّتها الصالحة ومن الآخرين.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الثالث ـ صفحة ١٢٠ ـ ١٢١

📖 ١ـ الله كل شيء يريده يدركه.

📖 والعارف الحقاني كل شيء يدركه يختاره.

📖 ٢ـ ليس كل شيء يريده ضميرنا، في طبيعتنا قوة أن تعرفه.

📖 بل إن كل شيء في مقدور طبيعتنا أن تجده، فإن ضميرنا أيضاً يستطيع أن يدركه.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الخامس ـ صفحة ١٥٧

📖 ٣ـ معرفة الحق {الاختبارية} تُقتنى في الذهن: بالصلاة، والهدوء، والاتضاع، وطول الروح، والصبر على كل ما يعرض.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ١٨١

📖 ٨ـ إن كان سلام النفس الجديد مع الهدوء والذهول والحب الذي من النعمة، تُقتنى من الأعمال الإرادية، مع ذلك فإنها حين تكتمل بالروح القدس لا تكون بعد للطبع ولا للاختيار.

📖 كما لا تقع {أو تخضع} حقيقتها تحت الطبيعة والإرادة ولا تنطق {أو تُختبر} بدون النعمة.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ١٨١ ـ ١٨٢

📖 ٣٤ـ كل صانع إذا أراد أن يصنع شيئاً ما، فهو أولاً يرسم في ذِكره {مخيَّلته} هيئة ذلك الشيء، وكيفيته، وكميته، ثم يُدخله كور الإدراك، ويمده بمطرقة الفهم، ويفحصه على سندان الذهن، وينظره في نور النطقية، ويميز، ويتأكد إن كان كافياً لتركيبه، ويقوم بذاته أم لا، فتميل الإرادة إليه وتقبله النيَّة من الداخل. وعند ذلك يخرج مِثال

الفعل. كل هذا {يحدث} وما يحس الصانع بهذا المكتب الداخلي، لأنه محجوب عنه بسبب حاجز الآلام.

📖 وعلى هذا المثال افهم ما يخص الحق، وما يخص الضلالة، ويُشبَّه بالأفكار والكلام والأعمال التي نعملها ونُفلِّحها.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ١٨٨ ـ ١٨٩

📖 ٣٦ـ السفينة حتى ولو كانت محمَّلة بذهب وحجارة كريمة، إذا هي فقدت طريقها وسط البحر الواسع العظيم، وصارت بلا رجاء في الوصول إلى ميناءٍ هادئ، فلن يكون لها أية منفعة.

📖 هكذا النفس، فحتى لو كانت محمَّلة بالعلم، والمعرفة، والفطنة الثاقبة، والأفكار العميقة، وينابيع البصيرة، ولم يكن لها رجاء في بلوغ النقاوة، والصفاء، واللطف، والسلام، والصلاح، والفرح، فلن تنتفع شيئاً.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢٠٥ ـ ٢٠٦

📖 [٣٩] الصلاح موضوع في طبيعة النفس كالنار، الموضوعة في طبيعة الحجر والحديد، وهي مفتقرة إلى ما يُحرِّكها، أي نعمة الله، وحرص الإنسان واجتهاده.

📖 النعمة تتدخَّل طبيعياً، وبلا تغيير، بينما الاجتهاد من جانب الإنسان، يفترَض رغبة خالصة حرَّة من أي اِضطرار.

📖 [٤٠] وإلى أن نَخاف، ونَمتنع عن الشرور، فإن مَحبة الصلاح لن تتحرَّك في الإنسان بِحلاوةٍ وحرارةٍ.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الاولي ـ صفحة ٦٤٥

📖 ٤٤ـ عن التوبة والطهارة والكمال:

📖 يقول مار إسحق: "كمال نجاحنا يشتمل على الأمور الثلاثة الآتية: {١} التوبة، {٢} والطهارة {٣} والكمال.

📖 ما هي التوبة! هي الإقلاع عن الخطايا، والحزن على ارتكابها.
📖 ما هي الطهارة بإيجاز؟ هي قلب مملوء شفقة ورحمة لكل كائن.
📖 ما هو الكمال؟ هو عمق الاتضاع، الذي يقصد به ترك كل شيء مرئي وغير مرئي، ويقصد بالمرئي الأشياء الحسية، وبغير المرئي كل خليقة العالم الروحي.
📖 وأيضا: "التوبة هي: إماتة كل شيء، إماتة تامة، وإرادية.
📖 والقلب الرحيم هو: قلب يحترق من أجل كل مخلوق، إنسانا كان، أو طائرا، أو حيوانا، أو شيطانا، أو كل الخليقة".

📖 وطالما نحن فى هذا العالم، ونظل فى هذا الجسد، حتى لو صعدنا إلى قبة السماء نفسها، لا نستطيع أن نعيش بدون عمل وكد، وبدون قلق واهتمام، يوجد كل الكمال فى كلمتي: "اغفر لي". وفضلا عن ذلك توجد تربية القلب الخفية، من غير أفكار، أو صلاة روحية.

📖 **يقول مار مكسيموس:** "الحب العاقل للفضيلة، ينتج عادة ثبات الإرادة، وليس ثبات الطبيعة، وبواسطة ثبات الإرادة هذا، تدخل بركة النعيم المقدس فى النفس".
📖 وأيضا: "الإنسان الذي يجرب الفرح، والحزن الجسدي، يسمى مجربا، لأنه يتعلم من الخبرة، جمال وقبح الأشياء الجسدية.
📖 والإنسان الذي ينتصر على أفراحه، وأتراحه الجسدية، بقوة إدراكه، يسمى كاملا. وأي إنسان يحافظ دون تغيير على عاداته، فى التفكير والتصرف، بواسطة الكفاح الثابت نحو الله، يسمى كاملا تاما.
📖 وهذا هو السبب فى أن الحكم الصائب، يعتبر أكثر الفضائل سموا. لأن هؤلاء الذين ولدت فيهم هذه الفضيلة، بواسطة النعمة الإلهية، يضاؤون بالنور الإلهي. وهكذا يستطيعون أن يميزوا بمنتهى الدقة بين ما هو لاهوتي، وما هو ناسوت. وكذلك الرؤى الخفية والسرية".
الفيلوكاليا ـ الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس صفحة ٣١٢ ـ ٣١٣



📖 [٩٥] الفضيلة ليست وليدة العمل الجيّد، ولكنها وليدة الرغبة الجيِّدة.

📖 [٩٦] عندما لا تكون الرغبة مرتبطة بعملٍ جيّد أو رديء، فلا تكون هناك مُجازاة، طالَما أنه لَم يُنسَب إليها أي عملٍ ظاهر.

📖 [٩٧] إذا كانت الرغبة مُتَّجهة إلى شيءٍ ما، ولكن الإنسان، حسبما يرى، يُعدّ جسده لِعمل ما هو مضاد لَها، فيمكنه أن يفوز بِمكافأة خفية لا تتناسب مع العمل الخارجي. وإدراك هذا الأمر غير مستطاع لدى الإنسان.

📖 فحتى لو كان الجزاء يُمنَح لكل شخصٍ بِحسب عناء عمله، فهو لا يكون بِمقدوره أن يُميّز ذلك. ولِهذا السبب، **فكل عملٍ سواء من أجل ملكوت السماوات، أو من أجل جهنم، يبقَى مَخفياً داخل قلبه، ولا يتوافق دائماً مع ما يفعله في الخارج.**

📖 [٩٨] الأعمال الفاضلة شيءٌ، والبِرّ شيءٌ آخر. كم من مرَّةٍ قد يَحدث أن نعمل الأعمال الفاضلة بضميرٍ رديء؟ أمَّا البِرّ، فبعكس ذلك، هو رغبة تتوق دائماً أن تكون موافقة لِمشيئة الله.

ميامر مار اسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثالثة ـ صفحة ٦٩٦

📖 إن الأعمال التي وظيفتها التطهير، لا تمنع تذكر الزلات السالفة. بل تستمد الحزن من الذهن، عن طريق التذكر. ومن هنا يصبح مفيداً انتقال التذكر إلى الذهن.

📖 ولهذا فاقتباس الفضيلة من ناحية النفس، يمتاز عن اقتباسها من ناحية الجسد. **كل شيء يزيّنه الاعتدال، الذي بدونه تتحوّل الأمور النافعة إلى أمور مضرة.**

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الأولي ـ صفحة ١٨



الاتحاد الروحي هو: ذكر غير محصور {لله}، يشتعل في القلب بشوق حار متواصل. مستمداً قوته من إتمام الوصايا، لتوطيد ارتباطه بها، وهذا الإتمام ليس سيئاً، ولا طبيعياً {الإتمام السيء هو: الحاصل على أساس الهوى، أما الطبيعي فهو الحر فيَّ}.

لأنه بحفظ الوصايا، يجد مادة لتركيز المشاهدة الروحية تركيزاً حقيقياً. وبهذا يصير القلب في ذهول، مقفلاً حواسه المزدوجة {الجسدية، والنفسية}.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الأولي ـ صفحة ١٩



"وصايا الله تفوق كنوز العالم بأسره، ومن يقتنيها يجد الله".

"من يجعل همه في الله على الدوام، يكون له خزانة {حافظاً}".

"ومن يشتهي وصاياه، تصبح الملائكة السماوية مرشدته. أما الذي يخاف من الخطايا، فيقطع المسيرة المخيفة بدون عشرة، فإذا أدركه الظلام {الحروب} وجد النور مشرقاً في داخله. فالرب يحفظ خطوات من يخشى الخطايا، وعند انزلاقه تدركه رحمة الله".

"من يحسب خطاياه صغيرة يقع في خطايا أسوأ منها، ويدفع جزاءها سبعة أضعاف".

"ازرع الإحسان بتواضع، تحصد رحمة في أوان الدينونة".

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣١

المقالة السادسة عشرة

في حالات الفضائل

إن النسك هو "أم التقديس"، منه يتولد التذوق الأول لمعرفة أسرار المسيح، وهذا التذوق يدعى الرتبة الأولى لمعرفة الروح.

لا ينخدعن أحد ويتخيلن أن هذا سحر، لأن النفس الدنسة لا تستطيع الصعود إلى الملكوت الطاهر، ولا الاتحاد بأرواح القديسين.

نق جمال عفتك: بالدموع، والأصوام، والتوحد في السكينة.



🕮 إن قليلاً من الضيق {مع عمل ما هو قدر المستطاع}، خير من إتمام عمل كبير خال من الشدة. لان تحمل الضيق طوعاً، وبمحبة. يبرز صدق الإيمان. أما عمل الراحة فيصير بالضمير الفاسد.

🕮 لقد أُمتحن القديسون بالضيقات، لا بالراحة. لأن العمل الصائر بدون تعب هو منطق أهل الدنيا، الذين يعملون الإحسان ظاهرياً، ولا ينتفعون به شيئاً {متى ٦: ٤}.

🕮 أما أنت أيها المجاهد: يا من تقتدي بآلام المسيح، فجاهد في نفسك لتستحق تذوق مجده. لأننا إذا تألمنا معه، فسنمجد معه أيضاً. ولا يتمجد الذهن مع يسوع إلا بتألم الجسد من أجله.

🕮 من يحتقر المجد البشري، يؤهل لمجد الله بالجسد، وبالنفس معاً.

🕮 إن مجد الجسد هو: طاعة الله بتعقل.

🕮 أما مجد الذهن فهو: مشاهدة الله الحقيقية.

🕮 الطاعة مزدوجة: "بالعمل، وبالتغييرات". لأنه عندما يتألم الجسد يتألم القلب أيضاً. إذا كنت لا تعرف الله فلا يمكنك أن تحبه، ولا يمكنك أن تحبه إذا لم تشاهده. إن مشاهدة الله تحصل من معرفتنا له، فالمعرفة تسبق المشاهدة.

🕮 **هناك طريقتان للصعود على الصليب:**

🕮 الأولى: صلب الجسد.

🕮 والثانية: الارتقاء الى المشاهدة {الثاؤريا}.

🕮 فالأولى: تتم بالتحرر من الأهواء.

🕮 والثانية: بفعل الروح القدس.

🕮 لا يقدر الذهن أن يطيع، ما لم يخضع له الجسد أولاً.

🕮 فمملكة الذهن كامنة في صلب {أهواء} الجسد.

🕮 ولا يقدر {الجسد} أن يطيع الله، إذا لم تخضع له الحرية أولاً.



صعب على الإنسان أن يرتقي إلى العلاء، إذا بقي مبتدئاً، وعمره كعمر الطفل. يقول سفر الجامعة: «ويل لك أيتها المدينة، إذا كان ملكك شاباً» {جا ١٠: ١٦}.

من يخضع ذاته لله لن يكون بعيداً عن إخضاع الكل له.

ومن يعرف نفسه، تعطى له معرفة الكل، لأن معرفة الذات هي ملء معرفة الكل. بطاعتك {لله} يخضع الكل لك.

عندما يسود التواضع فيك تخضع نفسك لك، ومعها يخضع الكل، وعندئذ ينبع سلام الله في قلبك. أما إذا بقيت غريباً عن التواضع، فلست عرضة للأهواء وحسب، بل للنوائب أيضاً.

فلا تكف يا رب أن تدعونا إلى التواضع، إذا لم نتواضع بالحقيقة.

إن التواضع الحقيقي وليد المعرفة، والمعرفة الحقيقية وليدة التجارب.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة عشرة ـ صفحة ٦٣ ـ ٦٤

وبخ الذين يخالفون معتقدك بقوة فضائلك، لا بأقوالك المتأرجحة.

سد أفواه المتمردين، وسكن وقاحتهم بوداعتك، وهدوء شفتيك.

وبخ الفاسقين بنزاهة سلوكك، وحواس عديمي العيب بحشمة نظراتك.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٩١

متى حرمت النفس من معونة الله، تقع بسهولة بين أيدي أعدائها. ومتى أهملت النفس أعمال الفضيلة، تجذبها الأمور المضادة.

إن الانتقال من مكان ما، يعني بداية الطريق إلى المكان المعاكس. فإذا كان من الرذيلة إلى الفضيلة، عندها يبدأ الإنسان في عمل الفضيلة، مهتماً بالأمور المفيدة للنفس، ومزدرياً الأمور الدنيوية.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثلاثون ـ صفحة ١١٧



📖 تقدم القلب هو: "الهذيذ الدائم بالرجاء".
📖 وتقدم السيرة هو: "التحرر من كل شيء".
📖 ذكر الموت هو: "الرباط الصالح للأعضاء الخارجية".
كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والثلاثون ـ صفحة ١٣٦

📖 **قيل عن مار إسحق:** لما حضرته الوفاة اجتمع إليه الأخوة قائلين: "ماذا نصنع بعدك يا أبانا؟".
📖 قال لهم: "كما كنت أسلك قدامك، أسلكوا، واحفظوا وصايا السيد المسيح، فيرسل إليكم نعمة روحه القدوس، ويحفظ هذا الموضع.
📖 وان لم تحفظا، فلن تثبتوا هاهنا، لأننا حينما تنيح آباؤنا اغتممنا، ولكن لما حفظنا وصايا إلهنا ثبتنا موضعهم".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٠ ـ ٣٩١

📖 **قال مار إسحق:**
📖 طريق الحكمة هو: "ترتيب الأعضاء".
📖 وطموح الجسد هو: "تخبط".
📖 الحكمة الحقيقية هي: "النظر في الله"، والنظر في الله هو: "صمت الأفكار". الإحساس بالله هو: "عمق الاتضاع".
📖 "... القلب الذي قد مات عن العالم، فبالله يتحرك جميعه".
📖 "الذي يبني نفسه، أخير له من أن ينفع المسكونة جميعها".
📖 "من قد ماتت أعضاؤه الخارجية، فقد عاشت أعضاؤه الداخلية".
📖 "الساذج الحكيم بالله، خير من الفهيم، الغاش بضميره".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٩

📖 "نفس الصالح تسطع أكثر من الشمس، وتبتهج كل ساعة بمشاهدة الأسرار".
كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والأربعون ـ صفحة ١٦١

📖 أنا أؤمن أن العفيف، والمتواضع، وماقت الدالة، ونازعَ الغضب من

نفسه، يرى في نفسه نور الروح القدس عندما يقف للصلاة، ويرتكض بإشراقات نوره {داخله}، ويبتهج برؤية مجد نفسه، محولاً إلى مثال الروح.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والأربعون ـ صفحة ١٦٢

📖 الطبيعة البشرية تحتاج إلى خوف، لتحفظ حدود الطاعة لله. أما محبته، فتثير الشوق إلى عمل الفضائل، وتجذب الإنسان إلى عمل الصلاح. المعرفة الروحية تلي عمل الفضائل، أما الخوف، والمحبة، فيسبقانها معاً.

📖 ومن يتجاسر على القول إنه يستطيع بلوغ عمل الفضائل، والمعرفة الروحية، قبل تطبيقه الخوف، والمحبة، فلا شك أنه يضع حجر الأساس لهلاك نفسه. لأن طريق الرب هي: "خوف، فمحبة، ثم معرفة روحية، وعمل الفضائل".

📖 لا تستبدل محبة أخيك بأية محبة أخرى، لأنه يخفي في داخله أثمن الأشياء. ازدري ما هو تافه، لتجد كل ثمين. كن ميتاً في حياتك، فتحيا بعد الموت. أن تسلم ذاتك للموت في الجهادات، أفضل من أن تسلك في التهاون، لأن الشهداء هم الذين يموتون في سبيل حفظ وصايا المسيح، وليس الذين قبلوا الموت إيماناً به فقط.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والأربعون ـ صفحة ١٦٧

📖 إن الفضائل ترتبط ببعضها كالسلسلة، وبذلك لا يكون طريقها شاقاً وثقيلاً، بل تتحقق كلها بترتيب. مما يجعل الصعوبات المبذولة من أجل الصلاح مرغوبة، كالصالحات ذاتها.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والأربعون ـ صفحة ١٧٢

📖 ثلاثة أمور تقربنا من الله: "حرارة الإيمان ـ خوف الرب ـ تأديبه" ولا يمكن أن نقترب من محبة الله بغيرها.

📖 "من الشراهة يتولد اضطراب الأفكار".

📖 "من كثرة الكلام، وعدم الانضباط في اللقاءات، يتولد الجهل، والتشويش". "الاهتمام بالدنيويات يشوش النفس، وهي بدورها تشوش الذهن، وتطرد منه الهدوء".

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠٠

📖 العمل الصالح، والتواضع، يجعلان الإنسان إلهاً على الأرض.

📖 الإيمان، وعمل الرحمة، يبلغان به إلى الطهارة سريعاً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠٦

📖 لا تكن حكيماً {في عيني نفسك} أكثر مما يلزم، وأفسح للإيمان مجال للدخول إلى ذهنك. أما إذا تذكرت الأيام الكثيرة، والدهور غير القابلة للوصف التي تلي الموت، فلن يتسرب إليك الخمول.

📖 وتذكر قول الحكيم: "إن ألف سنة من هذا الدهر، ليست كيوم واحد في دهر الأبرار" (مز ٨٩:٤). ابتدئ بشجاعة في كل عمل صالح، ولا تقبل عليه بتردد، ولا تشك برجاء الله. لئلا يصير تعبك باطلاً، ويصبح العمل صعباً، وثقيلاً عليك.

📖 آمن في قلبك أن الرب رحوم، ويفي الأجرة، ويعطي نعمة للذين يطلبونه، لا بمقدار أعمالنا {فقط}، بل بمقدار {ما فيها أيضاً من} إيماننا، ورغبتنا. لأنه قال: "ليكن لك على قدر إيمانك" (متى ٨:١٣).

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠٧ ـ ٢٠٨

📖 أما الأعمال التي يقوم بها أولئك السالكون سبل الله فهي:

📖 "منهم من يسجد طول النهار بدل خدمة الساعات.

📖 ومنهم من يبقى راكعاً أثناء صلواته.

📖 ومنهم من يستعيض عن الخدم بكثرة الدموع، ويكتفي بها.

📖 وواحد يجتهد متأملاً بذهنه، ليتمم قانونه المحدد.

📖 وآخر يعذب نفسه بالجوع، حتى يستحيل عليه إتمام الخدم.

📖 وآخر يداوم بحرارة على مطالعة المزامير، متخذاً إياها خدمة مستمرة. ومنهم من يتفرغ للمطالعة، حتى يصبح قلبه مختطفاً بها.



ومنهم من يختطف بإدراك المعاني الإلهية للكتاب المقدس.

وآخر ينذهل بمعاني الآيات العجيبة أثناء المطالعة، فيلزم الصمت والسكون".

ومنهم من يجرب هذه الأمور فيشبع منها، ويعود إلى الوراء، فيصبح بلا عمل، أو يذوق شيئاً يسيراً منها، فيكف بصره، ويضل.

وآخر بسبب شدة مرضه، وضعفه، لم يعد قادراً على حفظ قانونه.

وآخر لم يتزك بسبب عادة، أو شهوة، أو حب رئاسة، أو مجد فارغ، أو طمع. ومنهم من سقط ثم نهض، ولم يرجع إلى الوراء، فنال الجوهرة الثمينة.

أما أنت فباشر دوماً في العمل الإلهي برغبة وسرور.

فإذا كنت نقياً من الأهواء، وثابت القلب، يرفعك الله إلى القمة، ويساعدك، ويجعلك حكيماً حسب مشيئته، وتحصل على الكمال بصورة عجيبة.

فله المجد والعزة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠٧ ـ ٢٠٨

{٢}

القديس الأنبا دوروثاؤس

الفضائل هي الوسط. هي الطريق الملكي الذي تكلم عنه ذاك الشيخ القديس "اتبعوا الطريق الملكي، وأحصوا الأميال". الفضائل هي الحدّ الوسط بين التفريط والحرمان. لهذا قيل "لا تملْ يمنة أو يسرة" {أمثال ٤: ٢٧}. "اتبع الطريق الملكي" {عدد ٢٠: ١٧}.

ويقول القديس باسيليوس "مستقيمٌ هو ذاك القلب الذي لا يميل إلى التفريط أو الحرمان، بل يتجه إلى الوسط الذي هو الفضيلة".



📖 افترض ان لديك سلّميين، الواحدة منتصبة نحو السماء والأخرى هابطة نحو الجحيم. وأنت على الأرض بين الاثنين. لا تقل: "كيف أطير عن الأرض وأصل دفعة واحدة على ما هو في أعلى السلّم" ان هذا القول لمستحيل، والله لا يطلبه منك. بل انتبه هنا على الأقل من ألا تنزل أسفل إلى تحت "لا تؤذي قريبك" لا تجرحه، لا تتكلم ضدّه، لا تهنه، ولا تزدرِه، ثم حاول ان تفعل شيئاً من الخير بتعزية أخيك بكلمة، بتحننك عليه ملبياً إحدى حاجيّاته. لأنه بقدر ما تساعد قريبك تتوصل إلى أعلى السلم.

📖 كل شيء يحصل إمّا بسماح من الله وإمّا بمسرّته كما يقول النبي ... "أيكون في المدينة شر ولم يفعله الرب" {عاموس ٣: ٦}. والشر هنا هو المصائب كلها، أي المصائب التي تحصل من أجل تأديبنا وبسبب خطيئتنا، الجوع، الطاعون، الجفاف، الأمراض، الحروب.

📖 هذه البلايا لا تحصل بموجب مسرّة الله بل بسماح منه. وهو يسمح ان نبلى بها من أجل فائدتنا، والله لا يريد ان نسعى وراءها ونساهم فيها. ان سمح الله مثلاً: بهدم إحدى المدن، فهو لا يريد ان نسرع ونشعل فيها النار ونحرقها. ولا ان نأخذ الفأس ونهدمها.

📖 ان سمح الله بعذاب أحد الإخوة أو بمرضه فهو لا يريد ان نعذبه بأنفسنا ونقول له: بما ان إرادة الله هي التي جعلته مريضاً، فلا يجدر بنا ان نصنع له رحمة، الله لا يريد ذلك منا، لا يريدنا ان نساهم في إرادته عندما تكون على هذا المنوال. فهو يريد منا ان نكون صالحين، حينما يفعل شيئاً لا يريدنا ان نفعله.

📖 إذاً إلى أين يريد ان نوجه إرادتنا؟ إلى ما يريده من الصلاح، لكل ما يوافق مسرّته أي إرادته الحسنة، لكل ما يوافق إحدى الوصايا: ان نحب بعضنا بعضاً، ان نكون رحماء، ان نعمل الإحسان ...هذا ما يفسّر القول: "الله يريد كل شيء حسناً".



🕮 **سؤال**: ولماذا يقول الأب بيمين ان ثلاثة هي المهمة: مخافة الرب، الصلاة إلى الرب، والإحسان إلى القريب؟

🕮 **الجواب**: يقول الشيخ: "مخافة الرب"، لان مخافة الرب في حدّ ذاتها تقود إلى كل فضيلة ... وأيضاً بدون مخافة الرب لا يقتني المرء أية فضيلة، ولا يقدر ان يقوم بأي صلاح. لأنه بمخافة الرب يمكن للمرء تجنّب الشر.

🕮 ثم يقول: "صلِّ إلى الرب" لان الإنسان لا يقدر ان يكتسب أية فضيلة، أو أي صلاح، حتى ولو خشي الرب، ورغب في ذلك جداً، إذا لم يساعده الله في ذلك. ولابد على كل حال من جهادنا ومن العون الإلهي معاً. فالإنسان يحتاج إلى الصلاة إلى الله في كل شيء، وان يطلب معونته في كل ما يقوم به.

🕮 وأخيراً "ثمة الإحسان إلى القريب": هذه هي المحبة، الإنسان الذي يخاف الرب ويصلي إليه يساعد نفسه فقط. لكن عندما يحب قريبه يبلغ إلى كمال كل فضيلة. لأجل هذا أردف الشيخ: "الإحسان إلى القريب". لأنه حتى ولو خاف الإنسان الله ولو صلي إليه، يبقى مديوناً لقريبه. عليه أيضاً ان يفيد قريبه ويصنع له خيراً، لأنه هكذا تكون المحبة التي هي كمال الفضائل.

🕮 جواب لأخ سأله في عدم الإحساس، وفي فتور المحبّة.

🕮 فيما يتعلّق بعدم إحساس النفس يا أخي، أنت بحاجة إلى قراءة متواصلة للكتاب المقدّس، مقرونة بمطالعة الأقوال الخشوعية التي فاه بها الآباء المتوشحون بالله، وأيضاً تذكر دينونة الرب الرهيبة، ومفارقة النفس للجسد ... فكر إنك موشك ان تقف أمام منبر المسيح الرهيب العادل، لكي تحاسَب ليس فقط عن أعمالك بل عن كلماتك وأفكارك أيضاً.



📖 عليك أوّلاً بمعونة الله ان {لا} تصدّق شكوكك الخاصة. وان تجتهد بكل قوتك لكي تتواضع حباً بالإخوة، وتقطع من أجلهم مشيئتك.

📖 إذا أساء إليك أحد أو أهانك، فصلِّ لأجله كما يقول الآباء، كما لو كان يقدّم لك نفعاً كبيراً، بمثابة طبيب يشفيك من حب اللذة.

📖 يقول الآباء: ان المكوث في القلاية يشكل نصفاً أوّلاً من حياة الراهب، وتفقد الشيوخ واللقاءات معهم {لأخذ الإرشاد} النصف الثاني.

📖 هذا يعني انه داخل القلاية، أو خارجها، يجب ان نحافظ على اليقظة نفسها، ونعي فائدة المكوث في القلاية بهدوء، وفائدة اللقاءات مع الآباء أو الإخوة.

📖 عندما يكون في قلايته يصلّي، يتأمل، يعمل عملاً يدوياً، ويراقب أفكاره قدر المستطاع. وعندما يذهب إلى الآخرين يدرك ويتأمل في حالته. يرى انه يستفيد من لقاءه بالإخوة.

📖 إذا لاحظ انه تأذى بشيء من جراء اللقاء، فهو يعترف إذ ذاك بضعفه وبانه لم يتعلّم بعد شيئاً من حياة الهدوء أو الوحدة. فيعود إلى قلايته منسحقاً مُذلّلاً يبكي، يتوب، يتوسل إلى الله من أجل ضعفه، فيبقي هكذا منتبهاً إلى نفسه.

📖 بعدها يعود إلى الناس ويرى من جديد ان كان سيقع في الأخطاء ذاتها أو في غيرها. ثم يرجع إلى قلايته كما فعل قبلاً، تائباً باكياً، متوسلاً إلى الله من أجل حاله، لان القلاية ترفع الراهب أما الناس فهم يختبرونه

📖 لنفترض مثلاً اننا ذهبنا لنأكل مع الآخرين. عند وصول صحن شهي، نرى ان كان باستطاعتنا ان نضبط النفس وال انتناول منه. أو ان نحول الا نأخذ أكثر من أخينا. وإذا قُدِّم الطعام بشكل حصص الا نحاول اختيار الحصة الكبرى تاركين الصغرى لأخينا.

📖 وأيضاً فلننتبه إلى عدم الإكثار من الطعام، لذلك عندما نوجد أمام

أطعمة متنوعة، علينا الا نستسلم للطمع. ومن جهة ثانية علينا ان نحفظ أنفستا من الدالة. الا ننزعج لمشاهدة أخ لنا مكرّماً أكثر منا.

📖 لا أحد يستطيع ان يؤذينا. فهذا ينتج عن حالتنا.

📖 لا أزال أردد دائماً اننا ان شئنا جنينا من أي شيء خيراً أو شراً.

📖 هكذا يحصل مع الأجساد الكئيبة الفاسدة، فهي تحوّل كل طعام تتناوله إلى مزاج عصير رديء حتى ولو كان الطعام جيداً. وسبب ذلك لا يعود إلى الطعام بل إلى هذا الجسد، كما ذكرت، المضطرب الأحوال والعادات، الذي يميل إلى مزاجه الخاص ويهضم الأطعمة ويفسدها. هكذا يحصل مع النفس السيئة الأحوال والعادات، فهي تتأذى من كل شيء. كل شيء يؤذينا حتى ولو كان نافعاً.

📖 افترض انه لديّ وعاء فيه عسل، ووضع أحدهم في هذا الوعاء عشبه صغيرة من الافسنتين، ألا تفسد هذه العشبة الوعاء بكاملة بجعل العسل مراً؟ هذا ما نفعله نحن أيضاً. نرمي شيئاً قليلاً من مرارتنا ونحطم خير قريبنا، عندما ننظر إليه من خلال وضعنا، ونحوّله إلى الحالة السيئة التي نحن فيها.

📖 أما الذين يتمتعون بعادات ومناقب حسنة، فهم يشبهون إنسانا عنده جسم جيّد سليم. انه ولو تناول طعاماً مؤذياً، يحوّله إلى مزاج طيّب بحسب طبعه الحسن، وهذا الطعام لا يعود يؤذيه. هذا بسبب سلامة جسده الذي يحوّل الطعام إلى الحالة الحسنة التي هو عليها. هكذا فان الجسد الفاسد يحوّل الأطعمة إلى فساد، والجسد السليم يحوّل الأطعمة إلى حسنة.

📖 سمعت أخاً يقول انه زار رفيقه ورأى قلايته مهملة غير مرتبة، كان يقول في نفسه: "مغبوط أخي لأنه متجرّد عن الأرضيات كلّها وفكره كلّه متجه إلى فوق. حتى انه ليس لديه وقت لترتيب قلايته"، وان ذهب إلى أخٍ آخر ورأى قلايته مرتبة نظيفة، كان يقول: "لا شك

ان نفس هذا الأخ نظيفة نظير قلايته، لان حالة نفسه على صورة حالة قلايته". ولا يقول أبداً عن أحد "انه مهمل وغير مرتب" أو "انه ثرثار" بل على العكس انطلاقاً من حسن حاله يستفيد من كل واحد.

🕮 ان أردنا ان نكون متحررين كلياً، فلنتعلّم قطع إرادتنا، وهكذا بتقدمنا شيئاً فشيئاً بمعونة الله نصل إلى التجرّد، لأنه ليس من أمر أكثر إفادة للإنسان من ان يقطع إرادته الخاصة، لأنه في الحقيقة، بهذه الطريقة، نتقدم وكأننا فوق كل فضيلة.

🕮 فكما ان المسافر الذي في الطريق يكتشف طريقاً مختصراً يعود عليه بالربح الكبير في السفر، هكذا هو الحال الذي يسير هذه الطريق في قطع إرادته: لأنه بقطع الإرادة نحصل على التجرد، وبالتجرد مع معونة الله، نصل إلى اللاهوى الكامل.

🕮 من المكن في مدة قصيرة من الوقت قطع عشرة إرادات وإليكم الطريقة: أخ يتنزه ويشاهد شيئاً ما. تخطر له عندئذ فكرة تقول: "انظر إلى هنا"، ولكنه يجيب: "كلا لا انظر"، هو يقطع إرادته ولا ينظر. ثم يلتقي بإخوة له يتحادثون، وتخطر على باله فكرة أخرى تقول له: "قل أنت أيضاً كلمتك في الحديث"، أما هو فيقطع إرادته ولا يقول شيئاً.

🕮 **ويُقال أيضاً له:** "اذهب واسأل الطباخ ماذا يهيئ لنا من أكل"، ولكنه لا يذهب، فيقطع إرادته بهذه الطريقة. يرى صدفة غرضاً ما فتخطر له فكرة الاستفهام من الذي جلب هذا الغرض إلى هنا، فيقطع إرادته ولا يسأل. هكذا فانه بقطع متكرر يحصل على عادة يسير بموجبها في الأمور الصغيرة ومن ثم في الكبيرة.

🕮 وهكذا يتوصل إلى الا يملك إرادة خاصة بالكلية. كل ما يحصل يسرّه وكأنه صادر عنه. عند ذلك وبينما لا يريد ان يتمم إرادته الخاصة، يرى نفسه وكأنه يتممها دائماً.

📖 لان كل ما يحصل ولا يتعلق بـه يناسبه. يجد نفسه هكذا دون أي تعلق وبهذا التجرد، كما سبق وذكرت، يصل إلى اللاهوى.

📖 الفضائل هي الوسط. هي الطريق الملكي الذي تكلم عنه ذاك الشيخ القديس "اتبعوا الطريق الملكي، وأحصوا الأميال". الفضائل هي الحدّ الوسط بين التفريط والحرمان. لهذا قيل "لا تملْ يمنة أو يسرة" {أمثال ٤: ٢٧} "اتبع الطريق الملكي" {عدد ٢٠: ١٧}.

📖 ويقول القديس باسيليوس "مستقيمٌ هو ذاك القلب الذي لا يميل إلى التفريط أو الحرمان، بل يتجه إلى الوسط الذي هو الفضيلة"

📖 افترض ان لديك سلّميين، الواحدة منتصبة نحو السماء والأخرى هابطة نحو الجحيم. وأنت على الأرض بين الاثنين. لا تقل: "كيف أطير عن الأرض وأصل دفعة واحدة على ما هو في أعلى السلّم" ان هذا القول لمستحيل، والله لا يطلبه منك.

📖 بل انتبه هنا على الأقل من الا تنزل أسفل إلى تحت "لا تؤذي قريبك" لا تجرحه، لا تتكلم ضدّه، لا تهنه، ولا تزدرِه، ثم حاول ان تفعل شيئاً من الخير بتعزية أخيك بكلمة، بتحننك عليه ملبياً إحدى حاجيّاته. لأنه بقدر ما تساعد قريبك تتوصل إلى أعلى السلم.

📖 كل شيء يحصل إمّا بسماح من الله وإمّا بمسرّته كما يقول النبي ... "أيكون في المدينة شر ولم يفعله الرب" {عاموس ٣: ٦}.

📖 والشر هنا هو المصائب كلها، أي المصائب التي تحصل من أجل تأديبنا وبسبب خطيئتنا، الجوع، الطاعون، الجفاف، الأمراض، الحروب. هذه البلايا لا تحصل بموجب مسرّة الله بل بسماح منه. وهو يسمح ان نبلى بها من أجل فائدتنا، والله لا يريد ان نسعى وراءها ونساهم فيها. ان سمح الله مثلاً: بهدم إحدى المدن، فهو لا يريد ان نسرع ونشعل فيها النار ونحرقها. ولا ان نأخذ الفأس ونهدمها.

📖 ان سمح الله بعذاب أحد الإخوة أو بمرضه فهو لا يريد ان نعذبه بأنفسنا ونقول له: بما ان إرادة الله هي التي جعلته مريضاً، فلا يجدر بنا ان نصنع له رحمة، الله لا يريد ذلك منا، لا يريدنا ان نساهم في إرادته عندما تكون على هذا المنوال. فهو يريد منا ان نكون صالحين، حينما يفعل شيئاً لا يريدنا ان نفعله.

📖 إذاً إلى أين يريد ان نوجه إرادتنا؟ إلى ما يريده من الصلاح، لكل ما يوافق مسرّته أي إرادته الحسنة، لكل ما يوافق إحدى الوصايا: ان نحب بعضنا بعضاً، ان نكون رحماء، ان نعمل الإحسان ... هذا ما يفسّر القول: "الله يريد كل شيء حسناً"

📖 **سؤال**: ولماذا يقول الأب بيمين ان ثلاثة هي المهمة: مخافة الرب، الصلاة إلى الرب، والإحسان إلى القريب؟

📖 **الجواب**: يقول الشيخ: "مخافة الرب"، لان مخافة الرب في حدّ ذاتها تقود إلى كل فضيلة ... وأيضاً بدون مخافة الرب لا يقتني المرء أية فضيلة، ولا يقدر ان يقوم بأي صلاح. لأنه بمخافة الرب يمكن للمرء تجنّب الشر.

📖 ثم يقول: "صلِّ إلى الرب" لان الإنسان لا يقدر ان يكتسب أية فضيلة، أو أي صلاح، حتى ولو خشي الرب، ورغب في ذلك جداً، إذا لم يساعده الله في ذلك. ولابد على كل حال من جهادنا ومن العون الإلهي معاً. فالإنسان يحتاج إلى الصلاة إلى الله في كل شيء، وان يطلب معونته في كل ما يقوم به.

📖 وأخيراً "ثمة الإحسان إلى القريب" هذه هي المحبة، الإنسان الذي يخاف الرب ويصلي إليه يساعد نفسه فقط. لكن عندما يحب قريبه يبلغ إلى كمال كل فضيلة. لأجل هذا أردف الشيخ: "الإحسان إلى القريب". لأنه حتى ولو خاف الإنسان الله ولو صلي إليه، يبقي

مديوناً لقريبه. عليه أيضاً ان يفيد قريبه ويصنع له خيراً، لأنه هكذا تكون المحبة التي هي كمال الفضائل.

📖 **جواب لأخ سأله في عدم الإحساس، وفي فتور المحبّة.**

📖 فيما يتعلّق بعدم إحساس النفس يا أخي، أنت بحاجة إلى قراءة متواصلة للكتاب المقدّس، مقرونة بمطالعة الأقوال الخشوعية التي فاه بها الآباء المتوشحون بالله، وأيضاً تذكر دينونة الرب الرهيبة، ومفارقة النفس للجسد ... فكر إنك موشك ان تقف أمام منبر المسيح الرهيب العادل، لكي تحاسَب ليس فقط عن أعمالك بل عن كلماتك وأفكارك أيضاً.

📖 عليك أوّلاً بمعونة الله ان {لا} تصدّق شكوكك الخاصة. وان تجتهد بكل قوتك لكي تتواضع حباً بالإخوة، وتقطع من أجلهم مشيئتك.

📖 إذا أساء إليك أحد أو أهانك، فصلِّ لأجله كما يقول الآباء، كما لو كان يقدّم لك نفعاً كبيراً، بمثابة طبيب يشفيك من حب اللذة.

📖 **يقول الآباء:** ان المكوث في القلاية يشكل نصفاً أوّلاً من حياة الراهب، وتفقد الشيوخ، واللقاءات معهم {لأخذ الإرشاد}، النصف الثاني. هذا يعني انه داخل القلاية، أو خارجها، يجب ان نحافظ على اليقظة نفسها، ونعي فائدة المكوث في القلاية بهدوء، وفائدة اللقاءات مع الآباء، أو الإخوة.

📖 عندما يكون في قلايته يصلّي، يتأمل، يعمل عملاً يدوياً، ويراقب أفكاره قدر المستطاع. وعندما يذهب إلى الآخرين يدرك ويتأمل في حالته. يرى انه يستفيد من لقاءه بالإخوة.

📖 إذا لاحظ انه تأذى بشيء من جراء اللقاء، فهو يعترف إذ ذاك بضعفه، وبانه لم يتعلّم بعد شيئاً من حياة الهدوء، أو الوحدة. فيعود إلى قلايته منسحقاً مُذلّلاً يبكي، يتوب، يتوسل إلى الله من أجل

ضعفه، فيبقي هكذا منتبهاً إلى نفسه.

📖 بعدها يعود إلى الناس ويرى من جديد ان كان سيقع في الأخطاء ذاتها أو في غيرها. ثم يرجع إلى قلايته كما فعل قبلاً، تائباً باكياً، متوسلاً إلى الله من أجل حاله، لان القلاية ترفع الراهب أما الناس فهم يختبرونه.

📖 لنفترض مثلاً اننا ذهبنا لنأكل مع الآخرين. عند وصول صحن شهي، نرى ان كان باستطاعتنا ان نضبط النفس والا نتناول منه. أو ان نحول الا نأخذ أكثر من أخينا. وإذا قُدِّم الطعام بشكل حصص الا نحاول اختيار الحصة الكبرى تاركين الصغرى لأخينا.

📖 وأيضاً فلننتبه إلى عدم الإكثار من الطعام، لذلك عندما نوجد أمام أطعمة متنوعة، علينا الا نستسلم للطمع. ومن جهة ثانية علينا ان نحفظ أنفسنا من الدالة. الانزعاج لمشاهدة أخ لنا مكرّماً أكثر منا.

📖 لا أحد يستطيع ان يؤذينا. فهذا ينتج عن حالتنا.

📖 لا أزال أردد دائماً اننا ان شئنا جنينا من أي شيء خيراً أو شراً.

📖 هكذا يحصل مع الأجساد الكئيبة الفاسدة، فهي تحوّل كل طعام تتناوله إلى مزاج عصير رديء حتى ولو كان الطعام جيداً. وسبب ذلك لا يعود إلى الطعام بل إلى هذا الجسد، كما ذكرت، المضطرب الأحوال والعادات، الذي يميل إلى مزاجه الخاص ويهضم الأطعمة ويفسدها. هكذا يحصل مع النفس السيئة الأحوال والعادات، فهي تتأذى من كل شيء. كل شيء يؤذينا حتى ولو كان نافعاً.

📖 افترض انه لديّ وعاء فيه عسل، ووضع أحدهم في هذا الوعاء عشبه صغيرة من الافسنتين، ألا تفسد هذه العشبة الوعاء بكاملة بجعل العسل مراً؟ هذا ما نفعله نحن أيضاً. نرمي شيئاً قليلاً من مرارتنا ونحطم خير قريبنا، عندما ننظر إليه من خلال وضعنا، ونحوّله إلى الحالة السيئة التي نحن فيها.

أما الذين يتمتعون بعادات ومناقب حسنة، فهم يشبهون إنسانا عنده جسم جيّد سليم. انه ولو تناول طعاماً مؤذياً، يحوّله إلى مزاج طيّب بحسب طبعه الحسن، وهذا الطعام لا يعود يؤذيه. هذا بسبب سلامة جسده الذي يحوّل الطعام إلى الحالة الحسنة التي هو عليها. هكذا فان الجسد الفاسد يحوّل الأطعمة إلى فساد، والجسد السليم يحوّل الأطعمة إلى حسنة.

سمعت أخاً يقول انه زار رفيقه ورأى قلايته مهملة غير مرتبة، كان يقول في نفسه: "مغبوط أخي لأنه متجرّد عن الأرضيات كلّها وفكره كلّه متجه إلى فوق. حتى انه ليس لديه وقت لترتيب قلايته"، وان ذهب إلى أخٍ آخر ورأى قلايته مرتبة نظيفة، كان يقول: "لا شك ان نفس هذا الأخ نظيفة نظير قلايته، لان حالة نفسه على صورة حالة قلايته". ولا يقول أبداً عن أحد "انه مهمل وغير مرتب" أو "انه ثرثار" بل على العكس انطلاقاً من حسن حاله يستفيد من كل واحد.

{٣}

القديس يوحنا السلمي

من البين إننا نمارس الفضائل في أوائل زهدنا بتعب ومرارة، وإذا تقدمنا في الطريق لا نعود نحس بغم، أو نشعر بقليل من الغم في ممارستها، أما إذا اجتاحت الغيرة قلبنا واستولت عليه فنعود نمارس الفضائل بكل فرح وهمة وشوق وباضطرام إلهي.

بمقدار ما يجب الثناء على الذين يمارسون الفضائل ويتممون الوصايا بفرح وهمة منذ بدء زهدهم، بذلك المقدار ينبغي التحسر على الذين يطول زمانهم في النسك ولا يزالون يمارسون الفضائل بتعب وان كانوا يمارسونها.



🕮 ان الفضائل الجليلة تشبه سلم يعقوب، والرذائل الذميمة تشبه السلسلة التي وقعت عن يدي بطرس الهامة، لأن الفضائل تقود من يختارها ويتبعها الواحدة تلو الأخرى وتصعد به الى السماء، اما الرذائل فتلد الواحدة الأخرى وتتصل كلها معا على نحو السلسلة.

🕮 من يشاء أن يصف بكلام محسوس الشعور بمحبة الرب وفعلها فينا، أو الشعور بالتواضع المقدس، والطهارة المضبوطة، وإشراق الله في النفس، وخوفه تعالى، ويقين القلب، وذلك بصورة صحيحة ودقيقة واضحة وصادقة.

🕮 ويظن انه بوصفه هذا ينير الذين لم يذوقوا ذلك الشعور ولم يختبروه، يشبه رجلا يريد أن يبين بأقواله وتشابيهه حلاوة العسل لمن لم يذوقوه البتة، أما هذا فعبثا يشرح حتى لا أقول انه يثرثر، وأما ذاك فإما أن يبدو وكأنه عديم الخبرة بما يصف، أو أن يكون مغرورا.

🕮 لا يتذرعن أحد بعدم قدرته على إتمام وصايا الإنجيل، فان البعض قد عملوا أكثر منها، ويثبت لك هذا من أحب قريبه أكثر من ذاته، وبذل نفسه عنه، مع أن الرب لم يأمره بذلك {الأنبا ليو الذي افتدى ثلاثة أسرى بشخصه، انظر المرج الروحي ليوحنا موسخوص الفصل ١١١ }.

🕮 كما إننا نستقي من البئر ضفدعا مع الماء أحياناً، على غير انتباه منا، كذلك كثيرا ما نصنع الرذائل مضفورة مع الفضائل، بصورة غير منظورة، فان الشراهة مثلا تختلط مع ضيافة الغرباء، والزنا مع المحبة، والدهاء مع التمييز، والخبث مع الفطنة.

🕮 ثم يندس مع الوداعة كل من الغش، والمماطلة، والبلادة، والمحاججة، وأتباع المشيئة الذاتية، وعدم الطاعة، ومع الصمت، ادعاء العلم، ومع الفرح الغرور، ومع الرجاء التواني، ومع المحبة الإدانة، ومع الهدوء الضجر والكسل، ومع الطهارة الحدة، ومع التواضع الدالة، ويرافق العجب هذه الفضائل كلها بمنزلة مرهم، بل

سم مشترك يطلبها.

🕮 ليس في طبيعتنا رذيلة، أو هوى في الأصل، لأن الله لم يخلق الأهواء، بل اوجد فينا فضائل طبيعية كثيرة، ومنها بدون شك: الرحمة، إذ أن الوثنيين أنفسهم يتحننون ويشفقون، ثم المحبة، لأن البهائم العديمة النطق كثيرا ما تدمع على فراق رفيقاتها، ثم الإيمان، لأننا نجد أنفسنا جميعا مفطورين عليه، ثم الرجاء، إذ إننا على رجاء الانتفاع نقرض ونقترض، ونزرع، ونسافر.

🕮 فان كانت المحبة فضيلة طبيعية فينا على ما تبين، وهي «رباط الشريعة وكمالها»، فالفضائل بالتالي ليست بعيدة عن طبيعتنا، فليخز إذاً الذين يحتجون بعدم قدرتهم على اكتسابها.

🕮 أما المناقب الفائقة الطبيعة فهي الطهارة، وعدم الغضب، والتواضع، والصلاة، والسهر، والصوم، ونخس القلب المتواصل، وهذه يعلمنا بعضا منها الناس، وبعضا آخر الملائكة، أما البعض الباقي فالإله الكلمة، هو معلمها ومعطيها.

🕮 البنات الورعات تلدهن الأمهات {الإيمان والرجاء والمحبة}، أما الأمهات فيلدهن الرب، ومن الحكمة أن يجري هذا النسق على الرذائل، أضداد هذه الفضائل.

🕮 يبطل البعض وصية بسبب وصية أخرى، فاني رأيت شابين يتحابان حبا مرضيا لله، فاتفقا على أن ينفصلا إلى حين، تلافيا للأذى اللاحق بضمير الآخرين.

🕮 لقد اتخذت البرايا كلها من الخالق نظامها وابتداءها، والبعض منها نهايتها أيضاً، غير إن الفضيلة حازت غاية لا نهاية لها، وذلك أن المرنم قال: «لكل كمال رأيت حدا أما وصيتك فواسعة جدا»

🕮 الله في محبته يحكم على القصد والنية، غير انه يطلب منا أيضاً أن

نعمل قدر طاقتنا، عظيم هو من لا يقصر عن طاقته بشيء، وأعظم منه من يقدم بتواضع على ما يفوق قدرته.

🕮 الهدوء أساس العفة وعونها، والصوم يطفئ ثورة الجسد، وانسحاق القلب يطرد الأفكار القبيحة.

🕮 كما يتألق الذهب في نور الشمس، كذلك يتجلى المرء بالفضيلة.

🕮 تناقص الإثم يؤول إلى الكف عنه، والكف عنه بدء التوبة، وبدء التوبة هو بدء الخلاص، وبدء الخلاص عزم صالح، والعزم الصالح يولد ممارسة الأتعاب، وممارسة الأتعاب تأتي بنا إلى بداية الفضائل، وبداية الفضائل تزهر وتفضي إلى بدء العمل بها، وثمر العمل بها المثابرة عليها.

🕮 ونتيجة المثابرة عليها اعتيادها، واعتيادها يلد الخلق الصالح، والخلق الصالح يلد خوف الله، وخوف الله يلد حفظ الوصايا السماوية والأرضية على السواء، وحفظ الوصايا دلالة على المحبة، وبدء المحبة كثرة التواضع، والتواضع الكثير ابن اللاهوى، اللاهوى كمال المحبة، أعني سكني الله الكاملة في انقياء القلوب لخلوهم من الأهواء، لأن انقياء القلوب يعاينون الله.

🕮 واخيراً، بعد كل ما قلناه، يبقى ان نتكلم عن، الفضائل الثلاث، التي هي رباط سائر الفضائل، تضمها بعضا إلى بعض وتضبطها، وهي الإيمان، والرجاء، والمحبة، وأعظمهن المحبة، لأن الله يسمي محبة.

🕮 الايمان يستطيع أن يعمل، ويبدع كل شيء، والرجاء تحوطه رحمة الله، وتمنع عنه الخزي، والمحبة لا تسقط، ولا تقف في سعيها، ولا تتيح الاستراحة للمجروح، الولهان بها.

كتاب السلم - صفحة ١٨٩

🕮 مغبوط من اضحت غيرته في الفضيلة، كغيرة الأزواج الغيورين على زوجاتهم، مغبوط من يقف في الصلاة أمام الله، وقوف الخدم

أمام الملك.

كتاب السلم - صفحة ١٩٠



{٤}
الأنبا إشعياء الإسقيطي

بفضل اعتدال الهواء تزهر الزروع، وبحفظ الوصايا تزهر نفس الإنسان. كل إنسان يربط نفسه بنفسه إلى جهنم، أو يفك نفسه بنفسه منها، لان ليس شيء أكثر صلابة من قوة الإرادة حين تجنح نحو الموت أو الحياة، فطوباهم إذاً الذين يحبون الحياة الأبدية لأنهم لن يعثروا.

أعطِ الصدقة للمحتاجين بعين شَرِحَة لئلا تخزى في وسط القديسين ومحاسنهم، أبغض شهوة المواكيل لئلا يمنعك عماليق، كن مجتهداً حريص في خدماتك لئلا تأكلك الوحوش، لا تحب الخمر للسكر لئلا يخيبك من التنعم بالله.

ان كنت شاباً، ولم تُخضع جسدك بعد، فان سمعت أخبار فضائل القديسين العالية، فلا تطمع في اقتنائها بلا عمل {تعب}، لأنها لا تأتي إليك ان لم تقم بفلاحتها أولاً، فإذا أقدمت على أعمال فلاحتها، أتتك من تلقاء نفسها.

إذا أردت ان تعتزل في قلايتك، وألزمت نفسك بشيء وقت تناولك الطعام، كأن لا تأكل طبيخاً أو أي شيء آخر، فأحرص إذا خرجت خارج القلاية، ألا تقول لأحد حال جلوسك على المائدة: اغفر لي لأنني لا آكل من هذا، لان كل تعبك إذ ذاك يضيع بلا منفعة في يدي أعدائك، فان المخلص معلمك يقول: أعمل في الخفاء، وأبوك الذي يراك يجازيك علانية. والذي يحب أعماله ينبغي ان يحرص ألا يتلفها.

🕮 ثلاث فضائل تحفظ العقل دائماً وهو محتاج إليها، الحمية الطبيعية، والشجاعة والعزيمة. ثلاث فضائل أخرى إذا اقتناها العقل يثق بانه قد بلغ عدم الموت: الإفراز الذي يميز بين شيء وآخر، التبصر في الأمور قبل الإقدام عليها، وعدم الانغلاب لأي شيء غريب.

🕮 ثلاث فضائل تشع في العقل ضوءاً على الدوام هي: الا يعرف شر إنسان، ان يصنع الخير لمن يسئ إليه، وان يحتمل بلا انزعاج كل ما يحدث {له}.

🕮 هذه الفضائل الثلاثة تولد ثلاثاً أخرى أعظم منها: فالذي لا يعرف شر إنسان يقتني المحبة، ومن يفعل الخير لمن يسئ إليه يقتني السلام، ومن يحتمل بلا انزعاج كل ما يأتي عليه ينال الوداعة.

🕮 أربع فضائل تنقي النفس: السكون، حفظ الوصايا، المسكنة، الاتضاع.

🕮 يحتاج العقل دائماً إلى هذه الفضائل الأربعة: الصلاة لله مع السجود الدائم، طرح الإنسان نفسه أمام الله، ان يكون بلا هم من جهة كل إنسان لكيلا يدينه، وان يصير أصم مقابل أفكار الأوجاع.

🕮 أربع فضائل تقوي النفس، وتجعلها في مأمن من بلبلة الأعداء: الرحمة، عدم الانغلاب للغضب، الصبر، طرح كل بزور للخطية ترد عليها، ومقاومة النسيان تحفظ جميع ذلك.

🕮 أربع فضائل هي عون {الراهب} الشاب بنعمة الله: الهذيذ الدائم، السهر، والا يعتبر نفسه شيء.

🕮 أربعة أشياء تدنس النفس: المشي في المدن بلا تحفظ العينين، التعرف على النساء، مصادقة عظماء العالم، محبة الخلطة بالأقرباء الجسديين

📖 أربعة تثير في الجسد النجاسة: النوم بلا قياس، الأكل حتى الشبع، اللعب والمزاح، تزين الجسد.

📖 أربعة أشياء تظلم النفس: مقت القريب، الازدراء به، الحسد، التذمر

📖 أربعة أشياء تجعل النفس مقفرة: الطواف من موضع إلى موضع، محبة اللهو، الرغبة في القنية، البخل.

📖 أربعة أمور تضرم فيك الغضب: الأخذ والعطاء، الاعتداد بالرأي، محبة تعليم الآخرين، ظنك في نفسك إنك حكيم.

📖 ثلاثة أمور يقتنيها الإنسان بصعوبة، وهي تحفظ جميع الفضائل: النوح، البكاء على الخطايا، وان يجعل موته قدام عينيه.

📖 ثلاثة أمور تتسلط على النفس التي لم تبلغ إلى الكمال، ولا تدع الفضائل مكانا في القلب: السبي، التواني، النسيان، فالنسيان يحارب الإنسان إلى النفس الأخير إذ يسلمه للقتالات، وهو أقوى من جميع الأفكار، ويولد جميع الشرور، ويهدم في كل وقت جميع ما يبنيه الإنسان.

📖 "جئت لألقي ناراً على الأرض وأريد الان ان تضطرم" يعني بِهذا نار لاهوته في أولئك الذين يتبعون تعاليمه المقدسة، ويجوزون "سيف الروح" الذين يقطعون كل مشيئات الجسد، ويهبهم الفرح أخيراً بقوله لهم: سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم هؤلاء هم الذين يهتمون بإهلاك نفوسهم في هذا العالم بقطعهم مشيئتهم، فيستحقون ان يصيروا له كخراف مقدسة للذبيحة.

📖 أما الذين أكملوا مشيئتهم ... سوف تستد أفواههم فلا يجدون ما يقولونه، لأنهم يتذكرون قساوة قلوبِهم وبغضهم للفقراء.

📖 فلنفحص نفوسنا إذاً يا أحبائي، ان كان كل منا يكمل وصايا الله بحسب قدرته أم لا، لأننا جميعاً مطالبون بان نحفظها بحسب استطاعتنا، الصغير على قدر صغره، والكبير على قدر قامته، فلا نفسحن في قلوبنا مكانا للضجر، لئلا يفصلنا حسد الشياطين عن الله، بل لنكمل واجباتنا على قدر مسكنتنا ... وكما لم يحتقر مريم التي دهنت قدميه بالطيب، هكذا أيضاً لم يرفض الخاطئة التي دهنتهما بالدموع مع الطيب، وكما دعا بطرس ويوحنا من القارب قائلاً لهما: هلمَّ ورائي، هكذا دعا متى وهو جالس مكان الجباية.

📖 لان ليس عند الله محاباة، لصغير أو كبير، لغني أو فقير، لكنه يطلب النية الصالحة، والإيمان به، وتكميل وصاياه ومحبة الجميع، فهذه حقاً هي ختم النفس وقت خروجها من الجسد، بحسب التعليم الذي أعطاه لتلاميذه قائلاً: بِهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب بعضكم لبعض.

📖 انه من الواجب يا أحبائي ان نعمل أعمالنا بغيرة ومعرفة مكملين قوله: من يحبني يحفظ وصاياي حتى تصير لنا أعمالنا كمدينة آمنة حصينة تحفظنا في كلمته من أيدي جميع أعدائنا إلى ان نلقاه.

📖 فتلك الرئاسات الأربعة قد شُبهت بالتمثال المصنوع من الأربعة عناصر الذي هو العدو، وكلمة الله القدوس قد حطمها حسب القول: أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.

📖 فان تدبرت بما يوافق طبيعة يسوع، فهو لن يتركك تخطئ في شيء، أما إذا كنت تحفظ وصية واحدة دون ان تكمل الأخرى، فانت بعدُ لم تسلم نفسك لطاعته، فهو لن يهتم بك.

📖 فالبزور الموافقة للطبيعة لا تستطيع ان تنبت وتنمو في نفس الوقت مع الزروع المخالفة للطبيعة، لأنها تختنق بواسطة الزوان الذي هو أقل منها نضارة. هكذا الحال بالنسبة لك، فان لم تتنقَ من الشهوات

الجسدية، لا يمكنك ان تحفظ نفسك من الخطية ما لم تتحفظ أولاً مما يلدها، أي من التهاون الذي هو الأم الشريرة للخطية.

📖 ينبغي ان تسهر النفس بلا انقطاع، وتتمسك جيداً بالفضائل حتى لا تنزل من على الصليب {بعدم الخضوع للأوجاع} إلى ان يقطعها الروح منها، وتقوم في النهاية منتصرة؟

📖 قال أحد الآباء: إذا لم يقتن الإنسان الإيمان بالله، والاشتياق الدائم له مع بساطة القلب وعدم مقابلة الشر بالشر، الإماتة، والاتضاع، الطهارة، محبة البشر، انكار الذات، الوداعة، طول الروح، التوسل إلى الله كل يوم بحزن القلب، المحبة الصادقة، عدم الالتفات إلى الوراء، والاهتمام بما هو قدام، عدم اتكال المرء على أعماله الصالحة، أو صلواته.

📖 طلب معونة الله من أجل ما يعرض له كل يوم، {بدون هذه الفضائل}، فلن يستطيع ان يخلص، لان أعدائك أيها الإنسان، لا يهدئون فلا تكن متهاوناً، ولا تحتقر ضميرك، ولا تضع كل ثقتك في نفسك كأنك بلغت إلى شيء يؤهلك لله، ما دمت في بلد أعدائك.

📖 الإماتة بمعرفة تبطل الهفوات السالفة، ونوح الحواس يشفي جروح الأعداء التي في الداخل، المحبة الكاملة نحو الله تقاوم الحروب غير الظاهرة، فالطهارة الداخلية التي تغلب الحروب الخفية تُعد النفس لراحة ابن الله، والطهارة الظاهرة تحفظ الفضائل.

📖 وكما أن السفينة لا يمكنها أن تسافر إذا كان ينقصها شيء من عدَّتِها، هكذا النفس أيضاً لا يمكنها أن ترتفع فوق أمواج الأوجاع إن كانت تنقصها إحدى الفضائل، وكما أن الملاحين وهم في البحر لا يلبسون أقمصة بَهية أو ثياباً ذات أكمام أو نعالاً، لأنَهم ما لم يخلعوها لا يستطيعون أن يسبحوا في الماء.

📖 هكذا النفس يستحيل عليها أن تجوز وسط عواصف الشرور التي تواجهها ما لم تكن متغربة من كل أشياء هذا العالم، أيضاً كما أن الجندي الذي يخرج لمحاربة أعداء الملك لا يستطيع أن يتصدى لهم إن كانت تنقصه قطعة واحدة من سلاحه، هكذا يستحيل على الراهب أن يقاوم الأوجاع إن كانت تنقصه واحدة من الفضائل.

📖 والجامعة أيضاً كان يبين لنا أن أي وجع مهما كان صغيراً جداً يبطل قوة الفضيلة قال: "الذباب الميت ينتن طيب العطار"

📖 لكن حمل المسيح خفيف الذي هو: الطهارة، عدم الغضب، الصلاح، الوداعة، فرح الروح، ضبط الأهواء، المحبة للجميع، الإفراز، القداسة، الإيمان الثابت، الصبر في المحن والتجارب، أن يعتبر الإنسان نفسه غريباً عن العالم، شهوة الخروج من الجسد وملاقاة المسيح.

📖 هذه هي الأحمال الخفيفة التي أوصانا الرب أن نحملها.

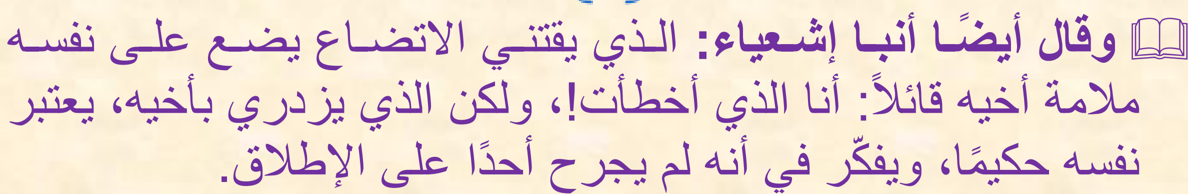
📖 هذا هو الطريق الذي من أجله أحتمل القديسون أتعاباً كثيرة قبل أن يبلغوه، الذي لا يستطيع إنسان أن يقتنيه ما لم يخلع أولاً الإنسان العتيق، ويتحرر ويقتني المحبة، والمحبة تجعله بلا هم من جهة الكل. "قطع هواك بمعرفة، وتغصب نفسك دائماً، وتَهرب من المقاومة والحردان {المجادلة}، بهؤلاء تقتني الاتضاع، الذكاوة هي أن تصلي لله".

📖 **نقول الآن:** إن كنت تداوم في السكون، وتصلي قدام الله على الدوام بجسدك طاهراً، وبنفسك خفياً بغير فتور، وتطلب منه أن يعطيك قوة ومعونة وخلاص، وتصنع الجهاد باستيقاظ بضميرك مع الأفكار الرديئة المتحركة في قلبك من الشياطين أو من ذكر الأشياء القديمة، ينقي قلبك من الأفكار السوء ويشرق نور الله في ضميرك وتؤهل لاستعلان المسيح وبه تتنعم نفسك كتأملها وتشوقها كل يوم.

النسك فيعتق من الآلام، وأما النوح فينجي من الأفكار، والحب للـه يغلب الشياطين، وطهارة القلب تعطي نظر روحاني، وأما الاتضاع والعفة، فيحفظون الفضائل.

قال الأب إشعياء: قال أحد الآباء: يجب أن يكتسب الإنسان الإيمان بالله، والاشتهاء المتواصل لله، والبراءة، والاعتياد على عدم معاملة الشر بالشر، والإماتة، والاتضاع، والطهارة، والحب للناس، والزهد، والعذوبة، وطول الأناة، والتوسل المتواصل إلى الله بحزن القلب، والمودّة الحقيقية في عدم النظر إلى الوراء {أخطاء الآخرين السابقة}، والانتباه إلى الأمور الآتية، والاعتياد على عدم الثقة في عمله الصالح أو طقس صلاته، واستدعاء معونة الله لأجل ما يحدث كل يوم بدون انقطاع.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٩٦



وقال أيضًا أنبا إشعياء: الذي يقتني الاتضاع يضع على نفسه ملامة أخيه قائلاً: أنا الذي أخطأت!، ولكن الذي يزدري بأخيه، يعتبر نفسه حكيمًا، ويفكّر في أنه لم يجرح أحدًا على الإطلاق.

والذي له مخافة الله، ينشغل بالفضائل، لكيلا تفلت منه واحدة منها.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٠٣ ـ ٧٠٤

٢٤ـ في العواصف والزوابع، نحتاج الى ملاح {لضمان سلامة الوصول}. وفي هذه الحياة الحاضرة نحتاج الى صلاة. لأننا سريعي التأثر من إثارة افكارنا، جيدة كانت أو رديئة.

فإذا كان فكرنا ممتلئا بالتعبد، وحب الله، كان له السيطرة على الشهوات. وكهدوئيين يجب أن نميز بين الفضيلة والرذيلة؛ بالإفراز والسهر. وعلينا أن نعرف أية فضيلة يجب ان نتدرب، ونمارس في حضور اخوتنا والشيوخ، واي منها نسعى لها عندما نكون بمفردنا.

📖 وعلينا أن نعرف اية من الفضائل يجب أن تأتي أولا، واية منها ثانيا، أو ثالثا، وأية من الشهوات تهاجم النفس، وأية منها تهاجم الجسد.

📖 وايضا يجب ان نعرف اية فضيلة تخص النفس، واية تخص الجسد. ونعرف اية فضيلة يمكن أن يستخدمها الكبرياء، من أجل الهجوم على الفكر. واية فضيلة تجرنا إلى المجد الباطل، او الغضب، او الشراهة. لأنه يجب أن ننقي أفكارنا من «كل علو يرتفع ضد معرفة الله» {٢كو٥:١٠}.

📖 الفضيلة الأولى هي التجرد، التي هي: موت عن كل علاقة لشخص، أو شيء. وهذا يولد الرغبة في الله. وهذا بدوره ينهض الغضب، المتوافق مع الطبيعة، الذي يزداد شدة ضد حيل الأعداء. حينئذ تتأسس مخافة الله داخليا. ومن خلال مخافة الله، سوف يظهر الحب واضحا جليا.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة واعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٢٦

{٥}

القديس الأنبا برصنوفيوس

📖 ما يقدر إنسان بلا تعب، ولا انتباه، ولا نوح، أن يستعبد اللسان، والدالة والبطن وكل الأوجاع فبالاتضاع يتسلط عليها، وبالتعب يقتني.

📖 أن كان أحد يضيف على فترة صومه بإرادته، أو إذا صام لأجل مدح الناس له، أو أي مغنم يربحه، فمثل هذا الصوم كريه في عيني الرب، هكذا كل شيء بالمثل، فكل عمل صالح، لا يعمل لمجرد محبة الله فقط، بل يكون مشوبا بإرادة الإنسان، فهو ليس طاهر، ولا مسراً لله، نفس الشيء أيضا يمكن أن نلمسه من الناموس الإلهي

الذي يقول "لا تزرع حقلك صنفين، لا تلبس ثوبا مختلطا صوفا وكتانا معا" لا ١٩: ٩،

🕮 تحفظ دائما، وتعلم لتفهم ناموس الله، لأن هذا يجعل القلب حارا بالنار الالهية، كما قيل، "عند لهجي اشتعلت النار"

الأنبا برصنوفيوس - سيرته وأقواله - صفحة ٦١

🕮 ٦٠- سأل شيخٌ اسمه الأب أوثيميوس الشيخ {برصنوفيوس} نفسه، في هيئة صلاة قائلاً: يا معطي النور، أيها الطريق للذين في الظلمة، أضِئ علينا أيضًا نحن الذين في الضباب، لأنك أنت نفسك أيها القدوس قلتَ: «اسألوا تُعطوا، أُطلبوا تجدوا، اِقرعوا يُفتَح لكم» {مت٧: ٧}.

🕮 وطالما أنك تريد أن تفتح بابًا للخلاص حتى لنا نحن، فأسرع لأنك بدأت. لأنك لو كنتَ لا تريد أن تخلِّصنا، لما كنتَ صرّحتَ لنا بالأمور المستحيلة عندنا، ولكنها ممكنة لديك أنت الإله.

🕮 لقد صرّحت لنا أيها القدوس: "نقُّوا نفوسكم إن أردتم أن آتي إليكم". فقلتُ أنا إنّ الطين لا يمكنه أن يُنقِّي ذاته.

🕮 ثم قلتَ أنت لنا أيها السيد: مَنْ يريد أن يُحسَب لائقًا لعطاياي، فلينظر إلى خطواتي في كل الأمور". وكيف يمكن لمَنْ هو أعمى منذ ولادته، أن ينظر، إن لم تُفتَح عيناه؟ والأعمى يطلب أحدًا يقوده بيده، حتى لعله يجد منه خدمة قليلة بطريقةٍ ما.

🕮 لأنه هكذا جلس بارتيماوس الأعمى على الطريق يستعطي، ولما سمع أنّ نور البرّ كان يمرُّ بهذا الطريق صرخ قائلاً: «يا يسوع ابن داود ارحمني». ولما انتهره الجموع صرخ أكثر كثيرًا: «يا ابن داود ارحمني».

🕮 ولما أشفقتَ بصلاحك ودعوته إليك وقلتَ له: «ماذا تريد أن أفعل بك»؟ وقال: «يا سيدي أن أبصر»، قلتَ له بصلاحك: «اذهب

إيمانك قد شفاك»، وللوقت أبصَرَ ورأى خطواتك وتبعك {مر١٠: ٤٦-٥٢}. وأنا أريد أن أصرخ وينتهرني الذي يريد دائمًا أن يُظلِم عينيّ، الذين ينظرون. فإذا أردتَ أن تدعوني أنا أيضًا إليك، وتقول: «ماذا تريد أن أفعل بك»؟ فإنني أنا أيضًا سأصرخ مثله: «يا سيدي أن أبصر».

📖 وأيضًا الأبرص، لو أمكنه أن يُطهِّر ذاته، لما صرخ: «يا سيد إن أردتَ تقدر أن تطهِّرني» {مت٨: ٢}، ولكنه كان قد طهَّر نفسه.

📖 وأنا أصرخ مثله، فهب لي نفس الصوت المقدس: «أُريد، فاطهُر»، وللحال يفارقني البَرَص، وأُبصِر، وأطهُر، وحينئذٍ أرى خطواتك لكي أسير خلفك، لأنك أنت الطريق للذين ضلُّوا.

📖 وإنني لأتوسل إلى أبي قائلاً: نعم يا أبي، توسل إلى سيدنا المسيح لكي يفتح عينيَّ، لأنك أنت الذي تقودني بيدي وتأتي بي إلى سيدي يسوع. وله المجد مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين.

📖 **جواب القديس برصنوفيوس:**

📖 حتى «الآن وقتٌ مقبول» {٢كو٦: ٢}، ولنرتل قول الإنجيل: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيبٍ بل المرضى» {لو٥: ٣١}.

📖 فعندما يأتي المريض إلى الطبيب، يجب أن يحفظ ما يأمر به الطبيب، بحسب القول: «يجب أنّ الذي يأتي إلى الله يؤمن أنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه» {عب١١: ٦}،

📖 لأنه أمينٌ هو الذي قال: «يأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان ... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» {مر١٠: ٣٠}.

📖 فالذين يأتون إلى طبيبنا العظيم يستنيرون به، فيشفي جميع أوجاعهم العقلية {الداخلية النفسانية}، فلا نفتخر إذن قائلين إننا مؤمنون، طالما أننا سنُدان باعتبارنا مرائين، وغير مؤمنين.

📖 لأنه من الأمور الظاهرة يتضح الإيمان غير الظاهر، الذي يكمن في خفيات القلب. فإن كنا نصدِّق المخلِّص عندما يقول: «ليكن لك حسب إيمانك» {أنظر مت٩: ٢٩}، فلندعه يقول الآن أيضًا للنفس الساكنة فينا: «ثقي يا ابنة، إيمانكِ قد شفاكِ» {مت٩: ٢٢} أو «قد خلّصكِ» {لو٧: ٥٠}.

📖 إذن، ليس إيماننا هو ما نتكلّم به، ونُعلنه بأفواهنا، بل إنّ إيماننا الكامل يظهر بالشفاء، فإذا آمنتَ وشُفيتَ سِرْ {أي امشِ} ولا تعثر.

📖 لقد شُفيتَ فلا تعرج.

📖 لقد شُفيتَ، فلا تكن لك رقطة البرص البيضاء.

📖 لقد شُفيتَ فاظهِر أنّ نزيف دمك قد توقّف.

📖 فإن كان لك ذلك أيها الإنسان، فقد اقتربتَ من سماع المخلِّص قائلاً لنفسك الطاهرة والمحبوبة: «كلُّكِ جميلٌ يا حبيبتي، ليس فيكِ عيبةٌ» {نش٤: ٧}، كذلك قول الرسول: «لا دنس فيها، ولا غضْن، أو شيءٌ من مثل ذلك» {أف٥: ٢٧}.

📖 فالباب، إذن، مفتوحٌ لنا، والطريق منبسط، ولكن فلنلاحظ أنه: «ما أضيق الباب، وأكرب الطريق، الذي يؤدِّي إلى الحياة» {مت٧: ١٤}.

📖 وأنه «بضيقاتٍ كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» {أع١٤: ٢٢}،

📖 ولنثابر في أتعابنا بنشاطٍ، لأنه حقًّا إنّ «آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا» {رو٨: ١٨}،

📖 وأنّ «الله ليس بظالمٍ حتى ينسى» مثل هذه الأتعاب {عب٦: ١٠}، إن كنا نتمسّك بالاحتمال إلى النهاية، لأنه يقول: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» {مت١٠: ٢٢} في المسيح يسوع ربنا آمين.

اقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣١٥ ـ ٣١٧

📖 ٦١- سؤال من الشيخ نفسه {سيريدوس}، إلى الشيخ الكبير {برصنوفيوس}، في هيئة صلاة عن الأفكار النجسة، وبخصوص

القيامة: أنت الذي هو «القيامة والحياة» {يو١١: ٢٥}،

📖 افتقِدنا لأننا نحن صنعة يديك، وطهِّرنا من الكتيبة الشريرة أيها القدوس، لأنّ عندك رأفة على خليقتك، وقد أخرجتَ اللاجئون، فطلب الشياطين أن يدخلوا في الخنازير.

📖 فهل كان ذلك في الخنزير غير العاقل، أم فيَّ أنا العاقل، لأنني قبلتهم واندفعتُ من على الجرف إلى البحر {مر٥: ١٣}، وضربتني الأمواج ولم أعرف؟

📖 ولكنّ واحدًا ينخسني الآن من الداخل، لكي يوقظ مُدير الدفّة {مر٤: ٣٨}، لكي يمدّ لي يده وينتشلني من العمق، كما فعل مع بطرس، ويقول لي أيضًا: «يا قليل الإيمان، لماذا شككت» {مت١٤: ٣١}؟

📖 وحيث إنك وعدتني بواسطة خادمك برصنوفيوس في أجوبته، أن تجعلنا في قبر واحدٍ، فهل سنقوم حينئذٍ أيضًا معًا؟

📖 لأنني أخاف من الكلمة الإلهية القائلة: «حينئذٍ يكون اثنان في الحقل، يؤخذ الواحد ويُترَك الآخر، اثنتان تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة وتُترك الأخرى» {مت٢٤: ٤٠و٤١}.

📖 وطالما أنه منذ خلقة العالم يرقد {يموت} البشر، وكثيرًا ما توجد أجساد القديسين والخطاة في نُصُبٍ تذكاريٍّ واحدٍ، فهل سيقومون حينئذٍ معًا في القيامة، عندما يأتي ملائكتك المختارون ليُقيموا جميع الأبرار؟ أم أنه ليس كذلك، بل المختارون وحدهم؟

📖 ولهذا السبب فأنا خائفٌ، وأتوسل بواسطة خادمك، أنك كما أظهرتَ أننا سنرقد معًا في قبر واحدٍ، هكذا أظهِر أنك ستُقيمنا أيضًا معًا.

📖 وأتوسل إلى أبي برصنوفيوس، أنه كما أننا أخذنا حقلين لنحصدهما، وأنني مرضتُ ولا يمكنني أن أحصد، أن يُصارع هو نفسه - حيث إنه قوي - ليُحضِر لك، أيها السيد، حُزَم البرّ نيابةً عني أيضًا. لأننا رأينا عند الآباء الأوائل أيضًا هذا المثال، أنّ ثلاثة خرجوا للحصاد ومرض أحدهم مثلي ورجع إلى قلايته، ولكن

الاثنين تصرّفا برجولةٍ وجمعا الحصاد.

📖 وبعد أن أتمّا الحصاد ورجعا أجبراه أن يأخذ أجره، ولكنه اعترض قائلاً: أي أجر لم أتعب من أجله؟ ولكن أنتما اللذان تعبتما، ولما ذهبوا إلى الآباء ليحكموا فضّلوا أن يأخذ الأجر، وقد اعتُبِر حكمهم مباركًا. إذن، أيها السيد المسيح إلهنا، صادِق أنت على صلاتي هذه، لأنّ لك المجد إلى الأبد آمين.

📖 **الجواب**: كما أنّ رب البيت يُقيم له وكلاء مخلصين، ويعطيهم مفاتيحه وممتلكاته، وأهل بيته، ويعتمد على الوكيل المخلص، في كيفية نومه، وكيفية إطعامه، وكيفية دفع السيد لأجره، ومع مَنْ يقضي وقته: إن كان مع السكِّيرين، أم مع المؤدَّبين، فيُقرَّر الويل للواحد، وتُحفَظ البركة للآخر.

📖 هكذا أيضًا أقام إلهنا لنفسه وكلاء مخلصين، وأعطاهم مفاتيحه، لكي يُغلقوا ويفتحوا، أي حرية الإرادة.

📖 كونهم مخلصين، فهو لأنّ جميع المسيحيين قد تعمّدوا،

📖 أمّا إدارتهم الحسنة للأشياء التي اؤتُمِنوا عليها، فهذا يعني بوضوح أفعال المعمودية لأجل خلاصهم.

📖 أمّا إذا انحرف أيٌّ منهم عن الطريق المستقيم، فنصيبه يصير مع السكِّيرين، الذين هم سُكارى بخمر العصيان.

📖 مثل هذا الإنسان هو الخنزير العاقل، وأنت تعلم ما يقاسيه عندما يأتي سيده {أنظر مت٢٤: ٤٩-٥١}.

📖 ولكنه إذا أدار الأشياء المسلَّمة إليه حسنًا، فالجميع يعرفون كلمة بركة السيد له، لأنه يقول: «في كل الأرض خرج منطقهم {أو صوتهم}، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» {مز١٩: ٤}.

📖 أمّا بخصوص القيامة: فهذا العالم مثل البيدر، والزوان موجودٌ مع الحنطة، وعندما يحين وقت القيامة يُعلِّمنا صوت الإنجيل، أنهما

يُقامان مختلطين عندما يقول: «فيُميِّز بعضهم من بعض كما يميِّز الراعي الخراف من الجداء» {مت٢٥: ٣٢}.

📖 أما الكلام عن المرأتين والرجلين، فقد قاله بخصوص النهاية، عن الإيمان ونقص الإيمان، أنه بعد ذلك يؤخذ واحدٌ ويُترَك الآخر.

📖 أمّا عن موضوع حصاد الإخوة، فالصلاح كان موجودًا في كلٍّ منهم. فالذي كان مريضًا كان في نيته أن يعمل، ولكنّ مرضه منعه، والاثنان الآخران اعتبرا أنّ الرب أعطاهما قوةً بصلاة الأخ الذي كان مريضًا، وأنّ نعمة الروح القدس حلّت عليهما.

📖 ولذلك، فكما قال الرب للرسل: «لا تفرحوا بهذا أنّ الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أنّ أسماءكم كُتِبَتْ في السماوات» {لو١٠: ٢٠}، هكذا نحن، فدعنا أيضًا ألاّ نطلب أن نعرف إن كنا نقوم كلنا، بل أن نسمع: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعَدّ لكم منذ تأسيس العالم» {مت٢٥: ٣٤}،

📖 وأن نكون معًا مع يسوع كما قال: «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا» {يو١٧: ٢١}،

📖 لأنّ له المجد إلى الأبد آمين.

اقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣١٧ ـ ٣١٩

📖 **١١٣ـ طلب أخ من الشيخ الكبير {برصنوفيوس}، نفس الشيء {أن يصلى من اجل مغفرة خطاياه}:**

📖 **الجواب**: أيها الأخ أندراوس، لعل الرب يسوع الذي قال: "اسألوا تُعطوا" {مت٧: ٧} يعطيك كل طلباتك.

📖 فقط أعِدّ بيتك بكل نظافةٍ لكي تستقبل العطايا، لأنها تُدّخر في البيت الذي تنقّى، وتُعطَي نكهتها الحلوة، حيث لا توجد قذارة.

📖 وعندما يذوقها أي واحدٍ يصير متغرِّبًا عن الإنسان العتيق، ومصلوبًا عن العالم، والعالم مصلوبًا له {غل٦: ١٤}، حيًّا في الرب على الدوام. ومهما تُلاطم أمواج العدو سفينته لا يمكنها أن تكسرها،

📖 ومن هنا يُصبح مخيفًا للأعداء برؤيتهم لختمه المقدس، وبقدر ما يصير عدوًّا لهم، بقدر ما يصير خليلاً وحبيبًا حقيقيًا للملك العظيم.

📖 أيها الأخ، أبغض بغضًا كاملاً {للخطية}، لكيما تحب {الرب} حبًّا كاملاً. ابتعد بُعدًا تامًّا، لكيما تقترب بالكامل.

📖 أُمقت التبنّي، لكيما تنال التبنّي.

📖 أترك مشيئتك، وتمِّم المشيئة {الإلهية}.

📖 اِقطع نفسك، واربط نفسك!

📖 أمِت ذاتك وأَحيِ نفسك.

📖 انسَ ذاتك واعرف نفسك، وها أنت تمتلك أعمال الراهب.

اقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٥٦

📖 ١١٤ـ الأخ نفسه يطلب من الشيخ الكبير نفس الشيء:

📖 **الجواب:** أيها الأخ أندراوس، حبيب نفسي، لو علمتَ عطية الله بالصواب، فلو كان شعر رأسك كله أفواه، لما استطعتَ أن تمجِّده، أو تشكره كما يليق!

📖 ولكنني أعتقد أنك تتعلّم. وكما يعلم الله ذاته، فإنه لا توجد طرفة عين، أو ساعة، تغيب فيها أنت عن ذهني وصلاتي.

📖 فإن كنتُ أنا أحبّك هكذا، فكم بالأكثر يحبّك الله الذي صوّرك!

📖 وإنني أطلب منه أن يقودك، ويوجِّهك حسب مشيئته، وهكذا فهو يوجِّهك بما فيه الخير لنفسك.

📖 وإن كان هو يُطيل أناته عليك، إلاّ أنه يُضاعف المنفعة لنفسك.

📖 فابقَ، إذن، شاكرًا إياه على كل الأمور، معتبرًا ذاتك لا شيء في كل الأمور، مؤمنًا بأنّ كل ما قيل لك سوف يكون في المسيح يسوع ربنا، آمين.

اقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٥٦ ـ ٣٥٧

📖 ١١٥ـ إجابةٌ من الشيخ الكبير للأخ نفسه:

📖 أيها الأخ أندراوس، قال سيدنا المسيح لمرثا: «إن آمنتِ ترين مجد

الله» {يو١١: ٤٠}. فآمن أنت أيضًا وسترى لعازر يقوم من الموت ويتعشّى مع يسوع {يو١٢: ٢}، وسترى مريم جالسةً عند قدميه المقدستين، ومتحرِّرةً من اهتمامات مرثا {لو١٠: ٣٩-٤٢}.

📖 وآمِن أنّ كل الأشياء تتمّ لك، فمهما طلبتُ أنا غير المستحق من الله يمنحه لمحبتك. إذًا، فلا يتطلّب منك الله إلاّ الصبر، والشكر، وهو يفتح لك كنوز الحكمة، والفهم نحوه. أقدِّم لك سلامي في الرب الذي فيه تكون لك صحة في النفس والجسد، وصلِّ لأجلي.

اقوال القديس برصنوفيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - صفحة ٣٥٦ - ٣٥٧

{٦}

القديس ثؤفان الناسك

📖 إن اللـه يريد ملء الكمال من المسيحيين، أي أنه من الواجب علينا أن نكون كاملين في كل الفضائل ... أن أكمل وأعظم شيء يريد الإنسان أن يصل إليه هو، الاقتراب إلى اللـه والالتصاق به. كيف ندرب إرادتنا؟ ليكون هدفها الوحيد، هو إرضاء الله في كل الأشياء الخارجية والداخلية.

📖 بجانب تدريبك لعقلك ليتهذب، عليك أيضاً أن تتحكم في إرادتك، كي لا تجنح منك نحو أهوائك الشخصية، بل يجب أن تقودها كي تكون مطابقة تماما لإرادة الله، أكثر من هذا ضع في ذهنك جيدا، إنه لا يكفى مجرد أن ترغب، وتطلب أن ترضى الله دائما، وفى كل شيء، بل ينبغي أن تكون رغباتك كما لو كانت متحركة من الله ذاته {رغبات إلهية}، لأجل هدف واحد- هو أن ترضيه بقلب نقى.

📖 ولكي ندرب أنفسنا على السير دائما نحو هذا الهدف، علينا أن نتحمل جهادا أعظم ضد طبيعتنا، أكثر من أي شيء. لأن طبيعتنا قد تعودت إرضاء نفسها، لدرجة أنها تطلب راحتها، ولذتها في كل

أعمالها، حتى ولو كانت أعمالا روحانية وصالحة جدا، وهي تتغذى عليها سرا لصالح شهواتها، كما لو كانت طعاما تر يد أن تقتات به، وهكذا يحدث، أنه عندما تعرض علينا فرصة عمل روحاني، نميل أن ننجزه بسرعة، ونندفع نحوه بعنف، ليس كأناس يتحركون بإرادة الله، وليس الغرض الوحيد هو إرضاؤه، ولكن:

🕮 من أجل التعزية، والفرح، المتولدان فينا حينما نرغب، ونطلب ما يريده الله منا، هذا الداء من أكثر الأوجاع خداعا، واختفاء، لأن الأمور التي يطلبها بطبيعته أمورا روحانية سامية، وهذا هو السبب كما قلت: أن نرغب مشيئة الله فقط، بل ينبغي أن نرغب فيها كيفما شاء هو، ومتى شاء، وبسبب، وغرض مشيئته.

🕮 أنه حتما ونحن راغبين في الله ذاته، وطالبين إياه، فحتى هذه الرغبة، وهذا الطلب يمكن أن ينطوي على أخطاء، أو نقائص، وربما يختلط به بعض شوائب حب الذات، والمجد الباطل، لأننا معرضون أن نهتم بخيرنا الخاص أكثر من الاهتمام بمجد الله، ونعمل أشياء من أجل ذواتنا، وليس من لأجل الله، فالله لا يقبل من أعمال إلا ما كان لمجده وحده فقط، وهو يريدنا أن نحبه هو وحده، ونرغبه هو وحده، ونعمل له وحده.

🕮 حينما يكون أمامك عملا صالحا في حد ذاته، متفقا مع إرادة الله، فلا تمل إليه بإرادتك سريعا، ولا ترغب فيه، قبل أن ترفع عقلك إلى الله أولا، كي تستوضح هل هي رغبة مستقيمة من الله، يريدك أن تقوم بتنفيذها، وهل هي مقبولة لدى الله منك، وحينما ترى أن أفكارك قد هدأت، وأن ميلان إرادتك هو من مشيئة الله، حينئذ ارغب في هذا العمل وتممه، لأن الله يريده منك، وأنك تعمله بسبب أنك تريد إرضاءه وتمجيده هو وحده.

🕮 بنفس الطريقة، حينما تريد أن تترك شيئا غير صالح، ولا يتفق

إرادة الله، لا تتباعد عنه بسرعة، بل ثبت عيني عقلك أولا على إرادة الله، كي تتأكد أن إرادة الله المستقيمة هي أن تتباعد عنه من أجل مرضاته.

📖 إن خداع الذات في طبيعتنا دقيق جدا، وقليلون هم الذين يميزونه، لأنه يبلغ مأربه سرا، بينما مظهره الخارجي متفقا مع مبدأ إرضاء الله، مع أن واقعه ليس كذلك، وهذا ما يحدث كثيرا، إننا نريد، أو نرفض، أمرا ما لمصلحتنا الخاصة، ولتمجيد ذواتنا في الواقع، ولكن نظن إننا نطلبه مرضاة الله، والوسيلة الوحيدة لاكتشاف هذا الخداع الخفي، وإبعاده هي: نقاوة القلب الذي يكون برفضنا آدم العتيق، ونلبس ذواتنا الإنسان الجديد، هذا هو هدف، وغرض، كل المحاربات الروحية.

📖 حينما تبدأ في عمل شيء ما، اجمع ذاتك بكل ما تستطيع، عن جميع رغباتك الخاصة، ولا تريد أن تفعل هذا والشئ، أو تتباعد عنه، حتى تدرك أن المحرك الذي يجذبك نحوه هو، الإحساس بإرادة الله، إن كنت لا تقدر أن تدرك بحيوية تحريك الله لك في كل أعمالك، سواء كانت خارجية أم داخلية تخص نفسك، فاكتفى بالتدريب على جعل هذا الإدراك ممكنا، بمعنى، أن تدبر نفسك بإخلاص، ولا تحفظ في ذهنك شيئا ما خلا رضاء الله.

📖 ربما نتلمس شعور تحريك الله لنا، عن طريق ومضات إلهية، أو استنارات عقلية يعلنها الله لقلوب نقية في تأمل، أو عن طريق إلهام إلهي في الداخل، ببعض الكلمات الداخلية، أو عن طريق بعض الأعمال الأخرى للنعمة الإلهية، محدثة التهابا محييا في قلب نقى، أو فرحا لا ينطق به، أو نشوة روحية، أو حركة حنو ورقة، أو عبرات من صميم الفؤاد، أو حب لله، أو مشاعر أخرى محببة لله، تكون ناتجة ليس عن إرادتنا بل من الله، ليس بعملنا بل، ونحن في سكون.

📖 مثل هذه المشاعر يمكن أن تكون تأكيدا لاتفاق ما تفعله مع إرادة الله، ولكن قبل كل شيء، علينا أن نرفع إلى الله صلاة حارة نقية، متوسلين إليه بكل مثابرة مرة ومرتين، ومرات كثيرة كي ينير ظلمتنا ويعلمنا، "صلى ثلاث مرات"هكذا يقول الآباء العظام برصنوفيوس، ويوحنا "حينئذ افعل ما يميل إليه قلبك".

📖 زيادة على ذلك، لا تنس أن كل القرارات المتكونة فيك، نتيجة للحركات الروحية الداخلية التي ذكرناها، ينبغى لأن نتمشى مع نصائح وإرشادات المختبرين.

📖 بالنسبة للمشروعات التي تستغرق وقتا طويلا، أو التي تستمر مدى الحياة، علينا أن نضع في قلوبنا بثبات أننا نمارسها إرضاء لله فقط، وهذا ليس في البداية فقط، بل علينا أن نراجع أنفسنا بين الحين والحين، ونجدد هذا التثبيت في القلب مرات عديدة حتى النهاية، لأنك إن تغافلت عن هذا، ربما تكون في خطورة الوقوع في، حب الذات، الكائن طبيعيا فينا.

📖 ذاك الذي يميل إلى إرضاء نفسه أكثر من إرضاء الله، ومع مرور الزمن غالبا ما ينجح في، تحويلنا بعيدا عن الصلاح، وفى تغيير نوايانا، وأهدافنا الخيرة، دون أن نشعر، ولذا كتب القديس اغريغوريوس السينائي"احذر من نوايا إرادتك، وانتبه إلى أي طريق هي مائلة، هل نحو الله أم نحو نفعك الذاتي، وفائدتك شخصيا، وكونك جالسا في السكون، مزمرا وتاليا صلوات، أو متمما أعمالا صالحة أخرى، لئلا تكون سارقا دون أن تدري".

📖 إن الشخص الذي يتحرك بحسب إرادة الله النقية، ولا يبغى إلا رضاه تعالى، لا يفضل عملا عن آخر، حتى ولو كان أحدهما عظيما وساميا، والآخر متواضعا وبسيطا، بل تكون له نية واحدة، متساوية

نحو كليهما، ما داما يرضيان الله، حتى أنه سواء عمل شيئا عاليا عظيما، أم متواضعا بسيطا، يظل محتفظا بهدوئه، لأن نيته الوحيدة، وهدفه الأقصى هو، إرضاء الله دائما وفى كل ما يعمله، سواء في حياة أم موت، رافضا كل ما عدا هذا كما يقول الرسول "لذلك نحترص أيضاً، مستوطنين كنا، أو متغربين، أن نكون مرضيين عنده" ٢كو ٥:٩.

📖 لذلك فإن لم يراقب الإنسان نفسه جيدا، ربما يبدأ نشاطا معينا بغرض إرضاء الله وحده، ولكنه بعد ذلك بقليل، يتداخل معه دافعا ذاتيا، فيجد في نشاطه إشباعا لرغباته الخاصة، وهكذا حتى تصبح إرادة الله، منسية في الإنسان نهائيا، ولكنه يظل مربوطا بلذة العمل.

📖 حتى إن منعه الله ذاته عن هذا العمل، بواسطة بعض الأمراض، أو عن طريق تجارب من بشر، أو شياطين، أو ببعض الوسائل الأخرى، يمتلئ حنقا، ويلوم شخصا، أو آخر، لتدخله في تدبير الأمور التي يحبها، وأحيانا يتذمر حتى على الله ذاته، هذه علامة أكيدة أن نية قلبه لم تكن من الله، بل خرجت من جذر حب الذات الفاسد النتن.

📖 لذلك راقب نفسك دائما يا حبيبي، وانحصر في الداخل، مشتاقا بكل الوسائل التي في قدرتك أن توجه كل نشاطك نحو هذا الهدف الوحيد، فإن حركتك، دوافعك الداخلية، لتصنع أمرا {كان هدفه} كي تهرب من عذاب الجحيم، أو كي ترث السماء، فوجه نشاطك عقليا نحو الهدف الأسمى – أن ترضى الله بطاعتك إرادته، لأن إرادة الله هي أن تذهب إلى السماء ولا تلقى في الجحيم.

📖 إن إدراك كمال عظم قوة هذا المبدأ وقدرته مخفي عن كثيرين، لأن أعمالا بسيطة وغير هامة في حد ذاتها، تصير في نظر الله عظيمة

القيمة بصورة لا نهائية، لأنها عملت إرضاء لله ومجدا لاسمه، بعكس أعمال أخرى كثيرة، ومجيدة، ولكنها أنجزت ليس من أجل الغرض المستقيم أي إرضاء الله.

إن الله يسر جدا، حين يراك تعطى لسائل مليما كي ترضيه هو وحده، تبارك وتعالى، أكثر من تركك لكل ممتلكاتك، من أجل أغراض أخرى غريبة، وحتى ولو كانت كي تنال بركات سمائية، رغم أنها رغبة صالحة ومحمودة.

هذا التدريب الداخلي – الواجب أن تمارسه في كل شيء تعمله - تدريب توجيه أفكارك ومشاعرك، وأعمالك نحو إرضاء الله فقط، سيكون صعبا في البداية ولكنه في النهاية سيصبح سهلا، وخفيفا.

كيف يفسد العدو الفضائل ذاتها:

ولنفترض الآن أنك تسلك طريق الفضيلة بحق وإخلاص، وبلا انحراف نحو اليمين، أو نحو اليسار، لا تتخيل أن العدو سيكف عنك أبدا! لقد سمعت من قبل الاقتباس الذي أخذته من القديس يوحنا الدرجى. ذلك بأن العدو حين يرى أن محاولاته كلها قد باءت بالفشل، ولم يقدر ان يوقعك في الشر، يبدأ في ملاحقتك بتلصص، ويتملقك هامسا في أذنيك، ها قد أرضيت الله بحياتك، هذه هي تجربته الأخيرة.

والاستجابة التي تحدث نتيجة لتملقه هذا، هي الاحساس بالعجب، والزهو، والشعور بالأهمية الذاتية، والرضى عن النفس. تلك الأمور التي تولد المجد الباطل والكبرياء.

فالمجد الباطل يسلب من أعمالنا كل قيمة، حتى ولو كانت أعمالا صالحة، أما الكبرياء فيصيرنا مبغضين من الله.

لذلك، تيقظ يا حبيبى، وأطرد تملقات العدو، ولا تسمح لها أن تصل إلى قلبك برفضك إياها، من أول لحظة تلمس فيها أذنيك!

📖 لكي تتجنب هذا الشر الذي يتهددك، اجمع عقلك في داخل قلبك، وكن على استعداد دائم لصد سهام العدو.
📖 قف هناك في الداخل كقائد في ميدان القتال، واختر موقعا دقيقا لتقود منه المعركة، وحصنه تماما، ولا تفارق هذا الموقع، وتحصيناته، وعتاده الحربي، هو شعورك العميق بأنك لا شيء، وأنك بالحقيقة فقير وأعمى وعريان، وأنك غنى فقط في الضعفات، والأخطاء والأعمال التي تستحق اللوم، والحماقة، والباطل، والخطيئة.

📖 وعندما تأخذ هذا الموقع، لا تسمح لعقلك أن يتجول خارج حصنك، وبنوع خاص اجعله يكف عن ارتياد حقولك وبساتينك المثمرة ظاهريا، أي أعمالك الصالحة. فلو داومت على هذا التدريب، لا تمسك سهام تملق العدو المسمومة، وحتى وإن حدث أن واحدة من هذه السهام وصلت إليك، ستردها حالا، وتصدها وتلقيها بعيدا.
معركة في القلب ضد فكر العدو:
📖 كذلك مثل المحاربين في حصن المعسكر، لا تكسل، ولكن لتواصل تداريبك الحربية، أو لتتجهز وتقوى تحصيناتك.
📖 وعليك أيضاً وأنت في عمق هذه المشاعر، أن تشعر بأنك لا شيء.
📖 وبأكثر تحديد افعل ما يلى: اعلم أنك مهما ضبطت عقلك بحزم، ستستمر في الشرود والهرب، ولا عجب إن كان في جولاته يرتاد إلى أعمالك التي تبدو ظاهريا أنها صالحة، وعند ما يبلغها يمسك بها العدو فورا، ويمزجها بالزهو والعجب، بطريقة تجعل العقل يميل بذاته إلى جانب العدو، وعند رجوعه يحاول أن يجذبك معه.

📖 فبمجرد أن تلاحظ هذا، اجمع ذهنك إلى ذاتك وقل له اسمع أيها العقل: أنت دائب على أخبارى بأن هذا حسن، وهذا غير بطال. ربما يكون الأمر كذلك، ولكن ما فائدة هذا بالنسبة لى؟ كنت على وشك أن

تمدحنى، حسنا، ها أنا سامعك، تغنى بمديحى.

📖 ولكن اعلم أن العدالة تتطلب منك أن تمدحنى على أعمالي الخاصة فقط، أما بالنسبة للأعمال الآتية من الله ونعمه، فليكن المديح والشكر فيها لله. لذلك دعنا نفحص ما يخصنا، وما يخص الله، ولننسب إلى الله الأعمال الآتية من الله، ونحتفظ لأنفسنا بما لنا.

📖 حينئذ نعرف أنفسنا ومقدارنا - إن كان باقيا لنا شيء، يستحق أن نمدح أنفسنا عليه، هيا لنبدأ، لنلق نظرة على ذلك الزمان قبل وجودنا. أين كنا لا شيء، وغير قادرين على عمل أي شيء. فأى شيء عملناه استحقينا به نعمة وجودنا من مصدر كل حياة؟ إذن فوجودنا هو عطية مباشرة من الله، إن هبة الله إلهية، وهذه هي البداية.

📖 ثم بعدها نلنا كل النعم اللاحقة الممنوحة لنا من مراحم الله غير المحدو دة. فلننسب هذا إذن إلى الله.

📖 ثم بدأنا أن نعيش. كيف؟ نحن أنفسنا لا نعرف، فنحن لم ندر بوجودنا سنينا عديدة في مستهل حياتنا، رغم أننا كنا موجودين فعلا، وبعد أن شعرنا بالوجود، لم نكن قادرين آنذاك ان تقوم بأود حياتنا. ولكن اعتنت بنا أياد، وهذا ليس من أنفسهم بل بدافع العناية المغروسة فيهم من رئيس الحياة والوجود، وهكذا نشأنا وتربينا وترعرعنا ووقفنا على أقدامنا. ولم تكن سببا لى شيء من هذا لذلك فلنضع هذا جانبا أيضاً.

📖 حينئذ بدأنا أن نعيش معتمدين على أنفسنا. ولكن ما هو الذي لنا في أنفسنا؟ أنها قوتنا الحيوية، ووسائل معائشنا: وهذه ليست منا، أنها عطية أيضاً من الله. فالمعرفة المباشرة عن الله هبة منه.

📖 كذلك الضمير هبة من الله، وأيضا التعطش إلى الحياة السمائية هبة

منة الله، هؤلاء الثلاثة يتحمسوا في حياتنا، ويدفعوننا نحو السماء.

📖 أنت يا عقلى لست منى: لقد أعطيت لى من الله. فكل قواى الحيوية - أي الإرادة، بكل طاقاتها - ومشاعرى، والقدرة على الاستمتاع بالحياة وكل ما حولى لا ينسب إلى جسدى بكل وظائفه وغرائزه التي تحدد وجودى الطبيعى الحسن هذا، ليس لي أيضاً لأنه بكل ما فيه موهوب لى من الله. وأنا ذاتى لا أنسب لنفسى بل لله. فعندما أعطاني الله الحياة وزودنى بتركيبات معقدة للطاقات الحيوية التي في، وأعطاني الضمير والحرية.

📖 لقد رأى أن أسود على كل ما في، تبعا لوظيفة وقيمة كل جزء من كيانى. فهذا لا يصلح أن يكون سببا لمديح الذات، ولكن لتنفيذ الهدف السمائى العظيم الذي من أجله وهبنا الله كل هذه الأمور.

📖 والواجب الملقى على عاتقنا، وخوفا من الإجابة التي سنرد بها على السؤال: ماذا عملنا في أنفسنا بأنفسنا؟ حياتنا، ووسائلها، من يد الهنا لننتقل الان إلى الكلام عن وسائل الحياة.

📖 يوجد فينا ثلاثة أشكال من الحياة، حياة الجسد، وحياة النفس، وحياة الروح، وكل منها تلزمها وسائل خاصة لوجودها. وهذه الوسائل ميسرة جميعا، وجميعها أيضاً هبات من الله، وليست من سعينا.

📖 الهواء، والنار، والماء، والأرض بكل كنوزها وعناصرها وأحجارها ومعادنها ونباتها وحيواناتها، التي تمدنا بكل ما نحتاج إليه من مأكل وملبس ومأوى، هي ليست من صنعنا، ولكنها عطايا لنا من الله. كذلك كل المعرفة التي نحتاجها عما يحيط بنا، تنظيم حياتنا اليومية، ونظم المجتمعات والحكومات، الفنون والمهن، والقوانين التي في ظلها نعيش، كل هذه كانت مجهزة من قبل، وليس إلا أن نتعلمها ونهضمها ونستخدمها.

📖 فكل إنسان أخذ تراث المعرفة عن أسلافه، بدلا من أن تمل الأذهان من اختراع ما كان موجودا. ولكن من أين أخذ الأسلاف تلك المعرفة؟ إنها من الله. فهو يرسل أشخاصا لهم مواهب خاصة، وقوة إرادة، بها يتوصلون إلى اكتشافات جديدة، ويحدثون تقدما في الحياة البشرية.

📖 وأنت حين تسأل واحدا من هؤلاء المخترعين كيف توصل لما اخترعه؟ سيجيب "أنا لا أعرف، لقد أتت إلى ذهنى كفكرة، ثم تخمرت وأخذت شكلا وهيئة". وهكذا في كل حالة، وستظل كذلك إلى منتهى العالم. فوسائل حياة النفس إذن ليست منا، إنها عطية من الله لنا.

📖 وإنِ كان كذلك بالنسبة للنفس فكم بالحري تكون بالنسبة لحياتنا الروحية – الأخلاقية - العقائدية. معرفة الله ظاهرة. لأن الله أظهرها، لقد وضع الله معرفة عن ذاته في أذهان نفوسنا، وفى ضميرنا.

📖 أعنى معرفة إرادته، وكل شخص مزود برجاء النعيم الأبدى الذي هو أصل حياة الروح وبذرتها، تلك البذرة المباركة المدفونة فينا، التي قبلناها حين نفخ الله فينا من نسمة حياة نعمته الإلهية. كل إنسان يولد وفيه ومعه هذه البذرة. أما مدى نمو هذه البذرة فيتعين بالأشخاص المحيطين به. يا لعظم النعمة غير الموصوفة، حينما يولد الشخص بين أشخاص يتقنون القيادة إلى حياة روحية حقيقية!

📖 ولكن أنظر حولك. إن لدينا معرفة عن الله الواحد الحق المعبود كثالوث، ونحن نعترف بابن الله الذي تجسد من أجلنا، ووهب كل الأشياء من أجل خلاصنا.

📖 ونحن نؤمن بالروح القدس المضئ فينا بنعمته التي نلناها في سر المعمودية والميرون، ومنشط الحياة الروحية فينا.

📖 كذلك نحن مغروسون في كنيسة الله، ونأخذ منها كل ما يلزم للعناية

بحياتنا الروحية، من أسرار مقدسة في سر التوبة والاعتراف، والتناول من جسد الرب ودمه.

🕮 ولدينا الوحي، بتوقع قيامة الأموات في العالم الآتى.

🕮 كل هذه في أنقى وأطهر صورة. لم تكن واحدة من هذه جميعها منا بل كلها هبات من الله، هكذا ترى معى بالوسائل التي تحيط بك لتسير في الحياة، ربما تبدو لك أنها طبيعية في ملئها، ولكن ولا واحدة من تلك الوسائل ثمرة لمحاولاتك، بل كلها معطاة لك.

🕮 أنك مدعو لوليمة الحياة المعدة سابقا، فإن كان لى ولك شيء من هذا القبيل لنفتخر به، فربما يكون كيفية استخدامنا لهذه الوسائل جميعها. لأننا إن تناولناها بصورة كاملة نقتنى ثياب العرس الذي به نحضر الوليمة. فهل في هذا مجد لنا؟

🕮 أما يليق بنا بالأحرى أن نخاف لئلا يأتى مضيف الوليمة الكريم ويقول لنا: "إن هذه وليمة عظيمة، ولكن أين ثيابك؟".

🕮 والآن دعنا ننظر عن قرب إلى هذا الثوب.

🕮 إن ثوب النفس يتكون أصلا من إحساسات تقوية فاضلة، ومشاعر متعمقة فيه، وليس في الأعمال وحدها.

🕮 ولكن من حيث أن هذه الإحساسات والمشاعر مخبأة في الداخل، فنادرا ما تسبب حالات مجد باطل، أو كبرياء.

🕮 أما الأعمال المنظورة فإنها تتراقص أمام عيوننا. وحيث انها اختيارية لذلك تولد في الفاعل شعور الأهمية الذاتية والرضى عن النفس. أما تأثيرهم الخارجى. فهو تحريك شهادة المديح من الآخرين على أعمال الإنسان، وهذا يعمق شعور الأهمية الذاتية، ويجعل الزهو والإعجاب بالنفس يتأصلان.

🕮 لذلك فنفحص أعمالنا لنرى هل لنا أي شيء نقدر أن نفتخر به بلا

منازع. لماذا الافتخار اذن لنذكر أن فخرنا فقط يكون عن الأشياء الناتجة من إرادتنا الشخصية مباشرة، وتكون معمولة بنا وحدنا، دون أن يشترك معنا فيها آخرين.

🕮 ولكن أنظر كيف تأتى أعمالنا. ومن أين تبدأ؟ إنها ظروف معينة تتكون وتتهيأ، وتقود إلى عمل أو إلى آخر.

🕮 أو فكرة تأتى للذهن لعمل شيء، أو لعمل آخر.

🕮 أما عن اتفاق الظروف فهذا لا يأتى منا، وواضح أيضاً أن الفكر ليس منك شخصيا، بل آخرون قالو ا لك عنه، وهذا لا يكون علة للمديح. فافحص الآن كم من الأعمال تقوم بها من هذا النوع؟

🕮 إذا فحصنا كل شيء بضمير خالص، سنجد أن جميع أعملنا تبدأ بهذه الطريقة، ولذلك ليس لدينا اطلاقا ما يجعلنا نفتخر به!

🕮 اجتهد أن يكون مدحك من الله، إن كنا نمدح أنفسنا على شيء ما، فإنما على بعض الأشياء التي عملناها. لأنه مهما كانت الاندفاعات الخارجية والداخلية لعمل شيء ما، فالقرار بإنجاز الفعل يتوقف دائما على إرادتنا. ولكن ليس كل قرار لعمل شيء صالح دائما صحيح.

🕮 فالقرار يكون صحيحا إن جاء متفقا مع إرادة الله، ونابعا من طاعتنا لإرادته، ولكن بمجرد تقرير شيء لإرضاء النفس، أو لإرضاء الآخرين، يكون هذا القرار غريبا، ورديئا ومظلما.

🕮 أحيانا نقرر القيام بعمل ما خوفا مما سيقوله الناس عنا إن لم نعمله. وأحيانا نعمل متوقعين كسبا، أو إرضاء معينا، إما في الحاضر، أو في المستقبل. وأحيانا ببساطة نقوم بالعمل ليس لأننا نريده، بل لأنه يجب أن نعمله. مثل هذه الأعمال لا تحسب أنها أعمال صالحة خالصة، رغم أنها ممدوحة في مظهرها، ولكن في داخلها أمام الله، وأمام الضمير ليست كذلك.

📖 فلنفحص كم من اعمال التي لنا من هذا النوع؟ لمرة أخرى نضطر أن نقرر أن ليس لنا أيضاً ما يمكن أن نفتخر به. هكذا، بالفحص الدقيق نرى أن أعمالنا الصالحة لا تعطينا فرصة أن نفتح شفتى الافتخار أمام آخرين، أو ندق لها طبولا لأنفسنا في دواخلنا.

📖 أما أن تذكرنا كل الأعمال التي نستحق ان نلام عليها - الأعمال الباطلة، الفارغة، التي بلا فائدة، والضارة، والمخالفة للناموس، المكروهة أمام الله، والتى هي من صنعنا بالحقيقة.

📖 إذا تذكرنا أن هذه الأعمال غير مقبولة، فإننا سنذكر أننا نحن أيضاً غير مستحقين للقبول!! افحص دواخلك أولا. سأضيف شيئا آخر ككل أعمالنا المعمولة علانية، في البيت وفى العمل، وفى المجتمع تكون مقياسا لسلوكنا.

📖 وإذا نظرنا حولنا لا يمكننا إلا أن نقول أن سلوكنا صحيح بوجه عام. ولكننا لا نستطيع أن تؤكد أن وضعنا الداخلي صحيح.

📖 كذلك فإن عيون الناس الذين حولنا تؤثر في نمط سلوكنا تأثيرا كبيرا. فالذين يشاهدونا يجبرونا الانعطى فرصة للشر المضطرم في قلبنا، أن يظهر، ونخفى الشر، ونظهر بالسلوك الصحيح.

📖 ولكنا ما ان يختلف سلوكنا تماما حين نتأكد أنه لا توجد عيون أخرى ناظرة إلينا. فيحدث لبعض الناس بمجرد تغيير ظروفهم الخارجية ومعيشتهم بأكثر حرية.

📖 إن كل ما كان مكتوما من قبل، ينفجر كالبركان، وينقلب الإنسان الذي كان يسلك حسنا، ويصبح سكيرا، فاسقا أو حتى لصا.

📖 كل هذه الدوافع الشريرة لم تكن بنت ساعتها، بل كانت موجودة سابقا، ولكنه كان يستنكر التعبير عنها.

📖 أما الآن وقد أطلق له العنان بحرية، ظهر على الملأ. ولكن رغم

خصيصية أن هذه الأمور كونها مجرد شيء داخلي، لم يكن ظاهرا، إلا أنها في الواقع تغيير مرتقب.

📖 مثل هذه الأمور كلها سكيرا، فاسقا، ولصا - رغم أنه قد يبدو من الخارج عكس ذلك. فتأمل جيدا في ذاتك فربما أنت أيضاً تنطوى تحت هذه المجموعة من الناس. فإن كان الأمر كذلك، ولو بدرجة صغيرة، فليس لك حق الافتخار، أو الارتكان على المديح. والنتيجة: أنك بمساعدة الإيضاحات المذكورة سابقا، يمكنك البدء في عمل إحصاء دورى عن حياتك.

📖 عندما يبدأ العدو أن يدق الطبول في أذنيك قائلا: كم أنت رجل صالح، ويحاول أن يجد الاستجابة منك بانشغالك في الزهو بنفسك، وتقدير ذاتك، يصاب بخيبة أمل، ويطرد في الحال.

📖 بالإتضاع المتزايد، وأفكار تحقير الذات، والشعور بمسكنة النفس. التى يجدك منشغلا بها عن سماع دقات طبوله، ومعسول كلامه.

كتاب المحاربات الروحية - الجزء الثاني - صفحة ١٠٣ - ١١٩

التدرب اليومى على الفضيلة

📖 **الاستعداد الداخلي:**

📖 على من يتوق إلى اكتساب الفضائل، أن يكون كبير النفس، قويا في إرادته، شجاعا، ذا عزم ثابت قوى، لا يعرف التراخى، أو الفتور.

📖 وليعرف مقدما أن كثيرا من العقبات، والمجاهدات الصعبة، والعديدة تنتظره، لكي يكون مستعدا لاحتمالها كلها، والقيام أمامها بثبات. وعلى أساس هذا التدبير، ينبغى أن يكون لديه حبا قويا لكل فضيلة، بل ولكل الحياة الفاضلة، وغيرة ملتهبة لنيلها، وفى هذا تكون قوته التي تحركه في درب الفضيلة الشاق.

📖 وينبغى أن يكون دائما حارا بالروح، لئلا يصيبه الوهن، ويجهد لدرجة معها يتوقف عن الحركة، لذلك لا تهمل أن تحتفظ بغيرتك

ملتهبة نحو الفضيلة. وليمتلئ قلبك بمشاعر حب الحياة الفاضلة، المرضية أمام الله. وكم تكون هذه الحياة سامية وجميلة في ذاتها، وكم هي ضرورية ومفيدة لنا: لأنها بداية كمالنا ونهايته.

📖 عمل كل صباح ومساء:

📖 لذلك حاول في كل صباح أن تفحص جيدا ذاتك، وتعمل حساب الظروف المحتمل أن تأتى أثناء النهار، والتى ربما تتيح لك فرصة لتعمل خيرا ما، وأرفق هذا برغبة ثابتة، وتصميم أكيد بأن تستفيد من تلك الظروف بلا فشل.

📖 وفى المساء افحص نفسك، عما إذا كانت أفكارك الصالحة، ورغباتك الخيرة التي كانت في الصباح قد تحققت، وكيف تحققت؟

📖 وفى الصباح التالي جدد نفس النوايا، والرغبات بحرارة، ونشاط أكثر، ولتكن شهوتك، هي تحقيقها تماما.

📖 كل الأمور تعمل للخير: حاول أن توجه كل شيء نحو ممارسة الفضيلة المعينة، التي قررت أن تقتنى بركاتها لنفسك.

📖 وخذ لك أمثلة من سير القديسين.

📖 والتأملات في حياة وآلام ربنا يسوع وكل الأمور الأخرى المعتبرة أنها ضرورية ومناسبة، كي تحصل منها على نجاح في الفضائل، وفى الحياة الروحية، ووجهها جميعا نحو الفضيلة المنشغل قلبك فيها.

📖 وفى نفس الوقت، حاول أن تستغل الأحداث العرضية اليومية مهما اختلفت، ليس فقط لتمنعها من إفساد نظام تدريبك في الفضيلة المعينة التي تشغل كل اهتمامك، بل لتكن هذه الأحداث سببا لتقوية، وتعميق الفضيلة فيك.

📖 أما عن الحد الأقصى لتأصل العادات الفاضلة فيك، وهو حالة إتمامها بنفس السهولة والاستعداد كأعمالك الأولى التي عاكستها.

📖 أو بالحري بالسهولة التي تشبع الاحتياجات الطبيعية لوجودك، هذا

يعنى أن تكون عادة الفضيلة، كما لو كانت جزءا من طبيعتنا.

📖 وسأذكرك بما قلته من قبل: انه بمقدار كثرة الصعوبات التي تقابلها، سواء كانت خارجية، أم داخلية، التي في محاولاتها لتكتسب فضيلة ما، بمقدار السرعة، والعمق، التي تمتد بها جذورها في نفوسنا، هذا إن كنا سنشتاق أن تتغلب عليها بعزم ثابت وبدون إشفاق على الذات. وصية الرب فتشوا الكتب:

📖 ان تلاوة الأقوال المناسبة من الأسفار المقدسة، أو مجرد ترديدها ذهنى، لها قوة عجيبة لتطبع في عقولنا صورة الفضيلة التي نبحث عنها، وتنهض الاشتياق لها في القلب.

📖 وهذه أعظم معو نة ننالها في اشتياقنا لبلوغ الفضيلة!

📖 لذلك فتش في الأسفار المقدسة، عن آيات مناسبة تختص بالفضيلة التي تبحث عنها، واحفظها عن ظهر قلب، حتى تجدها في متناول يدك، كررها ذهنيا وبكثرة بقدر ما تستطيع، لا سيما حينما يبدأ الوجع المعاكس أن يتحرك فيك.

📖 مثال ذلك: إن كنت تعمل لتبلغ فضيلة الصبر. عليك أن تختار، وتحفظ عن ظهر قلب، وتردد الآيات من الكتاب المقدس:

📖 "بطيء الغضب كثير الفهم" ام ٣٤

📖 "رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر" مز ٩

📖 "الويل للذين تركوا الصبر" سى ٢

📖 "البطئ الغضب خير من الجبار ومالك ر وحه خير ممن يأخذ مدينة" أم ١٦، "بصبركم اقتنوا أنفسكم" لو ١٢

📖 "لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" عب ١٢

📖 "ها نحن نطوب الصابرين" يع ٥

📖 "طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة" يع ١

📖 "أما الصبر فليكن له عمل تام" يع ١

📖 "لأنكم تحتاجون إلى الصبر" عب ١٠

🕮 صلوا لكيلا تدخلوا في تجربة:

🕮 أضف إلى هذا صلواتك القصيرة الخاصة: الآتية او التي على مثالها، يا إلهي متى يتذرع قلبى بالصبر! متى احتمل كل مذمة بقلب غير مضطرب، حتى تبتهج في يا الله.
🕮 "علمنى ياربى كيف أرحب بالشدائد، التي تجعلنى متشبها بك يا يسوع ربى" يا من احتملت من أجلى!
🕮 آه يا يسوع، أعطنى ولو لفترات أن أعيش بلا اضطراب، بين ألوف الضيقات لمجدك، طوبى لى إن كنت ألهب رغبة الاحتمال وسط نيران المحن، مشتهيا احتمال شدائد أكبر بقدر أعظم.
🕮 ولكي تحرز تقدما في الفضائل، ينبغى أن تكون مثل هذه الصلوات بروح ايمان وتقوى، فإن مثل هذه التي تبتدئ: الصلوات القصيرة تعتبر بحق كقول النبى "طرقا إلى هياكل الله في القلب" مز ٨٤
🕮 من قلب مملوء بالإيمان والرجاء، صاعدة الى السماء، وتصل الى اذان الله. مز ٣٨:١٠. خفقات لا تتغافل عنها مراحم الرب. "هذه هي الصرخات التي تسمع وتستجاب من الله الجزيل. ولكن على الانسان لأن يضيف إلى تلك الصلوات إحساسين عميقين يكونان: كجناحين لها {أي الصلاة}.
🕮 الأول: ان الله يفرح عندما يرانا جادين لنصل إلى الفضيلة.
🕮 الثانى: أننا ونحن مملوئين بكل رغبة لنبلغ كمال الفضيلة، لا نبغى شيئا سوى إرضاء الله وحده، وهذا أيضاً يفرح قلب الله.
كتاب المحاربات الروحية ـ القديس ثوفان الناسك ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١٣ ـ ١٧

🕮 **علامات التقدم في الفضيلة:**
🕮 مستحيل أن نحدد نظريا الوقت الذي يستغرقه الإنسان للتدرب على فضيلة معينة كي يستمر فيها، فكل شخص عليه أن يحدد هذا الأمر من نفسه. مراعيا حالته وظروفه ودرجة تحصيله في الحياة الروحية.

📖 وعلى الأخص بحسب حكم رئيسه، أو الأب الروحى الذي يواجهه وكقاعدة عامة، كلما كان الشخص متلهفا للحصول على النجاح، ورغبته في ذلك دائمة الحياة، ولم توقفه أي عقبة ولم تعص عليه وسيلة، كلما كان في تقدم مطرد.

📖 **علامات التقدم:**

📖 وعلامة التقدم، هي: اتباع الشخص طريق الفضيلة بغيرة، بعدما ابتدأ المسير فيه، وهو عاقد العزم الايتركها أبدا، مهما بلغت صعوبتها، ومهما كانت التضحيات التي ربما تلزمه بها، بالرغم من أوقات برودة النفس وظلمتها، حينما يحل الجدب الروحى، ويفقد الإنسان كل التعزيات والأفراح المباركة، وكل ما تسمح به عناية الله من أجل خيرنا.

📖 **ضعف مقاومة الجسد:**

📖 والعلامة الثانية التي تؤكد لنا النمو في الفضيلة، هي ضعف الحروب التي يثيرها الجسد ضد الأفعال الصالحة، وبقدر انخفاض درجة الممانعة للأعمال الخيرة، لأنه بقدر فقدان هذه الحرب لشدتها علينا بقدر وضوح تقدمنا في الفضيلة.

📖 كذلك حينما لا تحس بأى صراع، أو هجمات من جانب الحسيات الدنيئة الطبيعية، وبالأخص حينما تكون ظروف وجودها مائلة أمام عينيك، فثق أن فضيلتك قد وصلت إلى قوة كافية.

📖 ولكن العلامة الأولى، أي ازدياد غيرتك لممارسة الفضيلة عن ذى قبل علامة أكثر دلالة من العلامة الثانية أي هدوء المحاربات الجسدية على أنك تسير بخطى ثابتة في طريق الفضيلة.

📖 وكما نصح مار إسحق: "الشخص الذي ير غب بلوغ هدف معين، ويوجه كل أعماله وحياته نحو هذا الهدف عليه أن يسأل ذوى الخبرة عن العلامات والدلائل التي تبين ما اذا كان سائرا في الطريق

الصحيح أم انحراف عنه نحو فتح جانبى. وعليه أن يذكر هذه العلامات في ذهنه دائما" وقد ذكر القديس العلامات والدلائل الآتية:

🕮 **ضبط الفكر:**

🕮 ان وجدت عقلك مستعدا، أو مهيئا دائما، بحرية، وبلا تغصب، للأفكار الصالحة، فهذه علامة تقدم.

🕮 كذلك ان كنت في صلاتك لا يطيش عقلك هنا وهناك، ويتوقف لسانك فجأة في وسط فقرة معينة، ويسود على نفسك صمت وسكون، دون اختيار من إرادتك، ولاحظت أن مع كل فكر أو ذكرى صالحة، ومع كل تأمل روحي، تمتلئ عيناك بالدموع، وتجرى بحرية على خديك.

🕮 أو إن كنت في بعض الأوقات ترى عقلك بدون بذل أي جهد منك، غائصا في أعماق قلبك، ويمكث في تلك الحالة ربما لمدة ساعة، بينما يملك السلام على افكارك، فكل هذه علامات تقدم حسن في طريق الحياة الروحية التي تمارسها.

🕮 **عدم الثقة بالذات:**

🕮 ولكن من الخطأ أن نكون متأكدين جدا اننا قد أكملنا بناء الفضيلة المطلوبة، أو اننا غلبنا بعض الأوجاع نهائيا، حتى وان اختفت ضغطاتها وتأثيراتها لوقت طويل.

🕮 هذه ربما تكون حيلة يخفيها مبغضى البشر، ومكيدة يحكيها الشيطان. واحتيال من الخطية الساكنة فينا! فننخدع في أنفسنا وتتغذى الكبرياء المختفية فينا.

🕮 زيادة على ذلك، اننا لو فكرنا في الكمال الذي يدعونا الله اليه، فحتى لو كنا قد قطعنا شوطا طويلا في طريق الفضيلة سنحس بقصورنا، وسنكون مستعدين اننا بالكاد بدأنا الدخول في الحياة الواجب سلوكنا فيها.

📖 هذا هو سبب نظرة الآباء القديسين إلى أكمل حياة بين الناس أنها ناقصة، أي غير خالية من الأخطاء.

📖 يقول القديس يوحنا الدرجى: "حتى كمال الكاملين ليس كاملا، والقديس بولس يرى الكمال في دوام الامتداد والتقدم، دون النظر إلى الوراء، أو التفكير في أننا قد بلغنا ما ننشده، لذلك وصف ذاته انه لم يصل إلى الكمال، ولم يبلغ ما كان ينشده قائلا: "ليس انى نلت، أو صرت كاملا، ولكنى أسعى لعلى أدرك.

📖 أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسي أنى قد أدركت ولكنى أفعل شيئا واحدا اذ أنا أنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" {في ٣:١٢-١٤}؟ يريد أن يبين أن كمالنا في هذا وحده أضاف "فليفكر هذا جميع الكاملين منا"

📖 الكمال ليس في الظن بأننا قد بلغنا الكمال، فحياة الفضيلة لا تتوقف عند حد بل تمتد إلى الأمام باستمرار.

📖 **الأوجاع المستترة:**

📖 زيادة على ذلك، توجد في قلوبنا أوجاع كامنة دقيقة، حتى أننا لا نعرف كونها اوجاعا على الاطلاق. فكيف نتغطرس، ونفكر أننا قد تنقينا تماما من الأوجاع؟ إن كانت عيون داود النبوية الحادة لم تكشف تلك الأوجاع في ذاته، فكيف تدعى نحن القدرة لذواتنا اننا نرى كل ما بأنفسنا منها؟

📖 لم يكن داود يكف عن الصلاة لله قائلا: "السهوات من يشعر بها. من الخطايا المستترة" فكم نحتاج نحن أن نتوسل إلى الله ليطهرنا من أوجاعنا الدفينة؟ لأننا لا نستطيع أن نعرف ونحس بقوة هذه الأوجاع، وتأثيرها وتشعباتها وجذورها إلا باستنارة من الروح القدس. لذلك فنحن نعرف أوجاعنا عندما تكون فعالة فقط، لكن

بمجرد أن تهدأ نتخيل أننا قد وصلنا إلى حالة انعدام الأوجاع.

🕮 **كيف نعرف أن الأوجاع لم تمت بعد في قلبنا ولكنها هامدة فقط؟**

🕮 يمكنك أن تعرف بأن الأوجاع لم تزل حية فيك بهذه العلامة:

🕮 إن صادفك موقف معين يغذى أوجاعك المختبئة فيك، لاسيما إن حدث هذا فجأة وبدأت الأوجاع تظهر، وأحسست بوجودها، أحيانا بحركات غاية في العنف، حتى أنها توقع الاضطراب، فلا تعجب، فان الأوجاع مختبئة فيك وحانت لها فرصة للظهور، وهكذا خرجت من مخبأها ثائرة.

🕮 والقديس مار إسحق السريانى يشرح هذا بالتصوير الجميل التالى "تختفي الأعشاب والزهور عن وجه الأرض في فصل الشتاء، ولكن تبقى جذورها سليمة مختبئة في أعماقها، ولكن بمجرد أن تشعر بأمطار ودفء الربيع، تبدأ حالا في الانبات، وتغطى وجه الأرض"، هكذا أيضاً بالنسبة للأوجاع.

🕮 وكما أن الأرض العارية ينبت فيها الشوك والحسك طبيعيا، هكذا الطبيعة البشرية التي فسدت بالسقوط، وتعرضت لإثارات الخطية وهياجها، تثمر أوجاع تتولد عنها الخطايا، لذلك لا يمكننا أن نثق في طبيعتنا ونعتمد عليها.

🕮 الله إلهنا وحده الذي يعرف قلوبنا، إنه ينير للبعض، ويسمح لهم بمعرفة مدى تقدمهم في الفضيلة، ولكنه لا يسمح لآخرين بهذا، لأنه يعرف أن هذه المعرفة ستقود في الحالة الأولى إلى الاتضاع، بينما في الحالة الثانية ستقود إلى السبح الباطل.

🕮 وهو كأب محب يبعد عن الآخرين {أي في الحالة الثانية} السقوط في الخطية التي يبغضها بنوع خاص، ويعطى للأولين فرصة ليزدادوا في فضيلة الاتضاع التي يسر بها بنوع خاص.

📖 فحتى الشخص الذي لم يعط معرفة عن تقدمه يستطيع أن يكشف له الله بطريقة مناسبة {مدى تقدمه} إن كان لا يتوقف عن ممارسة الفضيلة، وإن كانت مسرة الله أن يكشف له هذا لخيره.

كتاب المحاربات الروحية - القديس ثؤفان الناسك - الجزء الثالث - صفحة ٣٢ - ٤٢

📖 قلنا في أحد الفصول السابقة أن التدرب على فضيلة واحدة في فترة معينة أفضل وأنفع للنفس من التدرب على فضائل كثيرة في الفترة الواحدة. وعلينا أن نستفيد من كل المواقف التي تقابلنا في حياتنا اليومية مهما اختلفت {هذه المواقف} للتدرب على نفس الفضيلة المعينة الواحدة. اصغى الآن، وسأبين لك إمكانية حدوث هذا بلا صعوبة.

📖 إن حدث مثلا أنك في يوم ما، أو خلال ساعة معينة، أن بعضهم وجه إليك لوما ظلما على تصرف معين لا يستحق اللوم في حد ذاته، أو رفض لك التماس معين، أو حدث أمر ما، أو أثيرت الشكوك حولك عن أمر رديء بدون وجه حق، أو إذا عانيت من مرض جسدى، أو أجبرك أحد رؤسائك لعمل شيء على غير رغبتك، أو قابلتك أمور أخرى محزنة، وغير محتملة، التي تصادفنا في حياتنا.

📖 حينئذ، بسبب الاختلاف الطبيعى لهذه الحوادث، أو ما يشابهها، فإنها تتطلب استجابات فاضلة مختلفة. ولكن من الأفضل توجيهها جميعا نحو تدريبك في الفضيلة المعينة التي تمارسها في ذلك الوقت تبعا للقاعدة التي تنفذها {فضيلة واحدة في الوقت الواحد}.

📖 هكذا إن كنت في وقت مصادفتك لهذه الحوادث المذكورة تدرب ذاتك أساسا على فضيلة الصبر، فاهتم باحتمال مثل هذه الأمور بصبر وفرح. وإن كنت منشغلا للتقدم في فضيلة الاتضاع، فليكن اشتياقك أن تتحقق أنك مستحق لكل نوع من الم، ومستوجب لكل الضيقات التي تقابلها.

📖 وإن كان عملك هو أن تكسب فضيلة الطاعة، اجبر نفسك أن تتحنى

بعنقك تحت يدى الله، بتسليم كامل لمشيئته مبتغيا رضاه، سلم برغبة لمخلوقاته سواء كان لها عقل وحياة، أو لم يكن، هؤلاء الذين عن طريقهم أرسل لك هذه الضيقات والشدائد.

📖 وانٍ كنت تتوق أن تنجح في فضيلة المسكنة، حرك في نفسك الشعور بالرضى، والفرح والشكر بأنك محروم من كل التعزيات الأرضية العالمية.

📖 وانٍ كنت تتدرب كي ترفع وتعمق فضيلة المحبة فيك، حاول ان تثير في ذاتك مشاعر محبة القريب. حيث أن هذه المشاعر في هذا الوقت تكون وسيلة الخير الذي ربما تناله بواسطتها، وحث نفسك على محبة الله. حيث انها الان كما هو دائما العلة الأولى للحب، وهو الذي ير سل لك مثل هذه الضيقات، أو يسمح بها من أجل تقدمك الروحي. قس على ذلك كيفية السلوك في الشدائد الكبيرة التي تستغرق وقتا طويلا كالمرض مثلا وغيره.

كتاب المحاربات الروحية ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢٩ ـ ٣١



{٧}

القديس أنبا مكاريوس

ارتباط الفضائل ببعضها

📖 فيما يخص الممارسة الخارجية.

📖 واي عمل منها هو الأفضل أو الأحسن.

📖 فاعرفوا هذا أيها الأحباء، أن جميع الفضائل مرتبطة بعضها ببعض. فكل فضيلة مرتبطة بالأخرى مثل سلسلة روحية:

📖 فالصلاة مرتبطة بالمحبة. والمحبة بالفرح.

📖 والفرح بالوداعة. والوداعة بالتواضع. والتواضع بالخدمة.

📖 والخدمة بالرجاء. والرجاء بالإيمان. والإيمان بالطاعة.

📖 والطاعة بالبساطة.

🕮 وكذلك من الجهة الأخرى فان الرذائل مرتبطة إحداها بالأخرى:
🕮 فالبغضة مرتبطة بالغضب. والغضب بالكبرياء.
🕮 والكبرياء بالمجد الباطل. والمجد الباطل بعدم الإيمان.
🕮 وعدم الإيمان بقساوة القلب. وقساوة القلب بالإهمال.
🕮 والإهمال بالكسل. والكسل بالضجر. والضجر بعدم الصبر.
🕮 وعدم الصبر بمحبة اللذة.
🕮 وباقي أجزاء الرذيلة هي بالمثل متعلقة بعضها ببعض، كما انه من الجهة الصالحة، فان الفضائل متعلقة بعضها ببعض، ومرتبطة معاً.

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة الثامنة والثلاثون - صفحة ٢٧١

🕮 بينما كان أنبا بيمن وأنبا بفنوتيوس، التلميذ البار الحقيقي جالسين عند أنبا مقار، سأل أنبا أوغريس عن طهارة النية
🕮 فقال لهم أنبا مقار: إن طهارة النية هي كما لو كان إنسان يعطي ألف قطعة نقود باختياره وحسن نيته، فتكون عنده كفلس واحد، أما إذا أكرهوا نيته أن يعطي فلس واحدا، فيصير عنده كألف درهم، بسبب إكراههم لنيته

فقالوا له: ما هذا الكلام؟ فقال لهم أنبا مقار: ابحثوا وانظروا وافحصوا القول، فلما تفكروا وجدوا أن القول حقيقي، وللوقت صنعوا مطانية، وصلي عليهم وصرفهم، معطين المجد لربنا يسوع المسيح.
🕮 وسأله الأخ نفسه عن هذه الآية: "لكي يتجدد مثل النسر شباب"
🕮 فقال له أنبا مقار: مثل الذهب إذا حمي في النار يبقى نقي، هكذا أيضا النفس إذا سلكت في الفضيلة، تتطهر من أدناسها، ومن دناياها، فتتجدد حتى أنها تطير إلى الأعالي.

🕮 **وقال أيضًا أنبا مقار:**
🕮 طول الروح هو الصبر. والصبر هو الغلبة.
🕮 والغلبة هي الحياة. والحياة هي الملكوت.
🕮 والملكوت هو الله سبحانه.

📖 البئر عميقة بالنسبة لنا ولكنّ ماءها عذبٌ طيبٌ.
📖 الباب ضيق والطريق حرجة، ولكن المدينة ممتلئة فرحًا وسرورًا.
📖 البرج شامخٌ حصين ولكن داخله كنوز جليلة.
📖 الصوم ثقيلٌ صعب، لكنه يوصل الإنسان إلى ملكوت السماء.
📖 فِعل الصلاح عسرٌ شاقٌّ، ولكنه يخلِّص من النار برحمة ربنا الذي له المجد.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٢٩٧



📖 ١٠ـ فقد يحدث في أمر معين أن جانب الشر يكون أقوى في الأفكار التي داخلنا، ولكن في أمر آخر ينتصر فكر الإنسان، ويكون أقوى من الشر، إذ ينال عوناً وفداء من الله، فيقاوم الشر ويمقته.
📖 إذن فانه قد ينغلب في أمر، وفي أمر آخر ينتصر.
📖 فانه أحياناً يأتي إلى الله بحرارة، والشيطان يعرف هذا، ويرى أن ذلك الإنسان ينفر منه ويقاومه، وأنه أي الشيطان - عاجز أمامه.
📖 وما السبب في ذلك؟ السبب أن الإنسان له الإرادة، والرغبة أن يصرخ إلى الله، وفيه الثمار الطبيعية لمحبة الله، ثمار الإيمان بالله، وطلبه المجيء اليه.
📖 ففي أمور العالم الخارجية التي حولنا، فان الفلاح يفلح الأرض، ولكنه بالرغم من تفليحه لها، فانه يحتاج إلى وابل من الأمطار من فوق، فان لم يأت المطر من فوق فلا ينتفع الفلاح شيئاً من تفليحه الأرض. هكذا الأمر أيضاً في العالم الروحي، فانه هناك عاملان يؤخذان في الاعتبار.
📖 فأولاً، من الضروري أن يفلح الإنسان أرض قلبه بحريته، واختياره، وتعبه - فإن الله يريد أن يبذل الإنسان كل جهده، ويتعب، ولا يتكاسل - ولكن أن لم تظهر السحب السماوية وأمطار النعمة من فوق، فان الفلاح الروحاني لا ينتفع شيئاً من جهده وتعبه.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السادسة والعشرون ـ صفحة ١٩٥



📖 **النفس لها الاختيار بين الله والشيطان:**

📖 **٢٤-** ولنقل ببساطة، أن الله وملائكته يرغبون أن يجعلوا هذا الإنسان واحداً معهم، ليكون معهم في ملكوت الله. والشيطان أيضاً وملائكته، يرغبون أن يضموا الإنسان إليهم، ليكون معهم.

📖 والنفس موجودة في الوسط بين هذين الكيانين - والجانب الذي تميل إليه إرادتها فإنها تصير ملكاً له، وابناً له.

📖 فكما يحدث من الأب الذي يرسل ابنه إلى أرض غريبة، حيث توجد وحوش كاسرة، وحيات سامة في الطريق، فانه يعطيه أدوية وعلاجات يجهزه بها، حتى إذا قابلته الوحوش، أو التنانين لتهاجمه، فانه يستطيع أن يستعمل الأدوية ليقتلها.

📖 **الدواء السماوي والقلب النقي:**

📖 فاجتهدوا أنتم أيضاً في الحصول على الدواء السماوي، الذي هو شافي النفس، وواقيها، لكي بواسطته تستطيعون أن تقتلوا الوحوش السامة - وحوش الأرواح النجسة.

📖 فبالحقيقة انه ليس من السهل الحصول على قلب نقي، إلا بتعب، وجهد كثير، فانه بذلك يحصل الإنسان على ضمير نقي، وقلب طاهر، وينتزع منه الشر كله.

📖 **٢٥-** فانه يحدث أحياناً أن تأتي النعمة إلى إنسان، ومع ذلك لا يكون قلبه نقياً تماماً. وهذا هو السبب الذي يجعل كثيرين يسقطون، فانهم يسقطون لأنهم لا يصدقون انهم بعد نوالهم النعمة، لا يزال فيهم دخان وخطية، تستطيع أن تؤثر عليهم.

📖 وأما جميع الأبرار فانهم ارضوا الرب، وساروا في الطريق الضيق الكرب، وساروا فيه إلى النهاية.

📖 فإبراهيم رغم انه كان غنياً من جهة الله، ومن جهة العالم، إلا انه اعتبر نفسه "تراب ورماد" {تك ١٨: ٢٧}، وداود يقول انه "عار عند

البشر، ومحتقر الشعب، أما أنا فدودة لا إنسان" {مز ٢٢: ٦}.

📖 وبنفس الطريقة، فان كل الأنبياء، والرسل، قد أهينوا وشتموا، والرب نفسه، الذي هو الطريق، وهو الاله، حينما جاء إلى العالم لأجلك، وليس لأجل نفسه، ليكون مثالاً لك في كل ما هو صالح.

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة السادسة والعشرون - صفحة ٢٠٤ - ٢٠٥

📖 **النعمة والسقوط وحرية الاختيار:**

📖 **٩- سؤال:** كيف يسقط البعض بعد افتقاد النعمة؟!

📖 أفلا يصير الشيطان أضعف بواسطة النعمة؟!

📖 وحيث يكون النهار، كيف يمكن أن يكون هناك ليل؟!

📖 **جواب:** ليس أن النعمة تنطفئ، أو تضعف، بل أن إرادتك وحريتك تمتحن، لكي يتضح إلى أي اتجاه تميل.

📖 ولهذا، فان النعمة تعطي فرصة لوجود الخطية، وحينئذ تقترب أنت ثانية من الرب باختيارك، وتتوسل إليه أن تأتيك النعمة وتفتقدك.

📖 فانه مكتوب "لا تطفئوا الروح" {١تس ٥: ١٩}، فالروح نفسه لا يمكن أن ينطفئ، بل هو نور دائم، ولكن إذا كنت أنت مهملاً، فبعدم توافقك، وتعاونك مع الروح، فإنك تنطفئ، وتفقد الروح.

📖 وبالمثل يقول الكتاب أيضاً "لا تحزنوا الروح القدس، الذي به ختمتم ليوم الفداء" {أف ٤: ٣٠} وأنت ترى هنا، انه متروك لاختيارك وحريتك، أن تكرم الروح القدس، ولا تحزنه.

📖 واني أؤكد لك أن حرية الاختيار تظل باقية حتى في المسيحيين الكاملين، الذين يسبون بالصالحات، ويسكرون بها، والنتيجة انهم رغم تعرضهم لآلاف من الشدائد والشرور، فانهم يتجهون إلى الصلاح.

📖 **١٠-** وحينما يترك بعض الأشخاص من ذوي الرتب والثراء والنسب - يتركون أموالهم ورتبهم، ويلبسون ثياباً فقيرة رثة، ويقبلون المسكنة والإهانات بدلاً من التكريم والاحترام، ويحتملون الشدائد،

ويحسبون بلا كرامة، فانهم يفعلون هذا باختيارهم وإرادتهم.

📖 وصدقني أن الرسل أنفسهم الذين كانوا كاملين في النعمة، لم تكن النعمة تمنعهم من أن يفعلوا ما يريدون، أن رغبوا أحيانا أن يفعلوا شيئاً غير موافق للنعمة.

📖 إن طبيعتنا البشرية معرفة لكل من الخير والشر، والقوة المعادية تعمل عن طريق الحث والإغراء، وليس عن طريق الإجبار.

📖 وأنت تملك الحرية أن تميل إلى الاتجاه الذي تريده.

📖 ألم تقرأ ما هو مكتوب أن بطرس "كان ملوماً" {غل ٢: ١١}. وان بولس قاومه مواجهة. فرغم كل ما كان عليه بطرس من نعمة، فانه استوجب التوبيخ. وبولس مع كل الروحانية التي كان عليها فانه تشاجر مع برنابا، حتى فارق أحدهما الآخر {أع ١٥: ٣٩}.

📖 وبولس نفسه أيضاً يقول "أصلحوا أنتم الروحانيون مثل هذا.. ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً " {غل ٦: ١}.

📖 إذن فالروحانيون يجربون، لأن حرية إرادتهم باقية، والأعداء يحاربونهم ما داموا في هذا العالم.

📖 ١١- **سؤال**: ألم يكن الرسل يستطيعون أن يخطئوا لو أرادوا ذلك؟

📖 أم أن النعمة كانت قوية جداً فوق إرادتهم؟

📖 **جواب**: انهم لم يكونوا يستطيعون أن يخطئوا، لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يختاروا الخطية، لكونهم في النور، وفي ملء النعمة.

📖 وأنا لا أقول أن النعمة كانت ضعيفة فيهم، ولكن ما أقوله أن النعمة تسمح حتى للأشخاص الروحانيين الكاملين أن تكون لهم حرية الإرادة، وان يكون لهم السلطان أن يفعلوا ما يختارون. وان يتجهوا الاتجاه الذي يرغبونه. والطبيعة البشرية، إذ هي ضعيفة، لها الإمكانية أن تميل حتى مع وجود الصلاح، والنعمة فيها.

📖 وكما أن هناك أناساً يلبسون السلاح الكامل من الرأس إلى القدم، مع الدروع وغيرها من الأسلحة، فانهم حينئذ يكونون محفوظين في الداخل، ولا يستطيع الأعداء أن يهاجموهم، فانهم في استطاعتهم إما أن يستخدموا أسلحتهم ويحاربوا ويجاهدوا ضد الأعداء وينتصروا، أو أن يصالحوا الأعداء، ويعقدوا معهم صلحاً، ويكفوا عن محاربتهم، رغم انهم يملكون السلاح.

📖 وبنفس الطريقة، فان المسيحيين المسلحين بالقوة الكاملة، والذين يملكون السلاح السماوي يستطيعون أن أرادوا، أن يتصالحوا مع الشيطان ويكفوا عن الحرب. أن الطبيعة البشرية معرضة للتغير، والإنسان يستطيع إذا أراد أن يصير ابناً لله، أو ابناً للهلاك.

📖 وفي هذا يتضح أن حرية إرادتهم، هي التي تحدد ماذا يكون.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السابعة والعشرون ـ صفحة ٢١٢ ـ ٢١٤



📖 **١٣- سؤال:**

📖 يقول البعض أن الإنسان بعد أن ينال النعمة مرة، فانه يعبر من الموت إلى الحياة، فهل من الممكن لمن قد صار في النور أن تكون عنده أفكار غير طاهرة؟

📖 **جواب:** مكتوب "ابعد ما ابتدأتم بالروح تكملون بالجسد" {غل ٣: ٣}.

📖 وأيضاً يقول "البسوا سلاح الروح الكامل، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" {أف ٦: ١١}. وهذه النصوص تبين وجود وضعين:

📖 الأول هو الذي يكون فيه الشخص، حينما يكون لابساً سلاح الروح. والآخر حينما يحارب مع السلاطين والرؤساء ...

📖 ومكتوب أيضاً "لكي تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة" {أف ٦: ١٦}. وأيضاً "لا تحزنوا روح الله القدوس" {أف ٤: ٣٠}.

📖 وأيضاً "لأن الذين استنيروا مرة، وذاقوا موهبة الله، وصاروا شركاء الروح القدس وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً " {عب ٦: ٤}.

📖 فهناك أولئك الذين استنيروا، وذاقوا الرب، ومع ذلك يسقطون.

📖 ومن ذلك نرى أن الإنسان يملك الإرادة أن يحيا في توافق وانسجام

مع الروح، وأيضاً يملك الإرادة أن يحزنه.
📖 وهو يأخذ الأسلحة لكي يذهب إلى المعركة ليحارب الأعداء.
📖 انه بالتأكيد قد استنار حتى يمكن أن يحارب ضد الظلمة.
كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السابعة والعشرون ـ صفحة ٢١٥ ـ ٢١٦

📖 **٢١-** فلو أن النصرة الروحية بدون أي جهد، لما كانت المسيحية "حجر صدمة، وصخرة عثرة" {رو ٩: ٣٣}. ولما كان هناك إيمان، وعدم إيمان. وبذلك فإنك تجعل من الإنسان مخلوق الضرورة والإجبار، غير قادر على الاتجاه إلى الخير، أو إلى الشر.
📖 والقانون يعطى فقط لمن يستطيع أن يتجه إلى أي من الاتجاهين.
📖 يعطى لمن له الحرية أن يدخل المعركة ضد القوة المعادية.
📖 ولا يمكن أن يوضع قانون لطبيعة تسير بالإجبار.
📖 أن الشمس، والسماء، والأرض، لا تحتاج أن تسن لها قوانين، فان مثل هذه المخلوقات طبيعتها محكومة جبرياً، ولهذا السبب فإنها لا تنال، لا مكافأة، ولا عقاب.
📖 إن المكافأة والمجد، إنما هي معدة لمن يتجه إلى الصلاح.
📖 أما جهنم والعقاب، فهي معدة لهذه الطبيعة المتغيرة، التي في استطاعتها أن تهرب من الشر، وتلقي بكل كيانها إلى الجانب اليمين، أي جانب الصلاح والخير.

📖 فاذا قلت إن الإنسان طبيعته غير متغيرة، فهذا يخالف حقيقة الواقع.
📖 ثم إنك تجعل الإنسان غير مستحق لأي مجد، أو مدح من الله.
📖 فان الذي هو صالح ورحوم بطبيعته، لا يستحق أي مدح على ذلك، مع أن هذا {الصلاح والرحمة} امر محبوب ومرغوب. إن من لا يصير في حالة الصلاح باختياره، لا يستحق المدح، مهما كان الصلاح مرغوباً فيه.
📖 إن المدح إنما يستحقه ذلك الإنسان الذي يقرر هو شخصياً، ويتعهد مع الله بتعب، واحتمال، أن يكون الصلاح هو اتجاهه الشخصي،

واختياره الحر.



🕮 قوة العقل تعادل قوة الشرير والانتصار بقوة النعمة:

🕮 **٢٢-** فاذا كان معسكر الفرس، في مواجهة معسكر الرومان، فانه يخرج شاب مجنح من كل معسكر منهما، لهما قوة متساوية ليصارعا في المعركة. فبالمثل فان العقل البشري، والقوة المعادية، هما متساويان في القوة في حربهما ضد بعضهما.

🕮 فالشيطان يحث ويغري الإنسان لكي يتبعه.

🕮 والإنسان له قوة معادلة ليرفض إيحاءاته، ولا يطيعه بأي حال.

🕮 وكل من الشر والخير يعمل عمله، بالحث وليس بالإجبار.

🕮 ومعونة النعمة الإلهية تعطى لمن يختار الصلاح بحريته، وبدخوله في المعركة فانه ينال الأسلحة السماوية، التي يستطيع بها أن يغلب الخطية ويستأصلها.

🕮 فان مقاومة الخطية هي في حدود إمكانية الإنسان.

🕮 ولكن بدون نعمة الله، لا يستطيع أن يغلب الشر ويستأصله.

🕮 أما أولئك الذين يقولون أن الخطية هي عملاق جبار، والنفس هي كطفل، فهم مخطئون، فلو كان الأمر هكذا، حتى أن الخطية تكون في قوة العملاق، والنفس البشرية في قوة طفل صغير، فيكون الله حينئذ ظالماً، بإعطائه للإنسان قانوناً أن يحارب ضد الشيطان.

🕮 أساس الطريق الإلهي:

🕮 **٢٣-** أن أساس طريق الله هو هذا: الصبر الكثير، والرجاء، والاتضاع، ومسكنة الروح التي أوصانا بها الرب.

🕮 هي مثل علامات، ولافتات في الطريق الملوكي، لإرشاد المسافرين إلى المدينة السماوية، لأنه يقول "طوبى للمساكين بالروح، طوبى للودعاء، طوبى للرحماء، طوبى لصانعي السلام" {مت ٥: ٣} وهذه هي المسيحية. أما الذي لا يسير في هذا الطريق،

فانه يضل إلى حيث لا طريق، ويكون قد بنى على غير أساس.

📖 والمجد لتحننات الآب، والابن، والروح القدس، إلى الأبد آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السابعة والعشرون ـ صفحة ٢٢٠ ـ ٢٢٢

📖 **بماذا يوصينا الكتاب المقدس؟**

📖 **١٠- سؤال:** إذن فما الذي يوصي به الكتاب للإنسان أن يفعله؟

📖 **جواب:** سبق أن قلنا إن الإنسان عنده الاستعداد من طبيعته أن يرغب وان يشتاق، وهذا ما يطلبه الله. لذلك فان الله يأمر أن الإنسان ينبغي أن يعرف، وحينما يعرف، ينبغي أن يحب، وان يجتهد بإرادته. ولكن لكي ينشط العقل ويتحرك، ويتحمل التعب، أو لكي يكمل العمل، فهذا يحتاج إلى نعمة الله.

📖 وهذا ما تمنحه النعمة للإنسان الذي يرغب ويؤمن.

📖 لذلك فان إرادة الإنسان هي مثل أداة في طبيعة الإنسان، وحينما لا تكون الإرادة حاضرة، فان الله نفسه لا يفعل شيئاً، رغم انه يستطيع أن يفعل، وذلك بسبب حرية إرادة الإنسان.

📖 إن عمل الروح الفعال يتوقف على إرادة الإنسان. ومن الجهة الأخرى، إذا كنا نعطي ونقدم له كل إرادتنا، فانه ينسب كل العمل إلينا. عجيب هو الله في كل الأشياء، وهو فائق جداً فوق كل إدراكنا.

📖 ولكننا نحن البشر نسعى لشرح بعض عجائبه وأعماله، مستندين على الكتاب المقدس، أو متعلمين منه. فانه يقول: "من عرف فكر الرب" {رو ١١: ٣٤}. ولكن هو نفسه يقول: "كم مرة أردت أن اجمع أولادك ... وأنتم لم تريدوا" {مت ٢٣: ٣٧}.

📖 ولذلك فنحن نؤمن هنا انه هو الذي يجمعنا، ولا يطلب منا شيئاً سوى أن نريد ونرغب، ولكن ما هو الذي يثبت ويظهر الإرادة إلا العمل الذي يعمل باختيار وحرية؟

📖 ١١- لأنه كما أن الحديد يستعمل في نشر الخشب ـ أو كفأس للقطع

- أو كمحراث للحرث والزراعة، ولكن يوجد إنسان هو الذي يحركه ويقوده، وحينما يتقادم ويبلى بالاستعمال، فانه يوضع في النار ويشكل من جديد كأدوات للاستعمال.

هكذا أيضاً فان الإنسان حينما يتعب، ويجهد جداً في عمل ما هو صالح - مع أن الرب هو الذي يعمل فيه في الخفاء في هذا التعب - وحينما يتعب جداً فان الرب يعزي قلبه، ويجدده كما يقول النبي: "هل تفتخر الفأس على القاطع بها، أو يتكبر المنشار على مردده" {أش ١٠: ١٥}.

وهكذا بالمثل في حالة الشر، حينما يطيعه الإنسان، ويجعل نفسه مستعداً له، فحينئذ فان الشيطان يجذبه، ويسنه كما يسن اللص سيفه.

لقد شبهنا القلب بالحديد بسبب قلة حساسيته للأشياء، وشدة قسوته.

ولكن لا ينبغي أن نجهل مثل الحديد الذي لا يحس - ذلك الذي يمسك بنا {لأننا لو كنا نحس فأننا لم نكن نتحول هكذا سريعاً من كلمته المغروسة فينا إلى أفكار الشرير}، بل بالأحرى نكون كالثور والحمار، أي أن نعرف ذلك الذي يقودنا، ويوجهنا في طريقه بحسب مسرته، لأنه مكتوب: "الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرفني" {أش ١: ٣}.

لذلك فلنصلي طالبين نوال معرفة الله، ولكي نتهذب في القاموس الروحاني لحفظ وصاياه المقدسة، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة السابعة والثلاثون - صفحة ٢٦٥ - ٢٦٧



قال القديس مكاريوس الكبير:

إن طول الروح هو: "صبر". والصبر هو: "الغلبة".

والغلبة هي: "الحياة". والحياة هي: "الملكوت".

والملكوت هو: "الله سبحانه وتعالي".

📖 البئر عميقة، ولكن ماءها طيب عذب. الباب ضيق، والطريق كربة، ولكن المدينة مملوءة فرحاً وسروراً. البرج شامخ حصين، ولكن داخله كنوز جليلة. الصوم ثقيل، صعب. لكنه يوصل إلى ملكوت السماوات. فعل الصلاح عسير شاق، ولكنه ينجي من النار، برحمة ربنا الذي له المجد.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٦٠



📖 **قال القديس مكاريوس الكبير:**

📖 "إن أردت أن يقبل الله دعاءك فاحفظ وصاياه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٠



{٨}
قديسين أخرون

📖 **تعاليم الأب يوحنا وكيف تنال الفضيلة:**

📖 عندما ذهبنا من دير جثيماني المقدس إلى جبل الزيتون، وإتجهنا إلى دير يعرف بدير الأب أبراهام، والذي أنشأه الأب العظيم أبراهام، والذي أصبح رئيسا للدير هناك بعد أويوكسيوس كان رئيس هذا الدير هو الأب يوحنا.

📖 وفي أحد الأيام قمنا بسؤاله عن كيفية نيل الفضائل.

📖 فأجاب الأب يوحنا وقال: إذا أراد أي شخص أن ينال فضيلة معينة عليه أولا أن ينجح في التغلب على نقيض هذه الفضيلة.

📖 فإذا رغبت في أن تكون حزينا فأرفض الضحك.

📖 وإذا أردت أن تصبح متواضعا فأكره الكبرياء.

📖 وإذا أحببت الاعتدال فابتعد عن الجشع.

📖 وإذا أردت أن تصبح نقيا فأكره النجاسة.

📖 وإذا تطلعت إلى التقشف فتخلص من الممتلكات المالية.

📖 وإذا رغبت أن تكون عطاء فابتعد عن اكتناز المال.

📖 وإذا أردت أن تعيش في البرية فلا تتملق حياة المدنية.

📖 أي إنسان يرغب في حياة الانضباط والصمت يجب عليه أن يمقت كثرة الكلام. ومن يرغب أن يكون غريبا فعليه أن يرفض المباهاة. ومن يرغب أن يكون متحررا من الغضب، فعليه ألا يتصل بمن يعيش في العالم.

📖 ومن يريد أن يكون متسامحا، فلا يجب عليه أن يدين أحدا.

📖 ومن يريد ألا يعيش منزعجا، فعليه أن يعيش منعزلا.

📖 ومن يحب أن يتحكم في لسانه، فعليه أن يغلق أذنيه تماما حتى لا يسمع كثيرا.

📖 ومن يريد أن يعيش حياة في مخافة الرب، فيجب ألا يرفه جسده وأن يعشق الألم، وهنا سيخدم الرب خدمة لا يشوبها شائبة.

كتاب المراعي الروحية - تعريب أبونا إشعياء ميخائيل - من قصة رقم ١٨٤

📖 ٣٤- هؤلاء الذين لا يعتبرون أنفسهم تحت الالتزام، بأن يتمموا كل وصايا المسيح، يدرسون ناموس الله بطريقة حرفية، وهم «لا يفهمون ما يقولون، ولا ما يقررونه» {اتي ١:٧} ومع ذلك، فإنهم يعتقدون إنهم يستطيعون أن يكملوه بواسطة أعمالهم الخاصة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٠٩

📖 الإرادة الحرة: هي قوة النفس التي على صورة الله، في أن توجه ذاتها بالاختيار المتعمد تجاه، ما قد قررت مهما كان، لنتأكد من أن نفسنا توجه ذاتها بتعمد الى ما هو صالح فقط، حتى إننا نفنى تذكرنا للشر بالأفكار الصالحة.

📖 نور المعرفة الحقيقية: هو قوة التمييز بدون خطأ بين الخير والشر. حينئذ يقود طريق البر الفكر تجاه شمس البر، ويحضرنا الى الاستنارة الغير محدودة التي للمعرفة الروحية، حتى إنه من الآن فصاعدا سوف ينمو بثقة أكثر فأكثر في طلبه للحب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٤٧



١٩- سمات النفس النقية: هي الذكاء بدون حسد. {و} الطموح الخالي من الخبث، وحب غير منقطع لرب المجد. عندما يكون للنفس هذه السمات حينئذ يمكن للفكر أن يحدد بدقة كيف سَيُحاكم، ناظراً نفسه ماثلا للقضاء أمام أكثر المحاكم كمالاً.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥١

١٧- البعض يعتقد أن ممارسة الفضائل تشكل الشكل الأكثر حقيقة من المعرفة الروحية، في هذه الحالة يجب أن نبذل قصارى جهدنا لكي نظهر إيماننا ومعرفتنا من خلال أفعالنا. ومن يثق ثقة عمياء بالمعرفة وحدها، يجب أن يستدعى الى ذهنه الكلمات: "يعترفون بانهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه" {تى ١٦:١}.

الفيلوكاليا - القديس يوحنا الكرباثى - لأجل تشجيع الرهبان في الهند - صفحة ٢٩٣

قال أنبا أغاثون: "إن لم يحفظ الإنسان وصايا الله، لا يمكنه أن يتقدّم، ولا حتى في فضيلةٍ واحدة".

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٦٨



قال شيخ:

"إن حزني لكثير على راهب، يكون قد ترك أهله ومقتنياته، والزم نفسه الغربة من اجل الله، ثم يرجع يسترخي في وصاياه، فيذهب بعد ذلك إلى العذاب. فلنفرح بتكميل وصايا الرب، وبنجاح إخوتنا. ولنحفظ أنفسنا من فرح العالم بالرب".

قال: "إذا فرحنا بإتمام الوصايا فهذا هو فرح بالرب".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩٠



قال أنبا أغاثون: "بدون حفظ الوصايا الإلهية، لا يستطيع أحد أن يقترب إلى واحدة من الفضائل".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩٠



{٩}

القديس الأنبا أنطونيوس

📖 **قال القديس أنطونيوس:**

📖 السيرة المستقيمة، والإيمان بالله، هما سلاحٌ عظيمٌ مقاومٌ للشياطين، الذين يخافون من الصيام، والنسك، وسهر الليل، والصلاة، والهدوء، والوداعة، وبغضة الفضة، والافتخار، والتواضع، ومحبة المسكنة، والرحمة، وعدم الغضب، وفعل البرّ في المسيح، لأنّ الشياطين يجاهدون جدًا الاي ُقهَروا.

📖 فلنذكر نحن في قلوبنا أن الرب كائنٌ معنا في كل حين، فلا تقدر الشياطين أن تصنع بنا شيئًا، وإن رأوا أننا خفنا، وضعفنا، يجعلون الخوف يزداد بالأكثر في قلوبنا بأفكارهم، فإذا وجدونا فرحين بالرب في كل حين، وأننا نفكِّر في قلوبنا في الخيرات العتيدة، ونتكلم فيما للرب، ونفكِّر قائلين: إنّ كل شيء هو بيد الرب، فإن الشياطين لا تقدر أن تصنع شيئًا، ولا لهم سلطان في شيء من الأشياء البتّة، فإذا وجدوا النفس محصّنةً بهذه الأفكار، هكذا يخزون للوقت، ويرجعون إلى ورائهم، لأنه هكذا وجد العدو أيوب، محصّنًا ثابتًا فتباعد عنه، عندما لم يقدر أن يُميل فكره عن الله، ولأجل هذا افتُضِح.

📖 فكمال كل الفضائل، أن يكون الإنسان ثابتًا متقوِّيًا بكل قلبه، وكل نفسه بالرب، ولا يحيد عنه بالجملة، بأي حال، ولا في أي وقت، بل يكون متحدًا بأفكاره مع الله، لأنّ الله هو متحدٌ معنا بإيماننا به.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٢

📖 **سأل أنبا بأمو القديس أنطونيوس:**

📖 عمّا يصنعه لأجل خلاصه، فقال له الشيخ: لا تتكل على برِّك، ولا تصنع أمرًا تندم عليه، وامسك لسانك وبطنك وقلبك.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٤



طاعة وصايا الله

📖 **وقال أيضًا:**

📖 "إنه بالطاعة، والتمسكن، تخضع لنا الوحوش".

📖 وقالوا له: ما معنى قول الرسول: "افرحوا بالرب"؟

📖 فقال: "إذا فرحنا بعمل الوصايا، فهذا هو الفرح بالرب، فلنفرح بتكميل وصايا الرب، وبنجاح إخوتنا، ولنحفظ أنفسنا من فرح العالم، والضحك، إن أردنا أن نكون من خواص ربنا، لأنه قال "إنّ العالم يفرح، وأنتم تبكون" {يو١٦: ٢٠}، وقال إنّ "الويل للضاحكين وطوبى للباكين" {لو٦: ٢١و٢٥}. ولم يُكتب أنه ضحك قط، وكُتب أنه حزِنَ ودمعت عيناه {يو١١: ٣٥}".

📖 **وقال أيضًا:** "إن أُمِرتَ بشيءٍ يوافق مشيئة الله فاحفظه، وإن أُمِرتَ بما يخالف الوصايا فقُل، إنّ الطاعة لله أَولى، من الطاعة للناس، واذكر قول الرب إنّ "غنمي تعرف صوتي وتتبعني ولا تتبع الغريب" {يو١٠: ٤و٥}".

📖 **وقال أيضًا:**

📖 "إذا أعطيت نفسك لله، فاحذر من جميع الخطايا، واعمل بوصية الله، ولا ترفضها، فإنك إذا رفضتها، فلن تُغفر لك خطيتك الأولى، وإن تمسّكتَ بها، فتحقّق أنه قد تُرِكت لك جميع خطاياك الأولى".

📖 **وقال أيضًا:**

📖 "إنّ الجمل لا يُعطَى إلاّ قليلاً من الغذاء، فيحفظه داخله، إلى أن يدخل حظيرته، فيسترجعه ويجترّه حتى يتغلغل في عظامه ولحمه، أما الحصان فيُعطَى غذاءً كثيرًا، فيأكله لساعته، ثم يفقد ما أكله سريعًا، فالآن إذًا، نحن لا ينبغي أن نكون كالحصان، بمعنى أننا نتلو

أقوال الله في كل وقت، ولا نعمل بأيٍّ منها، ولكننا ينبغي أن نتشبّه بالجمل، مردِّدين كل كلمةٍ من الأسفار المقدسة، مراعين إياها حتى نتمِّمها، لأنّ الذين أكملوا هذه الأقوال، كانوا بشرًا تحت الآلام مثلنا".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥١ و٥٢

التفكير في الفضيلة قبل الدخول فيها

وقال أيضًا: "الذي يطرق سبيكة من الحديد، يضع أولاً في فكره، ما هو عتيدٌ أن يعمله، إمّا منجلاً، أو سكينًا، أو فأسًا ... هكذا نحن، ينبغي أن نفكر، في كل ما نبتدئ، في الدخول فيه من الفضائل، لئلاّ يكون عملنا وتعبنا باطلاً".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٢ ـ ٥٣



قال أنبا أنطونيوس:

"إذا أحبّ أحدٌ المسيح من كل قلبه وكل قدرته فإنه يثمر مخافةً لله، والمخافة تلد الدموع، والدموع تلد الفرح الروحاني، والفرح الروحاني يلد الحياة الملائكية، والحياة الملائكية تلد قوة العزاء.

إنّ النفس تنال التبرير لكي تعطي ثمارًا لذيذة. وإذا رأى المسيح - الذي يحصِّن النفس - شجاعة الإنسان وصبره في كل شيء، فهو يقبله بفرح، وهكذا تكون النفس في غبطةٍ سماويةٍ في مواضع الراحة التي لا تنتهي أبدًا".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٥



بلوغ الكمال بالخضوع للإرادة الإلهية

قال أنبا أنطونيوس:

"لا يتوهمنَّ إنسان أنّ بلوغ الكمال بعيد المنال أو غريب عن الطبيعة البشرية، فالناس يركبون البحار ليتمكّنوا من دراسة الفلسفة اليونانية، أما مدينة الله فهي داخل القلب، والصلاح الذي يتطلّبه الله كائن في داخل كل فردٍ منا، ولا يتطلّب منا إلاّ أن نُخضِع إرادتنا

للإرادة الإلهية".

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٨



📖 **قال أنبا أنطونيوس:**

📖 كنتُ يومًا ما جالسًا بجانب الأب "أرفات" فجاءت عذراء وقالت:

📖 يا أبي، ظللتُ صائمةً لمدة مائتي أسبوع، لم آكل فيها إلاّ كل ستة أيام، وحفظتُ العهدين القديم والجديد، فماذا يتبقى لي أن أفعله؟

📖 فقال لها الشيخ {أرفات}: هل يُعتبر الازدراء عندكِ مثل الكرامة؟

📖 فقالت: لا.

📖 ثم أكمل قائلاً: وهل تعتبرين الخسارة مثل المكسب، والغرباء مثل الأهل، والعوز مثل الوفرة؟ فقالت: لا.

📖 فقال الشيخ: إذن فأنتِ لم تصومي من أسبوع لأسبوع، ولا حفظتِ العهدين القديم والجديد، ولكنكِ تخدعين نفسكِ، فاذهبي وجاهدي لأنكِ لم تبلغي إلى شيءٍ بعد.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة



📖 **قال أنبا أنطونيوس:**

📖 "بخصوص ما جاء في الإنجيل عن الإنسان الذي ذهب يبحث عن رفيقه في نصف الليل قائلاً: «أقرضني ثلاثة أرغفة لأن صديقًا لي جاءني من سفرٍ» {لو١١: ٥و٦}: إنّ الأرغفة الثلاثة يُقصَد بها ثلاثة أعمال: الإضافة، والفقر، والتعفُّف، وذلك عندما يقرع التائب الباب طالبًا الرحمة كما لو كان يعلم أن هذه الأمور هي التي تقود مَنْ يريد أن يُرضي الله".



📖 **وقال أيضًا: "**إنّ ما نستطيع أن نأخذه معنا فلنقتنِهِ لأنفسنا، وهو: الفهم، والقوة، والبرّ، والشجاعة، والمعرفة، والمحبة، ومحبة المساكين، والأمانة بالمسيح، ومحبة الغرباء، وترك الغضب. فهذه إذا اقتنيناها نجدها أمامنا، في ذلك الموضع، تعِدّ لنا مسكنًا في

الملكوت، موضع الوداع والقديسين.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٨٩ ـ ٩٠



لكي يحصل اليونانيون على المعرفة فهم يعيشون خارج بلادهم ويعبرون البحار، أما نحن فلا نحتاج أن نرحل من وطننا من أجل ملكوت السماوات، ولا أن نجوب البحار من أجل الفضيلة، لأن الرب سبق فقال: "ها ملكوت الله داخلكم" {لو١٧: ٢١}.

فطالما أن الفضيلة فينا وتنشأ منّا فهي لا تتطلّب منّا سوى الإرادة، لأن الفضيلة تتكون عندما تكون النفس في حالةٍ طبيعيةٍ من جهة استعدادها الروحي، وهي تكون في حالةٍ طبيعيةٍ عندما تظل كما جاءت إلى الوجود {أي كما خُلِقَتْ}، وعندما جاءت إلى الوجود كانت خاليةً من العيوب ومتزايدةً في الأمانة، لأجل هذا السبب قال يشوع بن نون في نصحه للشعب: "اجعلوا قلوبكم مستقيمةً نحو الرب إله إسرائيل" {يش٢٤: ٢٣}،

ويوحنا المعمدان قال: "اصنعوا سُبله مستقيمة" {مت٣: ٣}، لأنّ استقامة النفس تنطوي على الحفاظ على حالتها الروحية في وضعها الطبيعي كما خُلِقت، ولكنها من الناحية الأخرى عندما تنحرف وترجع عن حالتها الطبيعية فهذا هو ما يُسمَّى برذيلة النفس.

وهكذا نرى أنّ المسألة ليست عسيرة، فإننا لو لبثنا كما خُلِقنا فنحن نكون في حالة الفضيلة، أما إذا فكّرنا في الأمور الدنيئة فنُحسَب أشرارًا. فلو كان علينا أن نتطلّب هذا الأمر من خارجنا فهو في الحقيقة سيكون عسيرًا، ولكنه إن كان فينا فلنحفظ أنفسنا من الأفكار الخاطئة، وكما استلمنا النفس كوديعة فلنحفظها للرب حتى يتعرّف على صنعة يديه بعينها كما خلقها".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ١١٣ ـ ١١٤



قال أيضاً الأنبا أنطونيوس:

📖 "أيها الأحباء بالرب، إن الإنسان إذا كان يحب الله بكل القلب، وبكل الفكر، وبكل النيَّة، وبكل القوة، فإنه يقتنى خوف الله، والخوف يولِّد البكاء، والبكاء يولِّد القوة، وبكمال هذه في النفس تثمر في كل الأمور.

📖 وإذا رأى الرب هذه الثمرات الحسنة في النفس، يقبلها إليه كرائحة بخور مختار، ويفرح بها مع ملائكته الأطهار في كل حين، ويعطيها سروراً، ويحفظها في جميع طرقها، لتصل إلى موضع راحتها.

📖 والشيطان لا يقوى عليها لأنه يرى الحارس العلوي محيطاً بها فيخاف أن يقترب من ذلك الإنسان بجملته بسبب تلك القوة العظيمة".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٥٠ ـ ١٥١

📖 **سئل القديس أنطونيوس:** "ما هو العمل الجيد؟"

📖 فأجاب وقال: "إن الأعمال الجيدة كثيرة، لآن الكتاب يقول:

📖 إن إبراهيم كان مضيفاً للغرباء وكان الله معه.

📖 وإيليا كان يؤثر سكني البرية، والوحدة، وكان الله معه.

📖 وداود كان متضعاً، ووديعاً، وكان الله معه.

📖 ويوسف كان حليماً، عفيفاً، وكان الله معه.

📖 فالذي يحبه قلبك من كل هذا اعمله من اجل الله، واحفظ قلبك.

📖 وإذا قاتلتك أفكار كثيرة فقاتل أنت رأسها فإن هزمته انهزم باقيها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٥٦

{١٠}

القديس غريغوريوس

رئيس متوحدي قبرص

📖 كما أن الملح فيه طعم يطيب جميع ما يوضع فيه، هكذا اتضاع وتعليم سيدنا يعطى قوة لجميع الفضائل التي تعمل بالإتضاع. عمل

الفضائل يطهر القلب وينير العينين إذا عملت فى وقتها المناسب وفى محلها اللائق.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص ـ الآباء الحاذقون في العبادة ـ جزء٢ ـ صفحة ٢١

📖 يا إخوتي الفضيلة تعنى كل عمل طبيعي مقدس إلهي. ومدلول الفضيلة يشمل جميع أعمال الثلاث رتب الجسدانية ـ النفسانية ـ الروحانية.

📖 أما الأعمال التي تسبق التطهير فكل غايتها الوصول إلى التطهير.

📖 أما الأعمال اللاحقة للتطهير فغايتها الاتحاد مع المعرفة.

📖 الفضيلة هي: رجوع عن الشرور، وعن كل أمر غير طبيعي. بالرجوع إلى الأمور الطبيعية والحياة الحقيقية.

📖 الفضيلة هي: التطهير الحقيقي الذي يرفع العماليين من الآلام الهيولية "المادية الجسدية" ليتحدوا بقيامة الكمال. تلك يقول عنها حكماء الروحيات إنما تكون للصديقين فقط. هذه كنية الفضيلة وهي تشمل جميع الأعمال المقدسة الإلهية الكتابية والطبيعية.

📖 ان الفضيلة بكليتها كائنة فى كل رتبة من الرتب الثلاث ومع الأعمال تثبت بلا انتقال بل تنمو فى الثلاث رتب وتتفرع منها جميع الفضائل وسائر أنواعها تتدرج مع الرتب وتبسط قوتها على الأنفس والعقول ولكن الذي لا يهتم بعمل الفضيلة تنقص منه ليس من طبيعتها بل من شخص القابل لها. لأنها تصغر وتقل من المتهاونين.

📖 لأنه إذا كان إنسان قضى مائة سنة فى عمل الخطية، وفى ساعة واحدة رجع إلى الله من كل قلبه، فيحسب كأنه عمل مائة سنة. كما أن الأرض بواسطة المياه تخرج العقاقير المخفية فى باطنها بالنباتات هكذا أعمال الفضيلة تظهر جميع القوات النطقية والمواهب. كما قال لنا ربنا بوضوح "هوذا ملكوت الله داخلكم" لو ١٧: ٢١.

📖 ومعروف أن الملكوت هو المعرفة التي يطلبها جميع القديسين بالصلاة. زروع الفضيلة لا تنقطع {من داخلنا}، وأيضا زروع الشر،

إن لم تقطعها التوبة.

🕮 هذه الرتب الثلاث وضعت لتكون خطوات للتدرج فيها إلى العلاء وهي الرتب الجسدانية والنفسانية والروحانية.

🕮 أما الرتبة الأولى فهي: تدريب وتدرج للطبع عامة. لأن الطبع بطبيعته يصنع البر. ويتعلم الاستقامة. وإذا بدأ يخرج بسيرته خارجا عن حدود طبيعته دعي ظالما ومنافقا.

🕮 وإذا كان يعمل فى الرتبة الثانية بقداسة الطبع الصحيح الممدوح، فإنه يقبل النظرة {بالثاؤريا نظرة العقل} مع معرفة المنازل ... كلامنا هنا عن الرتبة الوسطى التي تقتنى نظرا غير كامل.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص - الآباء الحاذقون في العبادة - جزء٢ - صفحة ٣٣

🕮 إحدى فضائل النفس هي: تطهير الآلام التي فيها.

🕮 وأخرى هي تكميلها بما يلائمها لتقتني الكمال. وهذه تسمى الثاؤريا، وبين هذه وتلك درجات أخرى.

🕮 النفس والجسد يشتركان فى عمل الفضائل بالتساوي.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص - الآباء الحاذقون في العبادة - جزء٢ - صفحة ٤٦



🕮 الاضطرابات، والسجس، من فعل الشياطين.

🕮 والهدوء، والطيبة، والتواضع، من عمل ربنا.

🕮 لأنه هو بذاته بين ذلك لنا قائلا: "تعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لأنفسكم".

🕮 هذه الراحة تكون عند كمال نقاء النفس، وتضيع منها إذا وافقت الأرواح النجسة. إذا ربحت النفس الجسد، وأعتقته من جميع آلامه، وأخضعته تحت طاعتها، يتبقى لها أعداء خاصة. فتسكن النفس مع الجسد فى ود وسلام، ويكف كل منهما عن القتال مع الآخر. وعن أن يهلك أحدهما الآخر، لأنهما قد تقدسا بحفظ الوصايا.

🕮 أما الجسد فمن تعبه، وعرقه، يعمل الفضائل، ينظف ويخرج منه

كل كيموس {جراثيم} الخطية المخفية فيه، وحينئذ تبدأ النفس بعمل الفضائل.

📖 ومادام حب النفس، والجسد، ثابت بعضهما لبعض، فإن عرض للجسد تجربة بنوع من الأنواع، لا يسهل على النفس أن تعمل فضائلها، لأنها تعمل أكثر فضائلها بواسطة الجسد.

📖 وإذا مرض الجسد، تبطل قوتها، التي تظهر أفعالها بأعضاء الجسد.

📖 ولكن للنفس طريق آخر تعمل به بدون الجسد، وهو الإرادة، وهذه لا تستطيع أن تعمل فى كل أمر.

📖 فإذا لم يكن بينهما تعارض، ويتساويان فى الإرادة الصالحة، يسهل عليهما العمل، لأن الشياطين لا تستطيع أن تضل بالفنطيسة، من كان له صحة مزاج، وعمل الإرادة.

📖 لأنه بعد رفض الخيالات، والأشكال، ونبذها، إذا ما مرضت الحواس، تصطادها القوات المضادة بسهولة. ولست أعن بذلك عن مرض الجسد، بل أعنى أمراض الخطية.

📖 تحرص الشياطين كثيرا وتجتهد، أن تلقى الراهب فى هذه الأمراض، فإن وجدوه مريضا بشيء من الحواس، يدخلون إليه.

📖 ولكن إذا كانت النفس تعمل مع الجسد بمعرفة، فإنها تطرد من أمامها ظلام عدم المعرفة.

📖 وبواسطة قوة حفظ الوصايا الإلهية، تقتنى حواسا صحيحة، وتبدأ بعمل الإفراز، وتقتنى سلطة على جميع حواسها، التي سلبها منها الأعداء، وتلبس لباسها، وتتزين، وتبدأ فى تجديد ما تخرب فى أيام الغربة.

📖 وعندما تغلب النفس هذا القتال، يتحرك عليها قتال آخر، الذي هو شيطان مركب الأغاني، الذي تكلمنا عنه. فإذا ما غلبت هذا بمعونة ربنا، فحينئذ يحل الفرح والنياح، الذي يحلو بالغلبة، هذا الذي لا

يمكن وصفه.



📖 أعرف أحد الإخوة، قاسى تجارب عظيمة من هذا الشيطان، وقال لما وقع صوت نغماته فى مسامعي، وقعت على الأرض، وقاربت نفسي أن تخرج من جسدي. فسمعت صوتا من مراحم ربنا يقول لى، ضع أصابعك فى أذنيك حتى يجوز عنك.

📖 النفس التي تحفظ ذاتها من حرب الشياطين، وغلبتهم بمعونة ربنا، وبلغت إلى طقس خلقتها الأولى، تحفظ هذه الثلاثة: العفة، والشجاعة، والعدالة. وبها تجرح الشياطين بأسهم حسدهم.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص ـ الآباء الحاذقون في العبادة ـ جزء٢ ـ صفحة ٤٦ ـ ٤٧

{١١}

كتاب فردوس الآباء

📖 **قال شيخ: إنّ أبّا بفنوتيوس قال لي:**

📖 إنّ جميع آبائنا الذين كانوا قبلنا حفظوا قلوبهم، فإن كان واحدًا من جيلنا الآن يحفظ لسانه من النميمة، وجسده من الزنى، ويديه من السرقة، وبطنه من الشره، فهو مغبوطٌ، لأنّ الشره هو الذي يلد الزنى، والسرقة، وشرورًا كثيرة جدًا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤١٨



📖 **قال لي أخٌ: إنّ تلميذ أنبا بفنوتيوس قال لي:**

📖 لقد سمعتُ أبي أبّا بفنوتيوس يقول: لقد رأيتُ ربنا يسوع ثلاث مرات، وقال لي ثلاث كلمات: "اهتم بمراعاة هذه الثلاثة: الفقر، والإماتة، والصبر، وأنت تخلص".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٢١



📖 **قال أبّا بفنوتيوس:**

🕮 كما أنّ الولاة يُعدمون الأشرار، هكذا أيضًا أتعاب الجهاد النسكي، تقتل الشهوات الشريرة. وكما أنّ العبيد الأشرار يهربون من سادتهم، هكذا أيضًا تهرب الشهوات من الأتعاب النسكية.

🕮 أما العبيد الصالحون فيكرِّمون سادتهم كما يكرم الأبناء آباءهم، لأنّ أتعاب النسك تُنتج أعمالاً صالحةً، ومنها تنبع الفضائل، تمامًا كما أنّ الأطعمة اللذيذة تنتجها أتعابٌ كثيرة.

🕮 فعندما يُتعِب الإنسان نفسه بكل قلبه فهو يُثمر بالفضائل، ويحطِّم الشرور تمامًا، كما أنّ القاضي العادل يُعدِم الأشرار.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٢٣

🕮 **قال لي أخٌ:** قال لي الأب إسحق الذي من "هاراهو":

🕮 لقد زرتُ أبّا شيشوي الذي من بترا، تلميذ أنبا أنطونيوس، وتوسلتُ إليه قائلاً: قُل لي كلمة لكي أحيا.

🕮 فقال لي: اذهب واحفظ الأمور الثلاثة الآتية، وأنت تحيا، وهي:

🕮 احتمل الإهانة مثل المديح. والفقر مثل الغِنى.

🕮 أحب قريبك مثل نفسك.

🕮 والرب يكون معك ويعطيك قوةً على أعدائك.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٤٧

🕮 **سأل أخٌ أبّا شيشوي:** كيف أخلص؟

🕮 فقال له الشيخ: إذا شئتَ أن تُرضي الله فاهجر العالم، وتجرّد من الأرض، اُترك المخلوقات، واقترب من الخالق، وبواسطة الصلاة، والدموع، اتحد بالله، فتجد الراحة في الدهر الحاضر، كما في الدهر الآتي.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٤٨

🕮 **قال أبّا شيشوي الذي من بترا تلميذ أنبا أنطونيوس:**

🕮 إذا فعل الإنسان الصلاح فهو يقترب بسفينته من الميناء الصالح.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٥٠



📖 **قال الأب زينون:**

📖 الذي يراقب أفكاره. ولا يتهاون في الصلاة.

📖 ويعمل جسديًّا. ويتأمل دائمًا في مجد الرب.

📖 ويكون منشغل البال بيوم الدينونة الإلهي.

📖 فهذا الإنسان يتمِّم كل فضيلة بواسطة المسيح ربنا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٧٤



📖 **قيل عن أنبا ثيودور البرامي:**

📖 إنّه تفوّق على غيره في ثلاثة أمور، اعتبر أنها أساسية، وبلغ في تحقيقها إلى درجةٍ أعظم من كثيرين، وهي: الفقر الاختياري.

📖 والنسك. والهروب من الناس.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٨٠



📖 **علمتُ أنّ الأب ثيئودور قال:** كان آباؤنا يحرسون قلوبهم.

📖 وأنا أقول إنه في أيام القحط هذه، إذا حرس الراهب قلبه، من الزنى، ومن السلب، وكفّ عن الشهوة، فلن يهلك.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٨٤



📖 **قال أخٌ: سألتُ أنبا ثيودور البرامي قائلاً:**

📖 كيف يمكن للإنسان، أن يدفع الشيطان بعيدًا عنه، بحيث يصير قلبه نقيًّا من جميع أفكاره؟

📖 فأجابه الأب ثيئودور: إذا سمح الإنسان لغريبٍ أن يُدخِل شئونه في بيته، أيستطيع أن يُبعِده، طالما أنّ شئونه تظلّ في منزله؟!

📖 ولكنه إذا أبعد عنه شئونه، فإنّ الغريب يرحل من ذاته.

📖 هكذا نحن أيضًا، لا يمكننا إطلاقًا أن ندفع الشيطان بعيدًا عنا، إن لم نُبعِد أولاً شئونه عنا، وشئونه الخاصة به هي: جميع الأعمال الرديئة التي نهانا الكتاب المقدس عن فعلها".

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٨٣



📖 **قال الأب ثيئودور البرامي عن أبّا أخيلس:**
📖 إنه كان مثل أسدٍ في الأسقيط، وكان يُعتبَر مرعبًا في زمانه.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٨٣



📖 **قال الأب يوسف التبايسي:**
📖 ثلاثة أمور مقبولة، ومكرَّمة في عيني الرب:
📖 **الأول:** عندما يكون الإنسان مريضًا، وتتواتر المحن عليه، ويقبلها بشكرٍ.
📖 **والثاني:** عندما يُتمِّم الإنسان كل أعماله بنقاوة قلبٍ، في حضرة الله، دون أن يُراعي أي شيءٍ بشري.
📖 **والثالث:** عندما يظل إنسان في خضوعٍ لأبٍ روحاني، متخلِّيًا تمامًا عن إرادته الخاصة، وهذا الأخير سيربح حقًا إكليلاً عظيمًا.
📖 أمّا عن نفسي فأختار المرض.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٨٧



📖 يا ابني، إذا أكرمنا ذاك الذي هو فوق الكل، الله، بخوفٍ ورعدةٍ، فالجميع يكرموننا. أما إذا ازدريناه بجهالتنا، فإنّ كل واحدٍ سيزدري بنا، وسنهلك بالتأكيد.
📖 عندنا معونة، وقوة مقتدرة لا تُقهَر، هي الله.
📖 فلنرتبط به بمعرفةٍ، ونحن نخلص.
📖 لأنه صالحٌ، ومراحمه على كل من خلقه كثيرة وسخية.
📖 إنه يصنع معنا رحمةً بحبٍّ عميق نحونا.
📖 لنا هناك، يا ابني، القوات المقدسة، والخوارس الملائكية العديدة غير المحصاة، وجيوش رؤساء الملائكة، والشيروبيم، والسيرافيم، والعروش، والسلطات، وكل أتباعهم، وكل القديسين مع كل المساكن غير المصنوعة بأيدي البشر في السماوات.
📖 فلنجعل أفكارنا معهم، ولنتأمل في جمالهم، وبهاء مجدهم، مشتاقين

إلى أن نوهب نسيانًا كاملاً للأشياء الوقتية، حتى نترك الأمور الفانية.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٢٢

🕮 **سأل أخٌ أنبا بيمين قائلاً:** هل يمكن للإنسان أن يعتمد على فضيلةٍ روحانيةٍ واحدةٍ لأجل خلاصه؟

🕮 فقال له الشيخ: إن أنبا يوحنا القصير قال: إنني أُفضِّل أن يأخذ الإنسان لنفسه القليل من كل فضيلة.

🕮 لذلك انهض مبكرًا كل يوم وابدأ من جديد.

🕮 واتخذ لك ضابطًا يناسب كل فضيلة، وكل وصية من وصايا الله.

🕮 ليكن لك صبرٌ عظيمٌ، مع مخافةٍ، وطول أناةٍ، في حب الله، مع كل غيرةٍ في نفسك، وفي جسدك. تدرّب على الاتضاع العميق.

🕮 احتمل الحزن الداخلي. كن ساهرًا.

🕮 وصلِّ كثيرًا بتخشُّع وتنهُّد. مع نقاوة في كلامك.

🕮 وضبط لعينيك.

🕮 عندما تُحتَقر لا تحزن، بل احتفظ بسلامك، ولا تقابل الشر بالشر.

🕮 لا تُعِرْ انتباهًا لأخطاء الآخرين.

🕮 ولا تحاول أن تقارن نفسك بالآخرين، عالمًا أنك أقل من كل مخلوق. أُنبذ كل شيءٍ ماديّ. وكل ما هو جسداني.

🕮 اقرن حياتك بمعاناة الصليب. في جهاد. في مسكنة الروح.

🕮 في نسكٍ روحاني طوعي. في صومٍ. في توبةٍ. في دموع.

🕮 في إفراز. في طهارة النفس. متمسِّكًا بكل ما هو صالح.

🕮 اعمل عملك في سلام. واظب على الاحتفاظ بالسهر.

🕮 في جوع وعطشٍ. في بردٍ وعُريٍ.

🕮 وفي احتمال الآلام.

🕮 أغلق على نفسك كأنك في قبر، وكما لو كنتَ ميتًا بالفعل، حتى تذكر في كل وقت، أن الموت هو وشيك الوقوع ... {باعتبارك} في «الجبال والمغاير وشقوق الأرض».

📖 واحذر من أن تكون مجرد سامع للكلمة غير عاملٍ بها.
📖 لأنّ الذين يفعلون كل ذلك، هم بالتأكيد الذين يرتدون ملابس العُرس، ويتاجرون في وزناتهم.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٢٦ ـ ٥٢٧

📖 **قيل عن القديس يؤنس القصير:**
📖 إنه لم يكن يشبع إطلاقًا لا من الخبز. ولا من الماء. ولا من النوم. ولم تخرج من فمه قط كلمة شائنة. هذا لأنه لم يتملَّكه فكرٌ جسداني قط، بل كان مثل ملاك في طهارة القلب والحكمة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٢٧

📖 **وقال أيضًا:** عندما يريد الإنسان أن يبني بيتًا، يجمع كل ما يحتاجه لكي يتمكن من البناء، أي كل أنواع المواد اللازمة، هكذا الحال معنا، فلنكتسب القليل من كل فضيلة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٦٨

📖 **وقال أيضًا الأب بيمين:**
📖 إذا طرح الإنسان نفسه أمام الله. ولم يعتبر نفسه شيئًا.
📖 وطرح مشيئاته كلها خلف ظهره.
📖 فإن هذه الثلاثة هي وسائل عمل النفس.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٦٩

📖 **سأل أخٌ الأب بيمين:** كيف يسلك الإنسان؟
📖 فقال له الشيخ: أُنظر إلى دانيال النبي الذي لم يجد أحدٌ عليه شيئًا يشتكي به عليه سوى صلاته وخدمته لإلهه.

📖 **سأل إخوةٌ شيخًا:**
📖 عندما سأل أخٌ أنبا بيمين كيف ينبغي أن يسير الإنسان في طريق البر، أجاب: فلينظر إلى دانيال النبي الذي لم يجد عليه أعداؤه سببًا

لملامته، أو ثلبه، سوى كونه في خدمة إلهه، فما معنى ذلك؟

📖 أجاب الشيخ: هكذا كان دانيال، والثلاثة فتية القديسون، وبقية الشهداء. فقد صبروا على الشدائد، ليس لشرورٍ صنعوها، بل من أجل الخير نفسه {أي الله}، فهكذا ينبغي أن يكون المتوحدون، بغير عيب في طريق الفضيلة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٦٩

📖 **قال أنبا بيمين:** عندما أتأمل أجد أمامي ثلاثة أمور عجيبة:

📖 جيدٌ لي أن أصلِّي كل وقتٍ، أمام الرب بدون انقطاع.

📖 وأن أضع موتي أمامي في كل لحظة.

📖 وأن أذكر أنني عندما أموت، سأُلقى في النار بسبب خطاياي.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧٠

📖 **قال أنبا موسي الأسود:**

📖 ⌖ خوف الله يطرد جميع الرذائل.

📖 والعجز {ربما: التواني} يطرد خوف الله.

📖 ⌖ هذه الأربعة واجب حفظها:

📖 "الرحمة. غلبة الغضب. طول الروح. التحفُّظ من النسيان".

📖 ⌖ العقل كل ساعة محتاج إلى هذه الأربع فضائل:

📖 "صلاة دائمة لله بسجودٍ قلبي. ومحاربة الأفكار.

📖 وأن تعتقد أنك خاطئ. والات دين أحدًا".

📖 ⌖ هذه الفضائل الأربع هي عون الراهب الشاب:

📖 "الهذيذ كل ساعة في ناموس الله. ومداومة السهر.

📖 والنشاط في الصلاة؟ والا يعتبر نفسه شيئًا".

📖 ⌖ ما يدنِّس النفس والجسد ستة أشياء:

📖 "المشي في المدن. وإهمال العينين لتجولا بلا تحفُّظ.

📖 والتعرُّف بالنساء. والصداقة مع الرؤساء.
📖 وحُبّ الأحاديث الجسدانية.
📖 والكلام البطّال".

📖 ✥ هذه الأربعة تُنهِض إلى الزنى:
📖 "الأكل والشرب. الشبع من النوم. البطالة واللعب. تزيين الملابس".

📖 ✥ هذه الأربعة تُظلم العقل:
📖 "أن يمقت الإنسان رفيقه. وأن يزدري به. وأن يحسده.
📖 وأن يُسيء من الثناء عليه" {ربما: يُسيء من سُمعته}.

📖 ✥ بأربعة أشياء يتحرك الغضب:
📖 "الأخذ والعطاء. إتمام الهوى. محبة التعليم.
📖 أن يظن الإنسان في نفسه أنه عاقل".

📖 ✥ هذه الأربعة بصعوبةٍ تُقتنَى:
📖 "البكاء. أن يتأمل الإنسان خطاياه. أن يجعل الموت بين عينيه.
📖 في كل أمر يقول: أخطأت اغفر لي".
📖 مَنْ يحرص ويتعب فهو يخلص بنعمة ربنا يسوع المسيح.

📖 **اعتاد أنبا موسى أن يقول للنسّاك:**
📖 أربع قواعد رئيسية يلزم مراعاتها:
📖 "الصمت. ومراعاة وصايا الله. والاتضاع. وسدّ احتياج المسكين".

📖 **وثلاث فضائل يكتسبها الإنسان بصعوبةٍ:**
📖 "أن يُحزِن نفسه دائمًا. وأن يذكر خطاياه دائمًا.
📖 وأن يجعل الموت في كل لحظة أمام عينيه".

🕮 **اعتاد أنبا موسى أن يقول:**

🕮 إن حفظنا وصايا آبائنا أقول لكم باسم الرب إنّ البربر لن يأتوا إلينا هنا، وإن كنا لا نحفظ وصايا الله فإنّ هذا المكان سوف يخرب.

🕮 **هذه سبعة أقوال قالها أنبا موسى لأنبا بيمين:**

🕮 إن حفظها أحد فإن كان ساكنًا في ديرٍ، أو في الوحدة، أو حتى في العالم يمكنه أن يخلص:

🕮 {١} كما هو مكتوب: على الإنسان أن يحب الله من كل نفسه ومن كل فهمه.

🕮 {٢} على الإنسان أن يحب قريبه كنفسه.

🕮 {٣} على الإنسان أن يموت عن كل شر.

🕮 {٤} على الإنسان ألاّ يدين أخاه بأي حال.

🕮 {٥} على الإنسان ألاّ يصنع شرًّا بأحد.

🕮 {٦} على الإنسان قبل أن يخرج من الجسد أن ينقِّي نفسه من كل حماقات الجسد والروح.

🕮 {٧} على الإنسان أن يكون دائمًا له انسحاق قلب ومتضع.

🕮 ويستطيع ذلك مَنْ ينظر دائمًا إلى خطاياه، وليس إلى خطايا قريبه، بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي مع الآب والروح القدس يحيا ويملك إلى ما لا نهاية. آمين.

🕮 **هذه التوجيهات أرسلها أنبا موسى إلى أنبا بيمين:**

🕮 وكل مَنْ يمارسها يهرب من كل عقابٍ ويحيا في سلام:

🕮 {١} على الراهب أن يموت عن قريبه، ولا يدينه إطلاقًا بأي حال من الأحوال.

🕮 {٢} على الراهب أن يموت عن كل شيء قبل أن يترك الجسد، ولا يؤذي أو يغيظ أحدًا.

📖 {٣} إن لم يضع الراهب في قلبه أنه خاطئ فصلواته لن يقبلها الله.
📖 وهنا سأله أخ: ما معنى وفائدة أن يفكر الإنسان في قلبه أنه خاطئ؟
📖 فأجابه الشيخ: عندما ينشغل الإنسان بخطاياه فلن يرى خطايا غيره.
📖 {٤} إن لم تتفق أعمال الإنسان مع صلاته تكون أعماله باطلة.
📖 فسأله الأخ: ما معنى هذا التوافق بين العمل والصلاة؟
📖 فأجابه: ينبغي ألاّ نفعل الأمور المضادة لما نصلِّي من أجله، كما أنّ مَنْ يطلب غفران خطاياه لا يليق به أن يعيش متغافلاً، لأنه عندما يسلِّم الإنسان مشيئته لله يتصالح الله معه ويقبل صلواته.
📖 ثم سأله الأخ: ما الذي يُعين الراهب في شدائده التي يقابلها في حياته؟ فأجابه: مكتوبٌ: «إلهنا ملجأنا وقوتنا، وُجِد في الشدائد قويًا جدًا» {مز٤٦: ١}.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٠٢ - ٥٠٤

📖 **وقال أيضًا الأب إشعياء:**
📖 التعب الجسدي، والفقر، والغربة، والرجولة، والسكون، كل هذه تُنشِئ الاتضاع، والاتضاع يغفر الخطايا {مز٢٥: ١٨}.
📖 إن كان أحدٌ لا يُراعي هذه، فزهده باطل.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٩٦

📖 **سأل أخٌ الأب إشعياء:**
📖 عن قول الصلاة الربانية: ليتقدس اسمك؟
📖 فأجاب الشيخ: إنه يخص الكاملين، لأنه من المستحيل أن يتقدس اسم الله فينا نحن الذين يسيطر علينا الهوى.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٩٦

📖 **قال الأب بيمين عن الأب نستروس:**
📖 إنه كان مثل الحيّة النحاسية التي رفعها موسى النبي لأجل شفاء الشعب، فقد كان يمتلك كل فضيلة، ودون أن يتكلم كان يشفي كل واحد.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٣٧



📖 **سأل أخٌ شيخًا:** أي عمل صالح يجب أن أفعله لكي أحيا؟

📖 فقال الشيخ: الله يعلم ما هو صالح.

📖 لقد سمعتُ أنّ أحد الآباء سأل أبّا نستروس الكبير صديق أنبا أنطونيوس عن ذلك فأجابه بما قاله أنبا أنطونيوس:

📖 أَليست كل الأعمال متساوية؟ لأنّ الكتاب يقول: إنّ إبراهيم كان محبًا للغرباء، وكان الله معه. وإيليا كان محبًا لحياة التأمل، والسلام الداخلي، وكان الله معه. وداود كان متضعًا، وكان الله معه.

📖 فأي عمل ترغبه نفسك، وتشعر أنه من الله، اِفعله، واحرس قلبك من الشرور.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٥١



📖 **اخفاء الفضائل:**

📖 ١٧ - يجب، إذن، أن نبذل كل جهدٍ لنُبقي ربحنا مخفيًا.

📖 فالذين يريدون أن يكشفوا عما أفلحوا فيه، ينبغي أن يحاولوا أيضًا أن يذكروا الضعفات التي تلازمهم.

📖 أما إذا أخفوا ضعفاتهم حتى لا يوبخهم سامعوهم، فعليهم بالحري جدًّا أن يراقبوها كعوامل تُبعِدهم عن الله.

📖 ويقينًا إن الذين يعيشون في الفضيلة يتصرفون بطريقةٍ عكسية، فهم يخفون فضائلهم ويعلنون للناس زلاتهم الصغيرة، بجانب الأمور الأخرى التي لم يرتكبوها، وبذلك فهم يتجنّبون مديح الناس لأجل منفعة نفوسهم.

📖 لأنه كما أن الكنز يُستنفد بمجرد أن يُكشَف عنه؛ هكذا أيضًا الفضيلة تتلاشى بمجرد أن تُعرَف وتُعلَن. وكما يذوب الشمع أمام النار؛ هكذا أيضًا النفس تنحلّ في وجه المديح وتفقد عافيتها.

📖 ١٨- كما أنّ عكس ذلك صحيح، لأنه إذا أذابت الحرارة الشمع فإنّ

البرودة تكون سببًا في صلابته.

📖 فإذا جعل المديح النفس تفقد عافيتها، إذًا فمن المؤكَّد أنّ التوبيخ والإهانة يقودان النفس بكل تأكيد إلى قمم الفضيلة.

📖 يقول الكتاب: «اِفرحوا وتهللوا ... إذا قالوا عليكم كل كلمةٍ شريرةٍ من أجلي كاذبين» {مت٥: ١٢و١١}.

📖 وفي مكانٍ آخر: «في الشدّة فرّجتَ عني» {مز٤: ١حسب السبعينية}.

📖 وأيضًا: «انتظرَت نفسي انتهارًا وإذلالاً» {مز٦٨: ٢٠ حسب النص}.

📖 وتوجد أيضًا آيات لا حصر لها مثل هذه في الكتاب المقدس نافعة للنفس.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٤٠ ـ ٤١

📖 **قال الأب ديادوخوس:**

📖 يقدر إنسان أن يقتني مخافة الله إلاّ بأن يحب خصالاً، ويُبغض أخرى، إن أراد أن يكون راهبًا.

📖 **فسألوه:** ما هي الخصال التي يحبها؟

📖 **فقال:** هي الشجاعة في غلبة الأهواء المظلمة، الحب، العفة، العلم، الاتضاع، المسكنة، الرحمة، حسن الحديث وليونته، الصبر، السهر، التعب، الطاعة، وما إلى ذلك مما يُرضي الله.

📖 فمَنْ كانت له هذه الخصال رجوت له الخلاص.

📖 **فسألوه:** وما هي الخصال التي يجب أن يُبغضها؟

📖 **فقال:** الشره، الفسق، الحقد، اللجاجة، المراءاة، الكذب، النميمة، الحسد، الشر، الضجر، التواني، الغفلة، البذخ، التيه، التعظُّم، العجب {بالذات}، الصلف، وما إلى ذلك.

كتاب فردوس الآباء ـ ـ الأب أنبا ديادوخوس ـ الجزء الثالث ١٩٨

📖 **قال الأب إيسوذور الذي من البيلوزيوم:**

📖 الرذيلة تُبعد الناس من الله، وتفصلهم الواحد عن الآخر.

📖 فيجب أن نبتعد عنها سريعًا، ونتبع الفضيلة التي تقود إلى الله،



وتوحدنا بعضنا مع بعض.

📖 وإن تعريف الفضيلة، والفلسفة {الحقيقية}، هو: البساطة مع التعقُّل.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ القديس إيسوذور البيلوزيوم ـ الصفحة ٢٥٤

📖 **قال أنبا بلاّ:** إن حفظنا الإيمان الصحيح، وحفظنا الجسد من الزنى، واللسان من النميمة، فنحن بنعمة الله مفلحون حسب هذا الزمان.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ القديس أنبا بلاّ ـ الصفحة ٢٥٦

📖 **قال شيخ:** لا توافق على كل كلمة، ولا تخضع لكل شيء، كُنْ مسرعًا إلى الاستماع، بطيئًا في التصديق، مسرعًا إلى قول الحقيقة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٧

📖 **قال شيخ:** ما تكرهه أنت لا تفعله مع آخر.

📖 فإن كنتَ لا تحب أن يغتابك أحد، لا تغتَبْ أنتَ أي إنسان.

📖 وإن كنتَ تكره أن يتهمك أحدٌ زورًا، فلا تتهم أنتَ أحدًا.

📖 وإن كنتَ لا تحب أن يحتقرك أحدٌ، أو يشتمك، أو يؤذيك، أو يسرق شيئًا منك، أو أي عملٍ مكروه آخر، فلا تفعل أي شيء من ذلك مع أي إنسان. مَنْ استطاع أن يتمم هذه الوصية يمكنه أن يخلص.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٣٠

📖 **قال شيخ:** قراءة الكتب {المقدسة} تقوِّم العقل الطوّاف.

📖 والسهر، والصلاة، والجوع، والتعب مع العزلة من الناس، تُبطل شهوة الزنى. والترتيل، وطول الروح، والرحمة، تسكِّن الغضب.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٧٢

📖 **سُئل شيخ:** كيف يقتني الراهب فضيلة؟

📖 **فأجاب:** إن شاء أحد أن يقتني فضيلة، فإن لم يمقت أولاً الرذيلة المضادّة لها، فلا يستطيع أن يقتنيها.

📖 إن شئتَ أن يكون لك نوح، فامقت الضحك.

📖 وإن آثرتَ أن تقتني التواضع، فابغض الكبرياء.

🕮 وإن أحببتَ أن تضبط هواك، فامقت الشر، وتحريف الأمور.
🕮 وإن شئتَ أن تكون عفيفًا، فامقت الفسق.

🕮 وإن شئتَ أن تكون زاهدًا في القنية، فامقت حب الفضة.
🕮 ومَنْ يريد أن يسكن في البرية، فليمقت المدن.
🕮 ومَنْ يشتهي السكون، فليمقت الدالّة.
🕮 ومَنْ شاء أن يكون غريبًا عن عاداته، فليُبغض التخليط.
🕮 ومَنْ يريد أن يضبط غضبه، فليبغض مشيئته.
🕮 ومَنْ يريد أن يضبط بطنه، فليبغض اللذات، والتواجد مع أهل العالم. ومَنْ أراد عدم الحقد، فليُبغض المثالب.
🕮 ومَنْ لا يقدر أن يتحمل الهموم، فليسكن وحده منفردًا.
🕮 ومَنْ يريد أن يضبط لسانه، فليسدّ أذنيه، لئلاّ يسمع كثيرًا.
🕮 ومَنْ يشاء أن يحصل له خوف الله، فليمقت راحة الجسد، ويحب الضيقة والحزن. فبهذه الصفات يمكنك أن تعبد الله بإخلاص.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٧٢

🕮 **قال شيخ:** ويح للنفس التي اعتادت أن تسأل عن كلام الله وتسمعه، ولا تعمل بشيء مما تسمع.

🕮 **قال شيخ:** إن حزني لكثير على راهب يكون قد ترك أهله ومقتنياته، وألزم نفسه بالغربة من أجل الله، ويسترخي في وصاياه، فيذهب بعد ذلك إلى العذاب.

🕮 **قال شيخ:** ليست الحاجة إلى كثرة الكلام، لأن كثرة الكلام غزيرة في الناس، وإنما الحاجة هي إلى العمل.

🕮 **وقال آخر:** إن كان للراهب كلام بغير عمل، فهو يشبه شجرة مورقة لا ثمر فيها، ومَنْ له كلام وعمل، فهو مثل شجرة مورقة

مثمرة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٨٠

📖 **قال شيخ:** لا تملأ بطنك من الخبز والماء، ولا تشبع من نوم الليل، فإن الجوع والسهر، ينقيان القلب من أوساخ الأفكار، والجسد من قتال النجاسة، فيسكنه الروح القدس.

📖 لا تقُل إن اليوم عيد آكل فيه وأشرب، فإن الرهبان ليس لهم عيد على الأرض، وإنما فصحهم هو خروجهم من وسط الشر.

📖 وعنصرتهم هي تكميل وصايا المسيح.

📖 ومظالّهم هي بلوغهم إلى ملكوت المساء.

📖 أما الشبع فهو والد الخطية، وحصن الراهب هو الصوم، وسلاحه الصلاة، فمَنْ ليس له صوم دائم، لا يكون لديه حصن يمنع عنه العدو، ومَنْ ليست له صلاة نقية، لا يكون لديه سلاح يقاتل به الأعداء. وكل مَنْ يجعل الموت أمامه كل حين يغلب الضجر، وصغر النفس.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥١٧ ـ ٥١٨

📖 **وقال شيخ:** الفضيلة تريد منا أن نزيدها ليس إلاّ.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٣٦

📖 **قال أحد الشيوخ:** أدِّبوا الأحداث يا إخوة قبل أن يؤدِّبوكم!

📖 **قال شيخ:** كل من يسكن في موضع ولا تكون له فيه ثمرة صالحة، فإن الموضع يطرده.

📖 **قال شيخ:** الله يطالب الإنسان بثلاثة أمور: العقل، والكلام الروحاني، والعمل به.

📖 المجد الباطل يتولد من ثلاثة أمور: طلب التعليم، وطلب الاتساع في الأشياء، وطلب الأخذ والعطاء.

📖 ثلاثة أمور تسبق كل خطية: الغفلة، والنسيان، والشهوة.

📖 **قال شيخ:** يجب أن نشكر الله على الأوجاع الجسدانية {الأمراض}، فإن الرسول يقول: «إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يومًا فيومًا» {٢كو٤: ١٦}.

📖 فلن نشارك المسيح في مجده إلاّ إذا شاركناه في أوجاعه.

📖 ولا نقدر أن نشاركه في أوجاعه، إلاّ بالصبر على الشدائد.

📖 والشكر في الشدّة ينفع في الخلاص منها.

📖 وينبغي ألاّ نرغب في راحة هذا العالم لئلاّ يُقال لنا: قد استوفيت خيراتك في حياتك.

📖 لا تظن أنك أكملتَ شيئًا من الخير، فيُحفَظ لك أجر برّك.

📖 لا تحسب نفسك شيئًا فتظل أفكارك هادئة.

📖 الشياطين يُخفون شرّهم وراءهم، ونورهم آخره ظلام، فلا تعمل شيئًا بدون مشورة الآباء العارفين بقتالهم.

📖 الزم الصلاة في التجارب، فإن الرب قال إنه ينتقم لعبيده الصارخين إليه. ينبغي على المجاهد أن يبتعد من كل امتلاء، حتى من الخبز والماء، وأن يجمع عقله في صلاته، ليكمّل قربانه الروحاني، ويتذكر خطاياه دائمًا ويحزن بسببها.

📖 وأن يكون كل ما يعمله ويقوله من أجل مجد الله، لا من أجل مجد الناس، وأن يتفقد تدبيره دائمًا لكيلا تكون سُكناه في البرية على غير منهج الرهبنة، فقد سكن في البرية كثير من اللصوص، وهي مأوى للوحوش، والطيور المؤذية، أما الراهب فهو يسكنها هربًا من سجس العالم، الذي يُشغل الإنسان عن عبادة الله الكاملة.

📖 وينبغي عليه أن يصبر في البلايا. ويغصب نفسه في كل شيء.

📖 وأن يقدِّم حب الله على حب القريب، وحب القريب على حب نفسه، وحب نفسه على حب كل ما عداها.

📖 وأن يكون له إيمان قوي بالله، ورجاء، واتضاع، وإمساك، وصمت، وصلاة دائمة، وتهاون بالأرضيات، وتذكُّر الموت

والمجازاة، وقراءة في الكتب، وتمييز في الأمور، وحفظ العقل والقلب، وطاعة للآباء والوصايا من أجل الله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٣٧

📖 **قال شيخ:** الذي يحتقر نفسه من أجل الرب، فإن الرب يهب له الحكمة والمعرفة. إننا لا نحتاج إلاّ إلى قلب حريص.

📖 طوبى لمن يصبر بشكر على هذه الثلاثة: ألاّ يأكل حتى يجوع، ولا ينام حتى ينعس، ولا يتكلم حتى يُسأل.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٤١

📖 **قال شيخ:** مَنْ يخاف من مرض الجسد فقد انعدمت منه الفضيلة، وإذا عُتق من الآلام تمامًا يسير بغير مانع.

📖 القلب النقي يرى جميع الناس أطهارًا، وهو النجس وحده.

📖 الزم الشيوخ الروحانيين وتعلّم من سيرتهم، وابتعد من الأحداث والصبيان. أحب السهر فإنه يُنير العقل. لا تظن في نفسك أنه يمكنك أن تنال سيرة فاضلة، أو خلاصًا لنفسك بغير تعب.

📖 لا تضعف عن مقاومة التجارب التي تصادفك، بل اطلب المعونة من الله. لقد سمعنا الله يقول: أنا معكم، فلا تفزع. وقد تحققنا أننا ليس بقوتنا نقاتل، بل بقوة الله الذي ألبسنا سلاح الظفر، وأعطانا الروح القدس.

📖 الضجر إنما يحل بنا لأن خوف الله لم ينغرس بعد في فكرنا، ولا نسينا إلى الآن أكل خبزنا من صوت تنهُّدنا، فحُب الجسد لا يدع عقولنا تسير إلى فوق.

📖 إذا لم تتحرك الأوجاع على الإنسان فلن يكون مجرَّبًا.

📖 النسيان هو هلاك النفوس، وهو يأتي من التهاون.

📖 تحفّظ من النظر والحديث، فإنهما من أسباب الخطية.

📖 النوح يغسل الخطايا، وبتعب كثير نصل إليه.

لا يأتي البكـاء إلاّ بكثـرة الهذيـذ بـذكر المـوت، والدينونـة الرهيبـة، والعذاب الدهري، وأن تكفر بنفسك، وتقطع هواك، وتحمل الصليب.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٤٣ ـ ٥٤٤

وقال أيضًا أنبا مرقس الناسك:

إنّ الذي يريد أن يعبر إلى البرّ الروحاني، فليكن صبورًا، ومتضعًا، ومتيقظًا، ومعتدلاً. فإذا سـعى أحـد إلـى الـدخول {أقحـم نفسـه} فـي هـذا الطريق بدون هذه الفضائل الأربع، فهـو يـزعج نفسـه، ولا يمكنـه أن يعبر.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٩٨



القديسة الأم ســارة:

جاء مرةً شيخان من المتوحدين الكبار من منطقة "بيلوزيوم" {بجوار بور فؤاد الآن} لزيارة القديسة.

وقال أحدهما للآخر: هلم بنا نذلّ هذه المرأة العجوز {نجعلها تتضع}.

فقالا لها: اِحذري من أن تغتـرّي بنفسـكِ إذ تقـولين لنفسـكِ: اُنظـري كيف أنّ متوحدين يأتون لرؤيتي وأنا مجرد امرأة.

ولكنهـا قالـت لهمـا: حسـب الطبيعـة أنـا امـرأة، ولكـن لـيس حسـب أفكاري! {والجملة الأخيرة في المرجع الأخير هـي: إننـي امـرأة حسـب الجنس وليس حسب الروح}!

كما قالت القديسة لآخرين: إنني أنا هو الرجل، وأنتم النساء!
كتاب فردوس الآباء ـ القديسة الأم سارة ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٧٦

٢٢ـ إن الذي ينشد فهم الوصايا دون أن يقـوم بتنفيـذ الوصـايا، وأن يحصل على هذا الفهـم بواسـطة التعلـيم والقـراءة، يشـبه رجـلا يأخذ ظلالا من الحقيقة.

لأن فهم الحقيقة يعطى لهؤلاء الذين أصبحوا شركاء فى الحقيقة.

هؤلاء الذين غير شركاء فى الحقيقـة، وغيـر مـدربين عليهـا عنـدما ينشدون هذا الفهم، يصورونه من أي حكمة محرفة.

📖 وعن مثل هؤلاء الناس يقول الرسول "الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله" {١كو٢: ١٤} مع أنهم يتباهون بمعرفة الحقيقة.
كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٥٠ ـ ٥١

📖 **قال الأب غريغوريوس الثيئولوغوس:**
📖 هذه الثلاثة أمور يطلبها الله من كل إنسان من بني المعمودية:
📖 إيمان صحيح في القلب. وصدق في اللسان. وطهارة الجسد وعفته.
كتاب فردوس الآباء ـ القديس غريغوريوس الثيئولوغوس ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٩٣

{١٢}

القديس الأنبا أرسانيوس

قال أنبا أرسانيوس لتلاميذه قبل انتقاله هذا التعليم

📖 **ثلاثة أشياء تكون من جودة العقل:**
📖 الإيمان بالله. والصبر على كل محنةٍ.
📖 وتعب الجسد حتى يذلّه الراهب.

📖 **وثلاثة أشياء يفرح بها القلب:**
📖 تمييز الخير من الشر. والتفكير في الأمر قبل أن يتم.
📖 والبعد عن المكر.

📖 **وثلاثة أشياء تنير العقل:**
📖 الإحسان إلى مَنْ أساء إليك. والصبر على ما يحلّ بك من أعدائك.
📖 وترك النظر، والحسد، لمن يتقدّمك في الدنيا.

📖 **وستة أشياء يطهُر بها العقل:**
📖 الصمت. وحفظ الوصايا. والضيق في الطعام.
📖 والثقة بالله في كل الأمور.

📖 وترك الاتكال على رئيس من رؤساء الدنيا.
📖 وقمع القلب من الفكر السيء.
📖 وترك الاستماع لكلام الأغنياء. والنظر إلى النساء.

📖 **وأربعة أمور تحفظ النفس:**
📖 الرحمة لجميع الناس. وترك الغضب. والاحتمال.
📖 وإخراج الذنب، وطرحه من قلبك بالتسبيح.

📖 **وأربعة تحفظ الشاب من الفكر الرديء:**
📖 القراءة في كتب الوصايا {الأسفار}.
📖 وطرح الكسل ـ والقيام في الليل للصلاة ـ والابتهال.
📖 والتواضع الدائم.

📖 **وثلاثة تظلم النفس:**
📖 المشي في المدن والقرى. والنظر إلى فخر العالم.
📖 والاختلاط بالرؤساء في الدنيا.

📖 **من أربعة أشياء تتولّد النجاسة للجسد:**
📖 الشبع من الطعام. والسكر من الشراب. وكثرة النوم.
📖 ونظافة البدن بالماء، والطيب، والاهتمام بذلك في كل وقت.

📖 **وأربعة تُعمي النفس:**
📖 البغضة لأخيك. والازدراء بالمساكين بصفةٍ خاصة.
📖 والحسد. والوقيعة.

📖 **وأربعة يتولد منها هلاك النفس وخسارتها:**
📖 الدوران من موضعٍ إلى موضعٍ. حُبّ الاجتماع بأهل الدنيا.
📖 والإكثار من العيش اللذيذ. وكثرة حقد القلب.



ومن أربعة أشياء يتولد الغضب:

المعاملة. والمقارنة. والانفراد برأيك فيما تهواه نفسك.

وعدولك عن وصية الآخرين. واتّباع شهواتك.



وثلاثة إذا عمل بها الإنسان يسكن في الملكوت:

الغم والتنهُّد دائمًا. والبكاء على الذنوب، والآثام.

وانتظار الموت كل يومٍ وساعة.



وثلاثة تحارب العقل:

الغفلة. والكسل. وترك الصلاة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٥١ ـ ٦٥٢

{١٣}

القديس مار أوغريس

{٧٠} إن الذي ثبت الفضيلة في نفسه، وهي نافذة داخله، لا يعد يذكر بعد الناموس والوصايا والعقاب، ولكنه يقول ويفعل ما تمليه عليه عاداته الطوباوية. {تصير الفضيلة طبع فيه}.

كتاب التداريب الروحية ـ لمار أوغريس ـ صفحة ٤٤



{٧٩} حفظ الوصايا ليس كافيا لشفاء قوى النفس بالكامل، ولكنها يجب أن تكمل بالتأمل، بمقدار ما يتناسب مع قوى النفس، ليصل إلى الروح.

كتاب التداريب الروحية ـ لمار أوغريس ـ صفحة ٤٥



{٨١} المحبة هي بنت الأباثيا {شفاء النفس}، وهذه هي ثمرة النسك.

والنسك يبنى على حفظ الوصايا.

وحفظ الوصايا في مخافة الله، يتولد من الإيمان.

فالإيمان هو الصلاح الداخلي.

والذي ليس فيه هؤلاء، لا يكون له إيمان بالله.

كتاب التداريب الروحية ـ لمار أوغريس ـ صفحة ٤٥

{٩٨} كان هناك جزيرة قرب الإسكندرية في الجزء الشمالي من البحيرة تسمى "ماريا" كان هناك راهبا قد أتقن الفضيلة مع بعض الإخوة، يعيشون حياة التأمل هذا قال: "أن أعمال الراهب تنبع من خمسة أسباب هي:

من خلال الله، والطبيعة، والعادة، والحاجة، والجهاد.

وهذا الشيخ هو ذاته قال: "إن الفضيلة واحدة بالطبيعة، ولكنها تتشكل بأشكال مختلفة تبعا لقوى النفس".

وقد قال: "إن أشعة الشمس ليست لها شكل، ولكنها تأخذ شكلا تبعا للشيء {الشكل} الذي تنفذ منه إلى الداخل".

كتاب التداريب الروحية ـ لمار أوغريس ـ صفحة ٤٩

كما أن الكلب يتحايل ليخطف الخبز من يد الصغير، كذلك الفكر الشرير يتحايل ليخطف اليقظة من القلب.

وكما أن النجوم تنير السماء بضيائها، كذلك كلام الحق ينير الإنسان بضيائه، فنمجد الحق، ونتخذه لنا سلاحا من أجل العدو.

كما أن البرق يسبق ويخبر بالرعد، كذلك الكلام الذي يقال بحرص يبين الإيمان، فنحترس وندبر كلام قلبنا بالحكم.

كما أن الشمس تبهج الأرض بشعاعها كلون الذهب، كذلك المحبة تفرح النفس بالأفعال المضيئة، فإذا تمسكنا بما تبطل الأهواء، وتطرح خوف الشياطين لأن الخوف خارجا.

فاصنع كل الأتعاب لكي تزهر بثمار المحبة بفرح وسرور، فإن لم تكن هذه الحالة فيك، فلا تنتفع بشيء مما هو لك.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ٣٨ ـ ٣٩



الذي يريد أن يصنع الطيب بحكمة، ينبغي له أن يجمع عقاقير

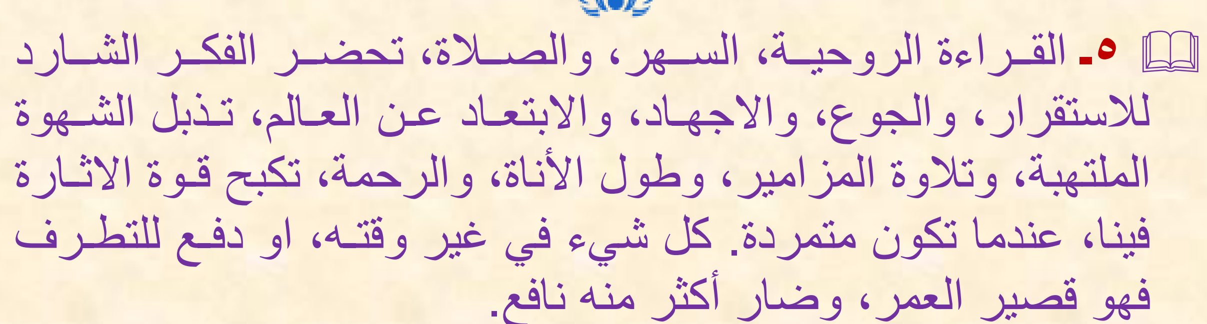
كاللبان والمر والسليخة، ويخلطهم بأجزاء متساوية ويرفعهم.
📖 ونحن نفهم هذا المعنى بطريقة روحية، فهذه العقاقير الأربعة، هم أربعة فضائل يجتمعون معا، أعني: تواضع القلب ــ والأمانة ــ والرجاء ـ والمحبة. فإذا كملت هذه الفضائل الأربعة بمساواة في النفس، وامتلأت منهم، فإن العقل لا ينخدع.
📖 إذا أتقنت النفس بكمال هذه الفضائل التي ذكرناها، فإنها تجعل العقل قائما بدون قلق، وتجعله قابلا التقويم الحسن.
📖 وهذا مطلوب أيضا في أوقات الصلاة.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ٤٠ ـ ٤١

📖 فنتخذ لنا في هذا الحرب سلاحا قويا الذي هو إيمان ثابت، وفهم حقيقي، ونسك كامل، ودعة لا تنتزع، وصلاة بلا فتور.
📖 لذلك إنني متعجب من الذي يملأ بطنه خبزا وماء.
📖 أو يدع الغضب يتحرك فيه. أو يكسل عن الصلاة.
📖 أو يعاشر هرطوقي. فكيف يستطيع هذا أن يقاوم حرب القلب؟!
📖 وكيف يتوج بتاج البر؟!
📖 فيجب على كل مجاهد أن يتنسك من كل شيء.
📖 ويظهر كل دعة أمام كل أحد. ويصلي بلا فتور.
📖 ويرفع يديه طاهرة بلا غضب، وبلا فكر شرير.

📖 فلأجل ذلك يجب علينا أن نتشدد في هذه الجندية الصالحة، ونتخذ لنا سلاحا روحانية ونبارز العدو. ونجاهد لمقاومة خطية القلب إلى الدم، ونهدم الأفكار، وكل علو يتعالى على معرفة الله.
📖 ونستعد الا نقيم الإنسان الظاهر راهبا في مجلس المسيح، بل نقيم القلب راهباً. لأنه يجب على الراهب الا يبتعد عن الخطية الظاهرة فقط، بل يهرب من الخطية التي تتكون بفكر القلب، ويطلب معونة الله ليشرق نوره عليه ويصعده إلى جبله المقدس.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ٦٧ ـ ٦٨



📖 **٥-** القراءة الروحية، السهر، والصلاة، تحضر الفكر الشارد للاستقرار، والجوع، والاجهاد، والابتعاد عن العالم، تذبل الشهوة الملتهبة، وتلاوة المزامير، وطول الأناة، والرحمة، تكبح قوة الاثارة فينا، عندما تكون متمردة. كل شيء في غير وقته، او دفع للتطرف فهو قصير العمر، وضار أكثر منه نافع.

كتاب الفيلوكاليا - ايفاجريوس المتوحد - المجلد الأول - ترجمة واعداد - الراهب أغاثون الأنطوني - صفحة ٥١

📖 **١-** إذا اراد أحد ان يصنع بخورا، فيجب عليه أن يخلط طبقا للناموس، ميعة، واظفارا، وقنة عطرة، ولبانا نقيا، بمقادير متساوية {ق. م. خر ٣:٥}. تلك هي الفضائل الأربع {وهي: تواضع القلب، الإيمان، الرجاء، والمحبة- م} الذي بملئهم، ونموهم المتوازن، يصبح العقل آمنا من الفضيحة.

كتاب الفيلوكاليا - ايفاجريوس المتوحد - المجلد الأول - ترجمة واعداد - الراهب أغاثون الأنطوني - صفحة ٥٤

📖 **١٣٢-** دع فضائل الجسد تقودك لتلك التي للنفس؛ والفضائل التي للنفس لتلك التي للروح؛ وهذه بدورها، الى المعرفة الغير مادية العالية.

كتاب الفيلوكاليا - ايفاجريوس المتوحد - المجلد الأول - ترجمة واعداد - الراهب أغاثون الأنطوني - صفحة ٦٧

📖 **من أقوال الأنبا أوغريس:**

📖 "من يقول إنه أقتنى فضيلة بغير جهاد، فهو الى الآن ممسوك في الآلام، لآن شر الأعداء هو قبالة أتعاب الفضيلة، والقلب الذي ليس فيه قتال، ليست فيه فضيلة، ولا شجاعة.

📖 وكما إن الإنسان البراني يعمل شغل اليد كي لا يحتاج، هكذا الجواني يعمل لئلا يثقل العقل، لآن الأفكار إذا وجدت النفس بطالة من تذكار الله، حينئذ تذكرها بالأفعال الردية".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٣٦



{١٤}

القديس أوغسطينوس

{١} الإيمان بدون أعمال ميت	{٢} الفضائل سلاح	{٣} المستمعين إلى كلمة الله
{٤} الفضائل الرئيسية الاربعة	{٥} الطاعة لله	

{١}

الإيمان بدون أعمال ميت

📖 عظيم هو الإيمان، إنما لا فائدة منه إن خلا من المحبة.

📖 ارفع الإيمان يسقطْ ما تؤمن به، وارفع المحبة يسقط ما تعمل، لأن غاية الإيمان أن تؤمن، وغاية المحبة أن تعمل.

📖 إن كنت تؤمن ولا تحب، فلست تسعي إلى الصلاح، وإن سعيتَ فسعيَ عبد لا سعى ابن، وخوفاً من العقاب لا حباً بالبر.

📖 فالإيمان الذي ينقيّ القلب، هو الذي يعمل عن محبة.

📖 إن آمنت بالمسيح، ضماناً للطمأنينة فى الخطأ، ضللتَ كثيراً، لأن المسيح الذي تنازل وجاء لمساعدتك، شفقة عليك، لن ينفعك اسمُه متى باشر قضاءه الصارم. "ليس من يقول لي يا رب يا رب يدخلُ ملكوت السماوات، بل من يعمل مشيئة أبي، وكثيرون يقولون لي فى ذلك اليوم يا رب يا رب باسمك أكلنا وشربنا " متى٧:٢١-٢٢. الشجب هو نهاية جميع المدمنين.

📖 **على أمثال تلك الأفعال:** ومتى رأيت عدداً كبيراً منهم لا يكتفون بتلك الأفعال {الخاطئة}، بل يعذرون من يقوم بها ويشجعونه، ألتزم أنت شريعة الله، ولا تتبع مخالفيها.

📖 ولن تدان بحسب أفكارهم، بل وفقاً لحقيقة الشريعة، ولا تقتصر

على ما أستحقَّه لك إيمانك من فضل، بل زدْ عليه الرجاء والمحبةَ، ولا تقلق لما سيكون. المحبةُ لا تستطيع إلا أن تعمل.

📖 أعطني محبة خاملة، جامدة لا تعمل {ولن تجد}. أليس الحب {الخاطئ} هو الذي أتي الأفعال السيئة، والقبيحة، والقتل، وسائر السفاهات؟ نقّ حبَّك، وحولّ إلى البستان ماء القاذورات.

📖 وأجعل ما فى حبك للعالم من زخم، دافعاً له إلى خالق العالم.

📖 وما نفعك من التبشير بالحقيقة، إذا كان قلبُك مخالفاً للسانك؟

📖 وما نفعك من سماع الحقيقة، إن كنت لا تبني على صخرة؟

📖 إن سمعت وعملت بنيت على صخرة، أما إن سمعت ولم تعمل، بنيت على الرمل، وإن بنيت على الرمل فللخراب تبني.

📖 إن لم تبن على صخرة طمي السيل، جرفك وصرت بلا مأوي.

📖 إن سمعت كلام الله ولم تعمل به، تكون كمن يأكلُ جيداً ويصعب عليه أن يهضم ما يأكل، فلا يستبقي خلاصة ما يأكل، بل ينبذ الطعام، فضلاً عن التقزز الذي يتسبب له من عسر الهضم.

📖 وأيّ نفع لك من الإيمان إن كنت تجدّف؟

📖 أنت تعبد المسيح فى رأسه {المسيح رأس الكنيسة}، وتجدّف عليه فى جسده {جماعة المؤمنين}. إن كنت قد انفصلت عن الجسد، فالرأس لا ينفصل عن جسده، بل يناديك من فوق "بلا سبب تكرمني".

📖 إن الإعتراف بالمسيح حباً بعبادته شيء، والاعتراف به، صدّا له، شيء أخر. قال بطرس تمسّكاً بالمسيح: "أنت هو المسيح ابن الله الحي " متى١٦:١٦. وقالت الشياطين صدّاً له عنهم: "نعرف أنكَ أنت ابن الله" مرقس٢:١٢.

📖 إيمان المسيح متحد بالمحبة. وإيمان الشيطان خال من المحبة.

📖 ومن لا يؤمن فهو شر من الشيطان، وأكثر تأخراً منه.

📖 وإن قالت الشياطين "نعرف أنَّك أنت ابن الله" فهل هذا يعني إنهم

يملكون معه إلى الأبد؟ حاشا.

📖 وعلى سؤال المعلم: "من أنا على حدّ قولكم؟".

📖 أجاب بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي".

📖 فقال له الرب: "طوبي لك يا سمعان بن يونا" متى١٦:١٥.

📖 وقال له الشياطين الكلام عينهَ، ولماذا ليسوا سعداء؟ لأنهم قالوا ذلك عن خوف، وبطرس قال عن محبة.

📖 الكلام هو هو، إنما الرب يسأل الأصلَ، ولا يسأل الزهرة.

📖 أسمع القديس يعقوب: "ما المنفعة يا أخوتي إذا قال أحد أن له إيماناً، وليست له أعمال؟ العل الإيمان يستطيع أن يخلصه؟ الإيمان بغير الأعمال ميت " يعقوب٢:١٤-٢٠، حتى ما ينخدع أولئك الذين يعدون نفوسهم بحياة خالدة انطلاقاً من إيمان ميت؟

📖 أسألك أتؤمن أم لا؟ قل لي.

📖 وتقول: أني أؤمن، أعمل بما تقول، وذلك هو الإيمان، ولا تسبح الله بصوتك وحسبُ، بل فلتأتلف أعملك مع صوتك فى تسبيحه.

📖 تنشد أحياناً بصوتك، وأحياناً أخري تسكت، أجعل حياتك كلها نشيداً مستمراً، وليكن صوتك فى أعمالك.

📖 أكفر بالعالم أولا، وتصدق على المحتاج.

📖 وأنبذ ما يهواه العالم، ولا تبال بالإهانات، ولا تبغ انتقاماً من أحد، بل قدّم خدك لمن يصفعك، وصلّ لأعدائك، ولا تطالب أحداً بمال لك أخذه، وإن أسأت إلى أحد فى رزقه، فعوّض علية أربعة أضعاف.

📖 وليكن حبك لله، فيما تصنع حباً منزهاً عن كل شيء وحبُك لقريبك، خيراً. لا شيء لك تقدمة إلى الله، إنما لك ما تعطي القريب:

📖 آس البائس يغزُر فضلك، وأعط مما لك من لا يملك شيئاً، ووزع الفائض عنك على الفقراء. إن كنت ذا مال فأطعم المسكين، وأكس العريان، وابن كنيسة، وأعمل الخير جهدك.

📖 وإن كنت ذا فطنة فدبرّ القريب، وبدّد منه ظلام الشك بنور التقوى.
📖 وإن كنت ذا علم فخذ من مخزن الرب، وغذ أخوتك، وقوّ المؤمنين، وأدع التائهين، وأبحثْ عن الضالين، وأعمل كل ما تستطيع. إننا لنجدُ بين المساكين أنفسهم، من يعرفون كيف يبذلون نفوسهم، فيقدم هذا رجله لأعرج، وذاك عينه لأعمي، وآخر يعول المرضي، وآخر يدفن الموتى.
📖 أنها لأمور يستطيع كل واحد أن يقوم بها، وبات من الصعب جداً وجود من لا يستطيع أن يقدم لقريبه شيئاً. وعلى هذا النحو تتم وصية الرسول: "أحملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا أتموا ناموس المسيح" غلاطية٦:٢. إن كان هذا الإيمان إيمانك، فأنت أحد المختارين المنتخبين المبرَّرين، فأعمل إذن على أن تنمية فيك.

عواطف وصلوات

📖 يا سيدي يسوع المسيح إني أؤمن، فجعلني أحبك بهذا الإيمان.
📖 لان من يؤمن بك يحبك، لا كما كان الشياطين يؤمنون ولا يحبون. ومع أنهم آمنوا فقد كانوا يقولون "مال لنا ولك يا ابن الله"؟ {متى٨:٢٩}. أجعلني أقرن المحبة بالإيمان، فلا أقول: "ما لي ولك؟" بل لقد افتديتني يا رب فسأتمسك بك.
📖 إليك أصرخ، أغثني، لئلا تخرس فيَّ أعمالي، ويظل صوتي مدوياً.
📖 إليك أصرخ، كافراً بالعالم وملذاته، وموزعاً مالي على المساكين.
📖 إليك أصرخ، قائلاً بحياتي لا بل فيَّ: لقد صلُب لي العالم وأنا صُلبت للعالم" غلاطية٦:١٤.
📖 إليك أصرخ، موزعاً مالي على الفقراء والمحتاجين.
📖 سوف أقرن حياةً مستقيمة بإيمان مستقيم!
📖 أعترف لك بكلامي، فأنطق بالحق.
📖 وأعترف لك بأعمالي، فأحيا حياة صالحة.



الفصل الثامن

الفضائل سلاح المسيحي فى جهاده

إن الله لا يعلمك نشيداً سوي نشيد الإيمان والرجاء والمحبة.

ليكن إيمانك به قوياً طال ما إنكَ لا تراه، وتفرح حين تراه، ثم تري نوره بعد الإيمان، إذ لا يقال لك "آمنْ بما لا تري" بل "أفرح بما تري". قوّ رجاءك فيه فلا يتزعزع، ولا يتردد، ولا يتأرجح، ولا يضطرب، كما أن الله الذي بنيتَ عليه رجاءك لا يتزعزع.

الصبر الآن ضروري حتى تتحقق الوعود، وفي {نوال} الرجاء لا يحتاج أحد إلى الصبر. أمّا حين يطلب منك أن تصبر حينذاك تكون فى ضيق. متى قيل لك: أصبر تحمَّل، وأنتظر، لأنك خاضع لتجربة، يريدك الله فيها شجاعاً، صبوراً، سخياً وطويل الأناة.

الطبيب الذي يريك الحديد الذي يعالجك به يقول لك: أصبر وتحملّ، يفرض عليك الصبر فى الآلام، ويعدك بالصحة بعدها.

إن تحملَّت الآلام التي تسببت لك من مبضع الطبيب، خائفاً، مضطرباً ومفكرّاً بالشفاء الذي لم تحصل عليه خارت قواك تحت وطأتها. كثيرة هي آلام هذا الدهر فى الداخل والخارج وهي مستمرة.

الشكوك كثيرة ولا من يدركها، خلا من يسير فى طريق الله.

وها هي الصفحات الإلهية تدعوك إلى تحمّل الحاضر، وترجيّ المستقبل، ومحبة ما لا يري، وصولاً إلى معانقة ما يري.

إن المحبة التي تتصل ثالثاً بالإيمان والرجاء هي أعلي منهما، لأن الإيمان يختص بما لا يري، ويصبح حقيقة ما لم يكن يري حين يري، الرجاء انتظار خير للإنسان لم يبلغه، ومتى حازه بطل الرجاء، وإذ يحوز الخير لن يبقي للانتظار معني.

أمّا المحبة فلا تعرف غروباً بل تنمو باستمرار.

📖 إن أحببتَ من لا تراه، فكيف تحبه حين تراه؟
📖 أجلْ، أرغبْ فيه تتقدم، لا تعد الآن بالسلام نفسك، لأنك إن حققت السلام اجتاحك العدو، وأنت تظن نفسك فى سلام.
📖 إنكَ كمن يسافر على بحيرة، عرضه للريح والعواصف، فى سفينة تكاد تكون مليئة بتجارب العالم اليومية.

📖 إن آمنت كان المسيح فيك، لأنه بالإيمان يسكن قلوبنا. وبما إنكَ تؤمن فالمسيح فى قلبك. بينما كان المسيح نائماً فى السفينة، خاف تلاميذه واضطربوا إذ عصفت ريح صرصر فعلت الأمواج، وأشرفت السفينة على الغرق ويسوع نائم. كذلك يضطرب قلبك الشبيه بسفينتك، لدي هبوب العاصفة فى هذا العالم: تضطرب سفينتك لأن المسيح نائم فيك.
📖 تهبّ عواصف هذه البحيرة، حين تري الأشرار ينعمون بالخيرات، والأبرار يرزحون تحت المصائب، أنها التجربة والموج العالي. ثم تقول لنفسك: ربّ أهذا هو عدلك؟ أن يسعدَ الأشرار ويشقي الأبرار؟
📖 فيجيبك الله: أهذا هو إيمانك؟ هل وعدتك بهذه الأشياء؟
📖 وهل صرت مسيحياً لكي تتنعم فى هذا العالم؟
📖 وهل تتعذب الآن لأن الأشرار الذين سوف يتعذبون مع الشيطان يتنعمون الآن؟ ومن أين لك هذا الكلام؟

📖 ولمَ تخاف أمواج البحر والعاصفة؟ لأن يسوع نائم، والإيمان الذي يأتيك من يسوع نائم هو أيضاً فى قلبك. أيْقظْ يسوع وقل له: أيها المعلّم، أني أهلك فالأمواج المضطربة تتلاعب بي: أني أهلك.
📖 ويستيقظ يسوع، ويعود الإيمان إليك، وتدرك به أن كسب الأشرار، لزمن، ولن يدوم بدوامهم.
📖 فى هذا العالم سوف تنزع منهم خيراتهم، وسوف يتخلَّون عنها حين يموتون، أما ما وعدت به أنت فسوف يبقي إلى الأبد. وإن ما قد

أعطوه إلى زمن سوف ينزع منهم للحال، لأن هذا الخير قد أزهر كزهر العشب. أعرض عمّا يزول، وأتجه شطر ما يبقي، فلن تهز منذ الآن قلبك عاصفة لأنك مع المسيح، ولن تملأ المياه سفينتك لأن الإيمان يأمر الريح والبحر فيزول الخطر.

🕮 فكّر بالمسيح متى تعرضت لصعوبة، أنت تتعذب غالب الأحيان، ولا تصبر لأن ما تحمله المسيح لا يخطر لك ببال.

🕮 إن نسيت آلام المسيح نام المسيح فيك، وإن ذكرتها استيقظ.

🕮 ولكن متى تأملت من كل قلبك بآلامه، إلا تتألم بكليتك؟ وقد تغتبط حين تري فيك ما يشبه آلام مليكك. متى فكرت بهذا متأملاً تعزّيت، واغتبطت لان المسيح قام وأمر الرياح فحدث هدوء عظيم.

🕮 هل تغضب حين تسمع إهانة؟ الإهانة ريح، والغضب موج. أنت فى خطر، تستعد للجواب، ولردّ اللعنة بلعنة، إذا ذاك تشرف سفينتك على الغرق. أيقظ المسيح النائم فيك ليقول لك: ولماذا؟ هل انتقمت لنفسي؟ ومتى قال لك الإيمان هذا القول، حينذاك يأمر الإيمان الرياح والعاصفة فيحدث هدوء عظيم.

عواطف وصلوات

🕮 ربّ، عالمنا لا يزال عرضةً لخضات أمواج التجارب، وعواصف البلايا، والثورات وزوابعها، ومع ذلك فالسير فيه مستمر.

🕮 يستطيع البحر أن يهدد فتعلو أمواجه وتهبّ عواصفه علينا نحن السائرين على هذا الطريق: بيد إنكَ سلمتني لكي أسافر فيه عليها.

🕮 لا أزال فى أرض الأموات، وها أني أصرخ: أنت رجائي، وميراثي فى أرض الأحياء: رجائي فى أرض الأموات، وميراثي فى أرض الأحياء.

🕮 تزحف المكائد فى أرض الأموات، وتنقض على المغفِلين.

📖 مـن ذا الـذي يسـتطيع أن يحصـي التجـارب غيـر المنتظـرة؟ هـي تزحف وأنا سهران. إني لفيما على الخشبة، وإن كنت فى وسط المياه لعبـة بـين أيـدي الأمـواج. لا تـنم، إن نمـت، أيقظتـك، فتـأمر الريـاح وتسكت البحر أنا فى الوطن.

📖 أنا ذاهب إلى الـوطن بحـراً فـوق خشـبة، فـوق تلـك الخشـبة، لسـت أخشى خطراً لأن الخشبة التي تحملني تحمل العالم

كتاب خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ٢٢٩ ـ ٢٣٢

{٣}

الفصل الرابع

فى المستمعين إلى كلمة الله

📖 أني أقرع بابك يا ربّ فافتح لي، وأكتشف لـي عمـا شـئت مـن لجّـة أسرارك. أعطني أن اقبل الحقيقة الجلية وأرعاها بتقوى.

📖 لتتضح أمام ناظري الحقيقة الغامضة، وكيـف أدرك حقائقك الخفيـة إن رذلت ما هو مكشوف لي منها؟

📖 إنـي أؤمن بما تناولت وقلته لي، وقد شئت أن أدركه.

📖 أما إذا لم أتمكن من ذلك فأرجوك أن تعطيني الفهم الذي أسـألك، يـا من أعطيتني الكلمة التي لم أسألك إياها.

📖 لقد نزلت إلينا يا من كنت تحدثنا فى الماضي كإله، أنت يا من بدأت تتحدث إلينا نظير الإنسان، ومع ذلك فأنت إنسان وإله.

📖 إله صرت إنساناً، وصـرت مـا لـم تكـن، دون أن تخسـر شـيئاً ممـا كنت. أنضمَّت إليك الطبيعة البشرية لكي تصير أنـت الإلـه إنسـاناً، لا لكي تصبح إنساناً وتبطل أن تكون إلهاً.

📖 أنا الذي كنت أسمع لك، كما لخالقي، سوف أسمع لك أيضا، كما لأخي. أنت خالق لأنك الكلمة الأزلي، وأنت أخ لأنك مولود من العذراء مريم. خالقٌ أنت قبل أن يكون إبراهيم وأدم، وقبل أن تكون الأرض والسماء. سابق أنت لكل الكائنات الجسدية والروحية.

📖 وأبٌ لذّرية إبراهيم، ولسبط يهوذا، ولعذراء إسرائيل.

📖 إن اعترفت بأنك يا محدثي إله وإنسان. سوف أفهم كلام الله والإنسان لأنك تقول لي أحياناً ما يليق بالعظمة، وأحياناً أخري ما يناسب التواضع. فيما لعمق كلماتك الغريب!

📖 إلهي أنه لعمق غريب وعجيب. أنى أتأمل به مضطرباً اضطراب من يحترم ويحب، أني أبغض بشده من يقاومونه. يا ليتك تبيدهم بسيف لك ذي حدين، فلا يبقي له أعداء. أودّ لو تميتهم عن أنفسهم وتحييهم لك.

📖 صوت المسيح

📖 إن سرت فى النهار فلست تعثر، أنا نور العالم، أتبعني إن لم تشأ أن تسقط. لا تحاول أن تكون لي مشيراً، يا من وجب عليك أن تأخذ منى مشورتك. إن سرت نحوي فلست تضيع، لأني الحقيقة التي إليها تسرع، والطريق الذي فيه تعدو.

📖 إن فكرت بالقديسات فأنا هو قدس الأقداس.

📖 وإن فكرت بالقطيع فأنا هو راعي الرعاة.

📖 وإن فكرت بالبناء فأنا هو أس الأساسات كلها.

📖 إن درست بتقوى وحكمة، العظة التي ألقيتها على الجبل، وجدتَ المثال الكامل للحياة المسيحية فى أحسن الأخلاق. وأني كنت أقول الأشياء التالية، تعريفاً بالوصايا اللازمة لتكوين الحياة المسيحية.

📖 سوف أشبه من يسمع كلامي، ويعمل بموجبه، بالرجل الحكيم الذي بني بيته على الصخرة، فلما سقط المطر، وفاضت الأنهار، وعصفت الرياح، وضربت ذلك البيت لم يسقط، لأنه مبني على الصخرة.
📖 ومن يسمع كلامي، ولا يمل به، أشبهه برجل أحمق بني بيته على الرمل، فلما سقط المطر، وفاضت الأنهار، وعصفت الرياح وضربت ذلك البيت، سقط وكان سقوطه عظيماً.
📖 أنا لم اقل: "من يسمع كلامي"، بل "من يسمع كلامي الآن"، وهذا الكلام يشير إلى أن ما قلته على الجبل، يجب أن يكون موضوع تعليم كامل، للذين يريدون أن يحيوا بالطاعة له، حتى أني شبهتهم بحق بالذين يبنون على الصخور.
📖 إن شئت أن تبني على الصخر فليكن الكلام حقيقة واقعية.
📖 ولا تكتف بالإصغاء إليه لئلا تخدع نفسك.
📖 إذا كان سماع كلامي شيئاً جميلاً، أليس {العمل} بموجبه أفضل؟
📖 إن لم تسمع تهمل الكلمة، ولا تبني شيئاً.
📖 وإن سمعت ولم تعمل تبني للخراب.
📖 السماع والعمل به بناء على الصخرة!
📖 لأن السماع هو البناء بالذات، ومن يسمع كلمتي ولا يعمل بها يبني سامعاً، ولكنه يبني على أساس من الرمل.
📖 ويسقط المطر، وتفيض الأنهار، وتعصف الرياح، وتضرب ذلك البيت فيسقط، ويكون سقوطه عظيماً، يا له من منظر مؤسف.

📖 **صوت النفس:**
📖 رب، هل أنا بحاجة إلى أن اسمع ما لا أعمل به؟
📖 لأني حين أسمع ولا أعمل، أبني للخراب.
📖 أليس من الأضمن لي ألاّ أسمع؟

📖 **صوت المسيح:**

📖 يا بني أن المطر والرياح والأنهار، لا تهدأ فى هذا العالم، الا تبني على الصخر، حتى إذا ما أقبلت هذه لا تقلبك رأساً على عقب؟

📖 طال ما إنكَ لا تسمع، فلن تثبت تحت سقف.

📖 وهل تكون أكثر اطمئناناً متى هطل المطر، وفاض النهر وجرفك عرياناً؟ تأمل فى الحظ الذي تختاره، لن تكون مطمئناً كما تظن لأنك لا تسمع. ولا مفر لك إذا كنت عرياناً، وبلا مأوي من الانقلاب والانجراف والغرق.

📖 إن كان البنيان على الرمل سيئاً، فأسوأ منه هو عدم البناء، وبقي عليك أن تسمع وتعمل. لا تقل: أود أن اعرف إذا كان من يتكلّم يعمل كل ما يقوله للآخرين. إنْ عمل بما يقول فاقتد به، كما هو يقتدي بي.

📖 إن احترمته فامدحه، وإن احتقرته ولو شكوته فلا تعذر نفسك.

📖 إن سمعت نصائح حسنة وعملت شراً، ارتويت بمطر خفيف، وأنبتت شوكاً.

📖 لا تكن بلا ثمار صالحة، مخافة أن تتذوق القساوة بسبب عقمك.

📖 الواعظون موجودون، يعظونك بكلمة الحق، ويفسرون لك ما هو غامض، لكي يرتفع قلبك إلى، تأمل فى إيمانك وسلوكك.

📖 القاضي يأتي بعد الواعظ، وصانع السوء بعد صانع الخير.

صوت المسيح:

📖 رب إن استمسكت بإثمي، كانت كلمتك لي خصماً.

📖 وإن ثرت على أثمي، صارت كلمتك لي صديقاً، ولإثمي عدواً.

📖 إن كرهت إثمي ضمني إلى كلمتك، فنتعاون كلانا أنا وكلمتك على إهلاك إثمي.

📖 وحدي لا أستطيع أن أعمل شيئاً، أغثني يا من أرسلت إلى كلمتك فأنتصر على الإثم. كلماتك سهام حادة إذا أرسلت اخترقت القلوب.

📖 ومتى اخترقت سهام كلمتك القلوب حرّكت الحبّ لأنها ليست قتّالة.

كتاب خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية ـ الكتاب الخامس ـ صفحة ٢٦٧ ـ ٢٦٩



{٤}

الفصل الخامس عشر

الفضائل الرئيسية الأربع

🕮 إن أدت بنا الفضيلة إلى الحياة السعيدة، فأني أؤكد بأن لا كمال فى الفضيلة إلا بمحبة الله السامية. أما ما يسمي بالفضيلة الرباعية، فهو تنوع فى التعبير عن الحب ذاته، بقدر ما يدركه عقله.

🕮 وتلك الفضائل الأربع التي أرجو الله أن يضع قوتها فى عقول الناس، كما هي أسماؤها فى أفواههم، أتجاسر فأحددها على الوجه التالي:

🕮 {١} **الاعتدال:** هو الحب الذي يقدمه ذاته لمحبوبة كاملاً.

🕮 {٢} **القوة:** هي الحب الذي يحتمل كل شيء فى سبيل محبوبة.

🕮 {٣} **البر:** هو الحب الذي لا يخدم سوي محبوبة، فيسيطر بصدق.

🕮 {٤} **الفطنة:** هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ إلى الله، وبين ما يمنع عنه.

🕮 ولكن هذا الحب ليس حبا عاديا، بل حب الله الخير الأسمى، والحكمة السامية، والسلام السامي، لذلك يجوز لنا أن نحدد تلك الفضائل على النحو التالي فنقول إن:

🕮 **الاعتدال هو:** حب الله الكامل من دون عيب.

🕮 **والقوة هي:** الحب الذي يحتمل كل شيء، وبسهولة فى سبيل الله.

🕮 **والبر هو:** الحب الذي لا يخدم سوي الله، ولذلك فهو يسيطر جيداً على الباقي، أي على ما هو خاضع للإنسان.

🕮 **والفطنة هي:** الحب الذي يميز بين ما يقرب من الله، وما يبعد عنه.

🕮 **الاعتدال:** يقوم ويهدئ ما فينا من ميول، تدفعنا إلى ملذات تبعدنا عن الله ووصاياه، وعن ثمار صلاحه، التي هي كما أوجز الحياة السعيدة. هناك كرسي الحقيقة التي تصيرنا ولا شك سعداء، متى تمتعنا بمشاهدتها واتحادنا بها، أما إن ابتعدنا عنها ووقعنا فى أضاليل كبيرة، وألام فادحه، أسمع قول الرسول "حب المال أصل كل شر، وهو الذي رغب فيه قوم فضلّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة". الإنسان الأول أرضي من الأرض، والإنسان الثاني سماوي من السماء.

🕮 كما فى الأرضي كذلك الأرضيين: وكما السماوي كذلك السماويون

🕮 وكما لبست صورة الأرضي ألبس صورة السماوي، أن أخلع الإنسان العتيق والبس الجديد.

🕮 وعليه، يقوم الاعتدال فى أن ينزع المرء الإنسان العتيق، ويلبس الجديد فى الله، أي أن يرذل مغريات الجسد، والمجد البشري، ويصوب محبته كاملة إلى ما هو إلهي وغير منظور.

🕮 أحب الله وحده وأرذل كل ما هو محسوس، واستخدمه فقط لقضاء حاجات الحياة والدنيا. ضع فيك حداً للجشع الفكري الباطل، إن شئت أن تظل عفيفاً فى خدمة الله.

🕮 **القوة:** هي الحب الذي يجب أن يكون مضطرماً لله، فيكبح جماح رغباتنا فى الخيور الأرضية، حتى إذا خسرها كان قوياً.

🕮 لما خسر أيوب ماله كلّه وأَصبح معدماً، ظل متحداً بالله فى قلبه اتحاداً لا يتزعزع، وأظهر عدم اكتراثه برزقه، وأعتبر الله أسمي كنز له.

🕮 لو تحلي أبناء عصرنا بجرأة مماثلة، لما كنا بحاجة إلى قدرة الكتب المقدسة كي نبعد عنا تلك الخيور بلوغاً إلى الكمال، لأنه أفضل لنا ألاّ نتمسك بتلك الثروات التي فى حوزتنا، من ألا نملكها أبداً.

🕮 **وماذا عن البر الذي لله؟** يهبُ البر من يحب الله قاعدةً للحياة، تساعده على أن يخدم الله الذي يحبه خدمةً طوعية، لكونه الخير الأسمى، والحكمة السامية، والسلام الأسمى، وعلى أن يسيطر على ما هو دونه، ويحسن ظناً بما يجب أن يخضع له.

🕮 **وعلى الفطنة: أن** تتسلح بالانتباه، والسهر التام، لئلا تقع فريسة مشير عاطل، ولذا قال الرب اسهروا وصلوا ثم يضيف "ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام، والذي يسير فى الظلام لا يعلم إلى أين يذهب" {يو١٢: ٣٥}.

🕮 وهل نقول عن الخمول النفساني الذي يمنعنا من إدراك خبث الحية، كلاماً واضحاً من كلام النبي القائل "إن الذي يحتقر اليسير يسقط شيئاً فشيئاً" بن سيراخ١٩/١، إن أعوزتك الفطنة فلا مجال لسواها من الفضائل التي سبق الكلام عنها.

🕮 وماذا أضيف؟ إن كان الله خير الإنسان الأسمى، فلا ريب إن كل من تاق إلى الخير الأسمى عاش عيشة صالحة. ومن عاش بصلاح أحب الله من كل قلبه ونفسه وضميره، فيحفظ الاعتدال هذا الحب من كل فساد. والقوة تحفظه من التحطم أمام التجارب.

🕮 والبر يخُضع كل شيء لله وحده.

🕮 أما الفطنة فتحولّ قواها لتمييز الأشياء، لئلا يقع الإنسان شيئاً فشيئاً فريسة الغش والخداع. ذاك هو كمال الإنسان، الذي يؤهله لأن يتمتع بالحقيقة عن طريق الصدق.

عواطف وصلوات

🕮 أستجب صلاتي يارب، لئلا تقع نفسي تحت تأديبك، وأتخاذل عن الاعتراف برحمتك التي نجتني من الطرق المليئة بالشرور التي

سلكتها، فيستطيبك قلبي أكثر من كل تلك المغريات التي تجرني وراءها. هبني أن أحبك حباً كبيراً، وأن أمسك يدك بحرارة قلبي، فتنجني من التجارب حتى النهاية.

📖 الشكر لك يا حلاوتي، وشرفي، ورجائي، وإلهي. الشكر لك على حسناتك، التي سألتك أن تحتفظ لي بها، كما تحافظ عليّ.

📖 تزداد فيّ هباتك وأنا معك، وذاك اسمي عطاء تعطينيه، وتوفر لنا الدنيا بعض اللذة، بيد أن السعادة التي يعطيها إلهي خالق كل شيء لا نظير لها، لأن فرح البار، وغبطة ذوي القلب السليم، والآن أيها الرب إلهي إني أبحث عما أغواني في الخطيئة، فلم أجد أدني مظهر للجمال. وفي الواقع تقلّد الكبرياء العلّو، بينما أنت وحدك، أيا الرب، أعلي من كل موجود. وماذا يطلب الطمع سوي المجد والشرف؟ بينما يجب أن تكون وحدك موضوع إكرام الجميع وتعظيمهم.

📖 شدة الأقوياء توحي بالخوف، ولكن من ذا الذي لا يخشى سوى الله الأحد؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يخرج شيئاً عن سلطانة؟ متى؟ وأين؟ وكيف؟ وما هو السبيل إلى ذلك؟

📖 للغزل مداعبات خفية تهدف إلى إيقاظ الحب، ولكن لا ألذّ ولا أذكي من محبتك، ولا أدعي إلى الخلاص من حقيقتك، التي تفوق كل بهاء بجمالها وحسنها. يبدو الفضول وكأنه يتذّوق العلْم، بيد إنكَ تعرف كل شيء معرفة سامية. الجهل والحماقة يلجأن إلى حمي السذاجة والبراره، ولا أبسط منك يا الله.

📖 يسعى الخوف إلى الراحة، ولكن هل أضمن من الراحة معك؟

📖 الرفاهية تظهر بمظهر الاكتفاء والبحبوحة، في حين إنكَ الكمال، ومعين الأفراح التي لا يشوبها كدر.

📖 يتسم الإفراط بسمة الحرية، في حين إنكَ المعين الفيّاض بالأفراح على العالم كله. بوسع البخل أن يحوز الشيء الكثير، في حين إنكَ تملك كل شيء.

📖 يحاول الجسد عن طريق الفتنة الوصول إلى المقام الأول، ومن هو أسمى منك؟ يطلب الغضب والانتقام، ومن ذا ينتقم بعدل مثلك.

📖 الخوف يخشى الحوادث المفاجئة اللامنظورة التي تفتك بما نحب أثناء رعايته للأمن، ولكن هل من مفاجآت غير منتظرة بالنسبة إليك.

📖 ومن ذا الذي يستطيع أن يفصلك عما تحب؟

📖 وهل من أمان صحيح إلاّ معك؟

📖 يبلغ الحزن أوجه حين يفقد ما كان يتمتع به جشعه، ويتمني أن يبقي له كل شيء، فى حين أن هذا هو امتياز خاصّ بك.

📖 وعلى هذا النحو فالنفس التي تبتعد عنك تزني، وتبحث فى الخارج عن خيور لا تجدها نقية بهية إلاّ متى عادت إليك.

📖 إن الذين يبتعدون عنك ويقومون ضدك يقلّدونك عن خبث، إنما يعترفون بذلك إنكَ خالق الكون بأسره، ولا مجال للابتعاد عنك.

📖 أنا هو الخادم الهارب من سيده إلى الظل. يا للفساد، يا لفظاعة الحياة، ويا لعمق الموت.

كتاب خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية ـ الكتاب السادس ـ صفحة ٣٦٦١ ـ ٣٧٠

الفصل التاسع

فى الطاعة

📖 الطاعة التي اعنيها هنا هي: الخضوع للوصايا.

📖 الطاعة فى الخليقة العاقلة هي: أم الفضائل، وحارس لها، وكل من قارن بين الطاعة {لوصايا الله} والعفة، وجد الطاعة خيراً من العفة.

📖 ما حرمتّ الكتب المقدسة الزواج قط، ولكنها شجبت العصيان.

📖 لذلك تقوم الطاعة بلا تبتل، لأن التبتل مشورة وليس وصية.

📖 أما إن وجُدت الطاعة للوصية بلا تبتل، فلا وجود لها بلا عفة.

📖 العفة: تحرم الدعارة، والزني، فكل من خالفها خالف وصايا الله، وخرج عن فضيلة الطاعة.

📖 وبخلاف ذلك فإن التبتل يقوم بلا طاعة: تتمكن امرأة رضيت بالتبتل مشورة، وحافظت على بكارتها، من أن تهمل الوصايا كما فعلت عذارى كثيرات، عرفن بثرثرتهن، وفضولهن، وإدمانهن على الخمر، وبخلهن وكبريائهن.

📖 وهذه كلها نقائص تضاد الوصايا وتقتلها، كما جري لحواء بالذات يوم عصت أمر الرب، ولذلك علينا أن نؤثر منَ أطاعَ على من عصا، بل الزوج المطواع على العذراء غير المطواع.

📖 لا شيء كالطاعة يليق بالنفس البشرية:

📖 إن أطاع الخادم معلمه، والابن أباه، والمرأة زوجها، فأحر بالإنسان أن يطيع الله. لقد كان من الواجب على الإنسان الخاضع لله، أن يكون أدني منه لتكون الطاعة فضيلة تقّربه من معلمه.

📖 يسعني أن أقول فى تلك الفضيلة: إنها الفضيلة الوحيدة الصالحة لخليقة عاقلة، تعمل تحت أمرة الله، كما وان أولي الرذائل وشرها هي ألا تطيع، ولا يسعها إلا أن تستخدم تلك الرذيلة لهلاكها.

📖 قد لا يكون للإنسان سبيل إلى التفكير بالرب ما لم يكن مأموراً بذلك. وقد لا يكون بوسعه أن يظهر بوضوح أفضل أن المعصية شر كبير، ما لم يخطأ ضد الله بفعل يجره إلى الإثم، لولا تحريم الله له.

📖 ولماذا تُحرّم عليه أن يمسّ ما ليس مؤذياً، ثم يمنعه عن آخر لولا رغبته فى إظهار الطاعة خيراً، والمعصية شراً.

📖 وبالتالي فالإنسان الخاضع للناموس يسمع من الرب الإله الكلمة التالية: {لا تمسّ} ماذا؟ هذه الشجرة، وما هي هذه الشجرة؟ إن كانت خيراً فلم، لا أمسها؟ وإن شراً، فلم هي فى الفردوس؟

📖 وجودها فى الفردوس خير لكنني لا اسمح لك بأن تمسها. ولمَ لا يجوز لي أن أمسها؟ لأني أريدك أن تطيع، وألاّ تخالف قولي.

📖 أطعْ أيها الخادم، ولا تكن شريراً:

📖 أطعْ أوامر المعلم، لكي تتعلم منه المشورة.
📖 إن الشجرة صالحة، ولكني لا أريد أن يمسها. لماذا؟
📖 لأني أنا السيد وأنت العبد، وهذا هو السبب كله، إن كان السبب تافهاً جداً، فهل تأنف من أن تكون عبداً؟
📖 وهل يليق بك إلاّ أن تكون تحت أمرة الرب؟
📖 وكيف تكون خاضعاً له، إن لم تكن عاملاً بوصيته؟
📖 إن الله يظهر ما للطاعة من قيمة حين يبعد الإنسان عمّا ليس شراً: هنا الطاعة وحدها تحمل غار النصر، والمعصية وحدها تلقي العقاب. هذا خير إنما لا أريدك أن تمسه: ماذا ينقصك؟
📖 لا أريد أن تمسه، ولا أن تأكل منه، أنه خير لك الطاعة خير منه. وهل الشجرة شريرة إلى حد تميتك إذا مسستها؟
📖 صيرتك المعصية خاضعاً للموت، لأنك مسست ما هو حرام.
📖 وماذا كان ينقصك حتى مسستها؟
📖 شئت أن تستعمل قدرتك فاغتبطت بتجاوزك الوصية، وشئت أن تكون كالله خارجاً عن كل سلطة، لأن لا سلطان على الله.

📖 أيها الدوار المغرور الشرير، ستموت موتاً إن ابتعدت عن طريق البر، خرقت الوصية، وكسرت النظام بحماستك.
📖 أين هي الروادع التي كانت تقودك؟
📖 إن أردت أن تكون حكيماً فأحفظ الوصايا، وتأمل بما أمرك الله به، الزم الطاعة بلوغاً إلى الحكمة، وإذا نلتها فأبق مطيعاً.
📖 أحفظ وصية أبيك، حفظك لوصية الرب إلهك، إن لم يأمرك الرب بما يأمرك به أبوك، فإنه يوصي البنين بالطاعة لوالديهم.
📖 إن أمرك أبوك بما يضادّ شريعة الله فلا تطعه، ولكن متى أمرك بما لا يضاد الله فأطعمه كما تُطيع الله، الذي أمرنا بالطاعة لوالدينا.
📖 إن التعليم الرسولي يحض العبد على طاعة سيده مختاراً، لا قسراً، ليجعل باطنه حراً. إذا حضك النظام عينه بهذا الشكل، فلمَ يجب عليك

أن تخضع بإرادة تامة وحرة لله الذي يري إرادتك بالذات. وهل من ظلم أشد من أن يفرض إنسان الطاعة على مرؤوسيه، ثم يأبى الخضوع لرؤسائه؟

📖 لا تبحث عن براعة منَ يتكلمون، بل أخضع لسلطان من يأمر.

📖 يحسن المرؤوس أن يطيع رئيسه، لكي يخضع هذا الأخير بدوره لمن هو أعلي منه. تعلّم نظام الأشياء: عليك أن تخضع لإلهك.

📖 وعلى نزواتك الجسدية أن تخضع لعقلك. أنت تخضع لمن هو أعلي منك، وعلى من هو دونك أن يخضع لك. كن خادماً لخالقك، فيكون خادماً لك من قد خلق لأجلك.

📖 أما إن أبيت أن تطيع الله، فلا يسعك أن تأمر جسدك بالطاعة لك.

📖 يا من لا تطيع ربَّه، سوف يقهرك خادمك.

📖 صلاة واحدة يرفعها إنسان مطيع تخطي قبولاً لدي الله، أكثر من عشرة آلاف صلاة، يتلوها إنسان متمرد.

عواطف وصلوات

📖 أيها الأخوة الأحباء أطيعوا رعاتكم، وأعلموا باتضاع إنكم خراف المسيح، لأنهم يدركون خائفين إنهم رعاة لكم.

📖 إن رعى الرعاة خرافهم بخوف ورعدة، فما أحرى من الخراف بالخوف. أنيطت الرعاية بالرعاة، والطاعة بالنعاج.

📖 على الرعاة أن يسهروا، وعلى الخراف أن يطيعوا.

📖 وإذا رأيتم الرعاة يكلمونكم من علُ، فإنهم يرتعدون على أقدامكم، إذ يدركون الحساب الصارم الذي سوف يؤدونه عن مقامهم الرفيع. وبالتالي، فيا أبناء الكنيسة الكاثوليكية، ويا أعضاء المسيح تأملوا فى من هو رأسكم.

📖 ويا أبناء الله تأملوا فى من هو أبوكم، وتأملوا بالميراث الذي به وعدتم: ليس كالميراث الذي يرثه الأبناء عن أبيهم، إذ لا يرث إنسان

على الأرض أباه إلاّ بعد موته، أما نحن فسوف نرثه حياً. لأن أبانا لا يموت، ثم أضيف قائلاً وقولي حق: أبونا ذاته ميراث لنا.

كتاب خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية - الكتاب السابع - صفحة ٤٠٢ - ٤٠٥



{١٥}

القديس باسيليوس الكبير

هل لابد أن تعمل الوصايا بترتيب {بلياقة}؟

📖 **سـألوه:** إذا ما صنع الإنسان وصايا الله بغير ترتيبها، فهل يرضى الله بعملها أم لا؟

📖 **فأجـاب:** إنه قد كتب لنا في العهد العتيق عن القرابين هكذا:

📖 إذا ما قدمتها باستقامة، ولم تقسمها باستقامة أخطأت. أسكت فهو يعود إليك. فبهذا نعلم أن الذي يقدم براً بغير ترتيب لائق، فإنه لا يكون مقبولاً عند الله فقط، بل يحسب ذلك عليه خطية.

📖 ويحقق هذا أيضاً قول الرسول: "ليس أحد وهو يتجند، لا يكلل أن لم يجاهد قانونياً" {٢تى ٢: ٤،٥}. ويحققه أيضاً قول ربنا: "طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده، يجده يفعل هكذا" {لو ١٢: ٤٣}.

📖 واعلموا أن الذي لا يصنع هكذا على أقسام كثيرة:

📖 منها أن يصنع الإنسان البر في الموضع، أو في الزمان الذي لا يجب عمله فيه. أو ما لم يؤهل له. أو يصنع شيئاً دون شيء.

📖 أو لا يتمم عمله. أو يعكس الترتيب. أو بخلاف الضمير.

📖 ولنتكلم على هذه الأقسام. وإذ قد تكلم الرسول كثيراً عن عوائد الناس في تثبيت الأمور اللائقة بالعبادة ليعين لسامعين، قال مثلاً: "أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم إن الرجل إن كان يرخي شعره فهو عيب له. وأما المرأة أن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها" {١كو ١١: ١٤، ١٥}.



📖 فلنتشبه به فنقول: أما العمل في غير موضعه، فكالأكل والشرب في الأسواق، فإن الأكل، أو الشرب ـ وإن كان ضرورياً لكل إنسان حي، إلا أنه من العوائد الجميلة ألا يأكل الإنسان في السوق.

📖 وكذلك لا يرى عاقل أن يبذر حنطة في سباخ، ولا في وسط شوك.

📖 فهذا كلام من العادة، وأما الكلام من الكتب المقدسة:

📖 فإن الناموس رسم أن بعض وصـايـاه تصنـع فـي أورشـليم خاصـة، ولا يقدر أحد أن يصنعها في موضع آخـر فـي أورشـليم خارجـاً عـن الهيكل. والتي تصنع فـي أورشـليم لا تعمـل {إلا} فـي الهيكـل، ونحـن أيضاً لا نجسر أن نرفع سرائرنا المقدسة في مواضع غير مقدسة.

📖 وأما عمل الأشياء في غير وقتها، فقد عرفنا ربنا قدر الخسـارة فيـه بمثـل العـذارى. {متـى ٢٥}، ومـا ذكـره فيـه عـن الخمـس الجـاهلات، وقوله: "فإذا قـام رب البيـت وأغلـق البـاب، حينئـذ تبتـدئون تقرعـون وأنتم قيام خارجاً قائلين: "يارب يارب أفتح لنا. فيجيب ويقول إنني ما أعرفكم، من أين أنتم".

📖 والرسول أيضاً قد أورد لنا من كلام النبي قولـه: "فـي وقـت مقبـول سمعتك، وفي يوم خلاص أعنتك" {٢ كو ٦: ٢}.

📖 ثم تمم الكلام من عنده قائلاً "هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص". وفى موضع آخر قال: "فإذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع، ولا سيما لأهل الإيمان" {غل ٦: ١٠}.

📖 وداود يقول إنه "لهذا يصلي لك كل تقي في وقت يجدك فيـه" {مز ٣٢: ٦}. وقـد قـال سـليمان الحكـيم: "نـع الكـل حسـناً فـي وقتـه" {جا ٣: ١١}.

📖 وأما الذي يعمل عمـلاً لـم يؤهـل لـه: فقـد كتـب لنـا مـا حـل بقـورح وداثـان، ومن معهما لما جسروا ووثبوا على الكهنوت الـذي لـم يعـط لهم، فأتى عليهم غضب الله. ومحقهم هلاك مرهوب.

📖 وإلى تعليمنا في هذا المعنى أشار ربنا بقوله: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" {متى ١٥: ٢٤}. وبقوله للكنعانية: "ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب" {متى ١٥: ٢٦}.

📖 وبولس الرسول قد علمنا ألا يختلس أحد منا نعمة غريبة ليست له، أو يختطف عملاً لم يعط له، فقال: "فإني أقول بالنعمة المعطاة لي، لكل من هو بينكم ألا يرتئي، فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقل، كما قسم الله لكل واحد" {رو ١٢: ٣}.

📖 ومثل هذا ذكره في مواضع أخرى، وضرب المثال لهذا التعليم بأعضاء الجسد إذ قال: "ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد" {رو ١٢: ٤}. وأما من أجل الذي يعمل شيئاً عوضاً عن شيء: فقد كتب في العهد العتيق أن القرابين من حيوانات دون حيوانات، وهي المسماة بالطاهرة ومن هذه أيضاً التي لا عيب فيها خاصة.

📖 وربنا قد وبخ اليهود على تركهم وصايا الله، وتمسكهم بوصايا الناس. والرسول قد كتب لليهود قائلاً: "لأني اشهد لهم أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة، لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله، ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم" {رو ١٠: ٢،٣}.

📖 وأما من أجل من يعمل عملاً ويدعه ناقصاً عن حده: فيكفينا في هذا ما قاله الرب في محبة القريب، ولم يزد عما كتب في العهد العتيق، وهو أن "تحب قريبك مثلك".

📖 لكنه أزاد في هذا وصية جديدة وهي قوله أن "تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم، ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" {يو ١٥: ١٢،١٣}.

📖 والذي يعمل بخلاف الترتيب، فيصنع ما أمر بعمله أولاً أخيراً، وما أمر بعمله أخيراً أولاً، فليتعلم من قول ربنا لذلك الشاب أولاً "لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور".

📖 فلما أجاب أن هذه كلها "قد حفظتها" حينئذ قال له "يعوزك شيء واحد اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء وتعال اتبعني حاملاً الصليب" {مر ١٠: ٢١}.

📖 فإذاً من لا يحفظ القول الأول، ويبتدئ بعمل الثاني، فقد خرج عن الواجب بخروجه عن الترتيب المحدود.

📖 فلذلك قال ربنا في موضع آخر: "أن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" {مت ١٦: ٢٤}، فإذا لم يرفض الإنسان أولاً نفسه لا يقدر أن يتبعه.

📖 وفى موضع آخر قال: "إذا لم يرفض كل ماله لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً" {لو ١٤: ٢٦}. فمن أراد أن يكون تلميذاً للرب، لا يقدر ما لم يرفض كل ما له ولاً.

📖 وقد قال الرسول "لكن كل شيء محدود للبنيان".

📖 وأما الذين يعملون أعمالاً بخلاف ضمائرهم، فهم مثل الذين قال الرب عنهم إنهم يصنعون الصدقة والصوم والصلاة ليرها الناس فيتمجدوا منهم. والرسول في رسالته إلى كورنثوس، يذم القوم الذين لا يصنعون الوصايا لمحبة اللَّه، بل من أجل مجد الناس.

📖 أو من أجل محبة النصيب الأكبر، أو من أجل تجارة.

📖 وقد قال هذا المتكلم بالمسيح: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد اللَّه" {كو ١٠: ٣١}.

📖 وقال: "فلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبداً للمسيح" {غل ١: ١٠}. وداود النبي يقول: "هناك خافوا خوفاً ولم يكن خوف، لأن اللَّه قد بدد عظام المرائين للناس" {مز ٥٣: ٥}.

📖 فيجب يا أحبائي أن نتيقظ، ونجتهد كثيراً في أن نصنع الوصايا على واجبها من غير إخلال بشيء مما قلناه، لئلا نكون غير ساقطين فقط بل وجالبين على أنفسنا هذا التهويل العظيم.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ٢٢٤ - ٢٢٧



التحفظ من مخالفي الوصايا

📖 **سـألوه:**

📖 هل ينبغي أن نشارك قوماً مخالفين للوصايا، سواء أكانوا بين الذين ائتمنا عليهم أم لم يكونوا؟

📖 **فأجـاب:** كل من يخالف واحدة من الوصايا فهو منافق.

📖 فإنه مثل واحد قد قارب الموت، ولم يموت بعد.

📖 أو واحد قارب أن يوجد ولم يوجد بعد، فلا ذاك ميت، ولا الآخر موجود. وكذلك الذي قارب أن يدخل هو بعد في الخارج، كالخمس العذارى الجاهلات المذكورات في الإنجيل.

📖 وهكذا الذي يخالف بعض وصايا الناموس، يعد أيضاً مخالفاً لشارع الناموس {أي واضعه}. فيجب أن نتحفظ من المخالفين، ولو كانوا أقرباء وأحباء. فقد قال الرسول: "أن كان أحد مدعو أخاً زانياً ... فلا تؤكلوه" {١كو ٥: ١١}. وقال أيضاً: "أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذي أخذه منا " {٢ تس ٣: ٦}.

📖 ولنتأمل في معنى قوله: "لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة" {أف ٥: ١١}. فلفظ "الثمرة" قد ورد في الكتب تارة للدلالة على الثمرة الصالحة، مثل قول داود عن الصديق إنه "فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه" {مز ١: ٣}.

📖 وعزيا النبي يقول: "ازرعوا لكم البر، فتحصدون ثمر الحياة ".

📖 وتارة للدلالة على الثمرة الردية، كقول ميخا: "تصير الأرض خربة بسبب سكانها من أجل ثمر أفعالهم" {مى ٧: ١٣}.

📖 وقد قال سليمان إن "أعمال البار تقني حياة، وثمرات المنافقين خطية ". وربنا يسوع المسيح قد أظهر لنا هذا المعنى بكماله فقال: "لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة " {متى ٧: ١٨}.

📖 وقال يوحنا المعمدان: "فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة" وبعد قليل قال: "فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع" {متى ٣: ٨ ـ ١٠}.

📖 أما الأعمال التي بلا ثمرة التي أشار إليها الرسول، فهي الأعمال الحسنة التي يصنعها الإنسان، ليس لابتغاء مرضاة اللَّه. مثل الذين قال الرب عنهم إنهم قد استوفوا أجرهم، مع أنهم كانوا قد صاموا وصلوا، وتصدقوا، ولكن بقلب غير مستقيم {مت ٦: ٢،٥،١٦}.

📖 ومثل: العذارى الجاهلات اللاتي أغلق الباب في وجوههن، مع أنهم عذارى، وقد شاركن الحكيمات في كونهن أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس {متى ٢٥}. ومثل: المرأتين اللتين تطحنان على رحى واحدة، وتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى.

📖 ومثل الاثنين اللذين على السرير يؤخذ الواحد ويترك الآخر {متى ٢٤: ٥}، فها أعمال واحدة، ومجازاة ليست واحدة.

📖 فينبغي أن نحفظ ذواتنا، فلا نتهاون في شيء مما أمرنا به، ولا نشترك في خطيئة. فقد قال الرسول: "لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها " {أف ٥: ١١}، ولفظ "الاشتراك" يدل في الكتب على معان:

📖 مكتوب في الأمثال: "تعال معنا لتشاركنا في القتل، وكيس واحد يكون لنا" وداود يقول: "إذا رأيت سارقاً وافقته، ومع الزناة نصيبك" {مز ٥٠: ١٨}.

📖 وقد قال الرسول: "اشتركتم في ضيقتي" {في ٤: ١٤}.

📖 و "ليشارك الذي يتعلم الكلمة المعلم في جميع الخيرات" {غل ٦: ٦}. وبالجملة فالاشتراك يكون بالرأي وبالعمل.

📖 ومن جملة الاشتراك قسم خفي، وقد عرفناه من كتبنا، وهو أن يعرف الإنسان للإنسان عملاً رديئاً، ولا يؤنبه عليه.

وقد أشار بولس الرسول إلى هذا بقوله لأهل كورنثوس: "بالحري لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل" {١ كو ٥: ٢}.

فينبغي أن نتحفظ من اليسير لأنه قال: "إن خميرة صغيرة تخمر العجين كله" {١ كو ٥: ٦}.

وقال أيضاً: "نقوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً" {١ كو ٥: ٧}. وأعلموا أن بين القوم الذين ائتمنا عليهم، وبين الذين لا يلزمنا الاهتمام بهم فرقاً.

فالذين ائتمنا عليهم، وبين الذين يلزمنا أن نوبخهم، فإن تركنا توبيخهم على خطية، فقد شاركناهم فيها.

وأما بقية أقسام الاشتراك، فلنحفظ أنفسنا منها مع جميع الناس.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ٢٢٩ - ٢٣١

سئل الأنبا باسيليوس:

بأي نوع يعمل الإنسان كل شيء لمجد اللّه، كما أمر الرسول؟

فأجاب: إذا عمل كل شيء كوصايا اللّه، ولم ينظر إلى مجد الناس.

وكان يذكر دائماً قول الرب: "فليُضئ نوركم هكذا قُدَّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السماوات" {مت ٥: ١٦}.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثاني - صفحة ٢٩٢ - ٢٩٢



{١٦}

القديس يوحنا كاسيان

الإيمان – الرجاء - المحبة

للأب شيريمون

١- وصف لمدينة Thennesus

إذ كنا ونحن في طفولة إيماننا مقيمين في دير بسوريا، وقد تقدمنا

روحيا إلى حد ما، اشتقنا بالأكثر إلى نعمة الكمال، فعزمنا للحال أن نذهب إلى مصر ونتوغل في صحراء طيبة Thebaid، لكي نزور كثير من القديسين، هؤلاء الذين انتشرت سيرتهم ومجدهم في كل بقاع العالم.

🕮 وقصدنا من هذا أن نقتدي بهم، أو على الأقل أن نتعرف عليهم.

🕮 قمنا بهذه الرحلة الطويلة إلى مدينة في مصر تدعى Thennesus {هذه المدينة بجوار بحيرة المنزلة}، يحيطها البحر، أو البحيرات المالحة من كل جانب، ويشتغل أهلها بالأعمال البحرية، حيث يفتقرون إلى أرض حتى لأجل البناء، فعندما كانوا يرغبون في بناء بيت كانوا يحضرون ترابا بالقوارب للردم.

🕮 ٢- بخصوص الأسقف أرشيبوس:

🕮 {لم يعرف عن هذا الأسقف سوى في كتابات كاسيان {منظرة٧:٢٦, وكتاب المؤسسات٥:٣٨,٣٧}.

🕮 عندما وصلنا إلى هناك، حقق الله أمانينا عن طريق ذلك الرجل العظيم المبارك الأسقف أرشيبوس، هذا الذي أُخذ من مجمع النساك ورُسم أسقفاً على مدينة Panephsis {وهي في الدلتا، وحقق شامبليون أنها {المنزلة الحديثة}.

🕮 وقد قضى عمره مشتاقاً إلى حياة الوحدة بتدقيق شديد، حتى أنه لم ينحرف قط عن اتضاعه السابق، ولا كان يفتر بسبب المركز الذي ناله {إنما كان يدعى بأنه استبعد من النظام الديري لعدم استحقاقه، قائلا بأنه لم يقدر أن يبلغ النقاوة السامية اتي للإيمان، رغم بقائه سبعة وثلاثين عاماً في الدير}. استقبلنا بلطف زائد وكرم عظيم في مدينة Thennesus سالفة الذكر، حيث يقوم بأعمال أسقفيته.

🕮 وإذ عرف غرضنا واشتياقنا أننا نبحث عن الآباء القديسين الذين في مصر القائمين حتى في الأماكن النائية قال: " تعالوا لنرى الآباء الشيوخ الكبار الذين يعيشون ليس بعيدا عن ديرنا، هؤلاء الذين

يظهر طول جهادهم من أجسادهم المنحنية، وتشرق قداستهم على ملامحهم، حتى أن مجرد التطلع إليهم يعطينا درساً عظيماً.

📖 فإنكم سوف لا تتعلمون من كلماتهم كثيرا قدر ما تتعلمون من حياتهم المقدسة، الأمر الذي أحزن على فقدانه، وفاقد الشيء لا يقدر أن يهبه لكم، وإن افتقاري هذا سيقل نوعا ما بهذه الغيرة التي لكما، إذ وأنتما تطلبان لؤلؤة الإنجيل التي ليست معي، فإنني على الأقل أتمتع بها معكما وأنتما تنالانها.

📖 ٣- وصف الصحراء التي يقطنها شيريمون:

📖 هكذا أخذ عكازه ومزوده كعادة الرهبان، وبدأ معنا الرحلة، مرشدا إيانا الطريق إلى مدينته أي Penephsis، الأرض التي هي أعظم جزء في المنطقة المجاورة {إذ كانت قبلا أغنى منطقة، وكما يُقال أن مائدة الملك كانت تُعد من منتجاتها}.

📖 هذه الأرض طغى عليها لبحر وصارت خراباً، وتحولت إلى مستنقعات مالحة، حتى أن من يراها يظن أنها هي التي قيل عنها في المزامير: " يجعل الأنهار قفاراً، ومجاري المياه معطشةً، والأرض المثمرة سبخة من شر الساكنين فيها " {مز١٠٧: ٣٣،٣٤}.

📖 في هذه البقاع دُمرت مدن كثيرة وهجرها سكانها، وتحولت إلى جزائر، وصارت مسكنا لراغبي الوحدة النساك القديسين، من بينهم ثلاثة متقدمين في السن هم: شيريمون، ونسطوروس، ويوسف، حيث قطنوا فيها زمانا طويلا.

📖 ٤- بخصوص الأب Chaermon

📖 هكذا رأى الأب المبارك أرشيبوس أنه من الأفضل أن يأخذنا أولا إلى الأب شيريمون، لأنه كان أقربهم إلى ديره وأكبرهم سنا، المائة من عمره نشيطا في الروح، {أما من جهة جسده}.

📖 فقد انحنى ظهره بعامل الزمن، مع الصلاة الدائمة، وكأنه قد رجع

مرة أخرى إلى الطفولة، يزحف بيديه المتدليتين اللتين تلمسان الأرض. بالتطلع إلى وجه هذا الرجل العجيب وطريقة سيره ... سألناه بانسحاق أن يقول لنا كلمة ويعطينا تعليماً.

📖 وإذ أخبرناه أن غاية مجيئنا الوحيدة هي اشتياقنا إلى التعليم الروحي، تنهد تنهدا عميقا وقال: أي تعاليم يمكنني أن أعلمكم بها، وأنا قد وهن بي ضعف السن، وتراخيت في تدقيقي السابق، وانتزعت ثقتي مني في أن أُعَلِّمْ، لأنه كيف يمكنني أن أُعَلِّمْ ما لا أعمله؟ إذ كيف أرشد آخر فيما أعلم أنني أمارسه الآن في ضعف وفتور؟! من أجل هذا لا أسمح لأي راهب شاب أن يسكن معي، وأنا في هذا السن المتقدم، لئلا تفتر غيرته متمثلا بي، لأن سلطان المعلم لن يكون قويا ما لم يثبته في قلوب سامعيه عن طريق التنفيذ العملي.

📖 ٥- عند هذا ارتبكنا ليس بقليل، وأجبناه قائلين: " بالرغم من أن قسوة المكان، وحياة العزلة نفسها التي بالكاد يمكن للشاب القوي أن يحتملها ،هي بنفسها تعلمنا كل شيء {من غير أن تحدثنا بشئ، لأنها تؤثر فينا تأثيرا عظيما} إلا أننا لا نزال نسألك أن تترك صمتك قليلا، وتزرع فينا المبادئ التي يمكننا أن نعتنقها، فيصير لنا الصلاح الذي نراه فيك، ليس فقط بالاقتداء بك، وإنما عن طريق اشتياقنا بتعليمك.

📖 إننا نعلم فتورنا وعدم استحقاقنا أن ننال ما نسألك إياه، لكن على الأقل من أجل مشقة الرحلة الطويلة، إذ أسرعنا باشتياق للمجيء هنا من ديارنا في بيت لحم لأجل الاستماع إلى تعاليمك والانتفاع بها.

📖 **٦- الإيمان والرجاء والمحبة:**

📖 عندئذ قال المبارك شيريمون: هناك ثلاثة أمور تمكن الإنسان أن يقمع أخطاءه:

📖 **{أ}** إما الخوف من جهنم، أو خشية القوانين المفروضة.

📖 **{ب}** أو الرجاء في ملكوت الله، والرغبة فيه.

📖 {ج} أو محبة الصلاح، أو حب الفضيلة.

📖 لأننا نقرأ أن الخوف من الشر يجعلنا نشمئز من التدنس: "مخافة الرب بغض الشر" {أم٨:١٣}. وأيضا الرجاء يصد هجوم كل الأخطاء لأن "كل من اتكل عليه لا يعاقب" {مز٣٤:٢٢}.

📖 والمحبة أيضا لا تخاف من هلاك الأشرار. "المحبة لا تسقط أبدا" {١كو١٣:٨}. وأيضا "المحبة تستر كثرة من الخطايا" {١بط٤:٨}.

📖 ويجمل الرسول الطوباوي مجموع الخلاص، وبلوغ هذه الفضائل الثلاثة قائلا: "أما الآن فيثبت الإيمان، والرجاء، والمحبة" {١كو١٣:١٣}.

📖 فالإيمان هو الذي يجعلنا نتحاشى وصمات الخطية، خوفا من الدينونة المقبلة. والرجاء هو الذي ينزع عن عقولنا محبة الأمور الزمنية، محتقرين كل الملذات الجسدية، مقابل ما ننتظره من البركات السماوية. والمحبة تشعل فينا حب السيد المسيح، وحب ثمار الروح، كارهين بقلب ثابت كل ما يتعارض مع ذلك.

📖 هذه الأمور الثلاثة، ولو أن ظاهرها يشير إلى هدف واحد، ونهاية واحدة {لأنها تحثنا على الابتعاد عن الأمور غير اللائقة} إلا أنها تختلف فيما بينها في السمو. لأن الإيمان، والرجاء، يليقان بالأكثر للذين لم يكتسبوا بعد محبة الفضيلة أثناء هدفهم نحو الصلاح.

📖 أما المحبة فتتعلق بالله، وبالذين نالوا في داخلهم أن يكونوا على صورة الله ومثاله، لأن الله وحده هو الذي لا يصنع الصلاح خوفا، ولا ابتغاء كلمة شكر، أو نوال جزاء، إنما يصنع الصلاح ببساطة من أجل محبة الصلاح، وذلك كقول سليمان: "الرب صنع الكل لغرضه" {أم١٦:٤}.

📖 فبصلاحه يغدق الخير على المستحقين، وغير المستحقين، لأنه لا ينفعل غضبا بسبب الأخطاء، ولا يتأثر بانفعالات خطايا البشر، إذ هو على الدوام كلي الصلاح غير متغير.



٧- ارتباط الإيمان والرجاء والمحبة بالعبودية والأجرة والبنوة:

متى رغب إنسان في الكمال، يلتزم أن يتقدم من المرحلة الأولى التي للخوف، والتي دعيت بحق "عبودية"، إذ قيل عنها: "متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون" {لو١٧: ١٠}.

متقدما خطوة تالية، صاعدا إلى طريق الرجاء المرتفع، حيث لا يُدعى بعد عبدا، بل أجيرا ينتظر المكافأة، متحررا من الاهتمام بخصوص التبرئة من خطاياه، أو الخوف من العقوبة، متيقظا للأعمال الصالحة.

وإذ يظهر الإنسان في هذه المرحلة كأجير، ينتظر الأجرة الموعود بها، لا يقدر أن يدرك حب الابن الواثق من محبة أبيه وسخائه، وعدم شكه في أن كل ما للآب هو له.

لهذا فإن ذاك الضال الذي خسر اسم "الابن" {رغم بنوته لأبيه}، لم يقدر أن يتجاسر ويطمع في أن يطلب ما للبنوة عندما قال: "لست مستحقا بعد أن أُدعى لك ابنا" لأنه بعد ما أكل خرنوب الخنازير ... إذ "رجع إلى نفسه" غلب عليه خوف مفيد، مشمئزا من قذارة الخنازير، خائفا من عقوبة الجوع القارص.

كما لو كان يعمل عبدا اشتاق أن يكون أجيرا، وفكر في الأجرة: "كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز، وأنا أهلك جوعا؟! أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقا بعد أن أُدعى لك ابنا، اجعلني كأحد أجرائك" {لو١٥: ١٧-١٩}.

مع كلمات التوبة المملوءة انسحاقا، ركض إليه أبوه وقابله بعطف عظيم أكثر مما طلب الابن، قاطعا حديثه لكيلا ينطق بما هو أقل {إذ لا يريد أن يجعله أجيرا}.

إذ قطع الضال المرحلتين الأوليتين بغير توان {أي مرحلة العبد والأجير، أو الإيمان والرجاء}، أعاده الأب إلى كرامة بنوته السابقة.



📖 نحن أيضا يجدر بنا أن نسرع هكذا بغير توان، بواسطة نعمة الحب الثابتة، لنصعد إلى المرحلة الثالثة التي للبنوة، حيث نؤمن أن كل ما للآب هو لنا. ويمكننا أن نقتدي بالابن في قبوله: "كل ما للآب فهو لي" {يو١٦:١٥}.

📖 هذا ما يعلنه الرسول الطوباوي قائلا: "فإن كل شيء لكم، أبولس، أم أبولس، أم صفا، أم العالم، أم الحياة، أم الموت، أم الأشياء الحاضرة، أم المستقبلة، كل شيء لكم" {١كو٣:٢١،٢٢}.

📖 وتحثنا وصايا مخلصنا بما يشبه ذلك إذ يقول: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" {مت٥:٤٨}.

📖 يجدر بنا أن نبذل كل طاقتنا لكي نرتقي في اشتياق كامل من الخوف إلى الرجاء، ومن الرجاء إلى محبة الله، ومحبة الفضائل نفسها. وهكذا إذ نعبر بثبات إلى محبة الصلاح ذاته، نثبت في الصلاح قدر ما تستطيع الطبيعة البشرية.

📖 ٨- يا لعظمة المحبة!

📖 يوجد فرق شاسع بين من يخمد نيران الخطية في داخله خوفا من جهنم، أو مترجياً الجزاء المقبل، وبين من يبغض الخطية ذاتها ودنسها بدافع الحب الإلهي.

📖 فبالحب يحافظ على فضيلة النقاوة ببساطة، غير منتظر أي جزاء مقبل، إنما يبتهج بمعرفة الصلاح الحاضر، صانعا الخير ليس عن خوف من العقاب، بل ابتهاجا بالفضيلة.

📖 مثل هذا لا يمكن أن ينتهز أي فرصة ليخطئ في غياب شهود بشريين، ولا ينزعج بإغراءات الفكر الخفية، إنما يحتفظ في أعماقه بمحبة الفضيلة ذاتها، ولا يسمح لأي شيء مضاد أن يدخل إلى قلبه، إنما يكره ذلك فعلا كراهية شديدة.

📖 هناك فارق بين من يكره وصمات الخطية وشهوات الجسد، ابتغاء

التمتع ببركات زمنية، أو يمتنع عنها رغبة في الجزاء السماوي، وأيضا بين من يصنع هذا خشية فقدان الأرضيات، أو خوفا من العقاب الأبدي.

🕮 أخيرا إنه لأمر عظيم، أن يرغب الإنسان في ألا يهمل الصلاح لأجل الصلاح ذاته، عن أن يمتنع عن الشر خوفا من الشر، لأنه في الحالة الأولى يكون الصلاح اختياريا، أما الثانية فيكون فيها اضطراريا.

🕮 لأن من يمتنع عن إغراءات الخطية بسبب الخوف، يعود إليها متى نزع عنه حائل الخوف، وبهذا لا يكتسب أي ثبات في الصلاح، ولا يستريح من الهجمات، لأنه لا يتحصن بفضيلة السلام الدائم.

🕮 سأماً من جهة قهر هجوم الخطايا، فيتمتع بحالة ثابتة من الأمن، ويبلغ إلى محبة الفضيلة نفسها، وبهذا يحتفظ بالصلاح بصفة مستمرة، إذ يعكف على المداومة عليها، ويؤمن بأنه لا يوجد شيء أسوأ من أن يفقد الطهارة "النقاوة" الداخلية، ويرى أنه لا يوجد أعز وأثمن من الطهارة الحاضرة، معتبرا فقدانها عقابا محزنا.

🕮 مثل هذا الإنسان يحمل في الداخل ضميره كقاض، يحكم على أعماله، بل وأفكاره، محاولا أن يرضيه على الدوام، إذ يعلم أنه لا يستطيع أن يغش ضميره، أو يخدعه، أو يهرب منه.

🕮 ٩- بالمحبة نصير على صورة الله ومثاله:

🕮 من يتكل على معونة الله، وليس على مجهوده الذاتي، يوهب له أن يبلغ هذه الحالة، فينتقل من حالة العبودية التي يسودها الخوف، ومن حالة الطمع "الأجراء" حيث لا يطلب كثيرا مجد الواهب كجزاء، عابرا، إلى حالة التبني، حيث لا يعود هناك خوف، ولا طمع، بل يكون الحب الذي لا يسقط أبدا.

🕮 هذا الخوف، أو الحب اللذين من أجلهما يوبخنا الله، كل واحد

حسب ما يتناسب معه، قائلا: "الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أبا فأين كرامتي؟ وإن كنت سيدا فأين هيبتي؟" {ملا١:٦}.
🕮 فالعبد يلزمه أن يخاف: "وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيضرب كثيرا" {لو١٢:٤٧}.

🕮 ومن يصير بالمحبة على صورة الله ومثاله، يبتهج في الصلاح من أجل الصلاح ذاته، ويكون له مثل هذا الشعور من جهة الصبر والوداعة. فلا يغضب بسبب أخطاء الخطاة، إنما في حنو وترفق يطلب لهم الصفح لأجل ضعفهم، متذكرا أنه هو نفسه إلى وقت طويل كان مجربا بأشواك شهوات مشابهة، حتى افتقدته مراحم الله.
🕮 وإذ أنقذ من الهجوم الجسداني بواسطة عناية الله، وليس بمجهوده الذاتي، لهذا لا يظهر بغضا على الذين ضلوا بلا رحمة، مترنما بكل سلام عقلي قائلا: "حللت يودي. فلك أذبح ذبيحة حمد" {مز١١٦:١٦،١٧}. "لولا أن الرب معيني لسكنت نفسي سريعا أرض السكوت" {مز٩٤:١٧}.
🕮 وإذ يكون عقله دائم الاتضاع، يستطيع أن ينفذ الوصية الإنجيلية بكمالها: "أحبوا أعدائكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" {مت٥:٤٤}.

🕮 بالتالي ننال الجزاء الذي يتحقق بهذه الوصية، إذ لا تكون فقط على صورة الله ومثاله، بل وندعى أبناء الله، إذ يقول الرب: "لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات. فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين" {مت٥:٤٥}.
🕮 بهذا الإحساس عرف يوحنا المبارك ما ناله إذ قال: "أن يكون لنا ثقة في يوم الدين، لأنه كما هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضا" {١يو٤:١٧}.
🕮 فيم يمكن للطبيعة البشرية أن تتشبه بالله، سوى أن تظهر محبة

هادئة في الداخل نحو الصالحين والطالحين، الأبرار والأشرار متمثلة بالله الذي يفعل الصلاح حبا في الصلاح ذاته، فتبلغ إلى التبني الحقيقي الذي لأولاد الله، الذي يتكلم عنه الرسول الطوباوي قائلا: "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله" {١يو٣:٩}.

📖 وأيضا: "نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسه" {١يو٥:١٨}؟!، ويجدر بنا ألا نفهم هذا عن كل أنواع الخطايا، إنما الخطايا التي للموت فقط {١يو٥:١٦}.

📖 فمن لم يتخلص من هذه الخطايا "التي للموت"، ولا تطهر منها، فإن الرسول المذكور يعلمنا في موضع آخر ألا نصلي لأجلهم قائلا: "إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت، يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت. ليس لأجل هذه أقول أن يطلب" {١يو٥:١٦}.

📖 أما عن الخطايا التي ليست للموت، فإنه لا يستطيع أحد أن يتجنبها، أو يخلو منها، حتى أولئك الذين يخدمون السيد المسيح بأمانة. "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" {١ي١:٨}. وأيضا: إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذبا وكلمته ليست فينا" {١يو١:١٠}. فيستحيل على أي قديس ألا يخطئ بكلمة، أو فكر، أو عن جهل، أو نسيان، أو عن ضرورة، أو عن إرادة، أو تعجب.

📖 وهذه تختلف كلية عن الخطية التي للموت، لكنها لا تعني أنها تخلو من الخطأ، أو الملامة.

📖 ١٠- الصلاة من أجل الأعداء هو كمال المحبة:

📖 عندما يكتسب أي إنسان محبة الصلاح التي تكلمنا عنها، والتي بها نتشبه بالله، حينئذ يوهب له قلب الله الحنون، فيصلي من أجل المسيئين إليه قائلا على نفس المثال: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا

يعلمون ماذا يفعلون" {لو٢٣: ٣٤}.

📖 هناك علامة واضحة تكشف النفس التي لم تتطهر بعد كلية من رواسب الخطية، وهي عدم حزنها من أجل أخطاء الآخرين في حنو، إنما تحكم عليهم كديان في لوم عنيف. لكن، كيف يقدر أن ينال كمال نقاوة القلب من لا ينفذ الوصايا التي يظهرها الرسول "احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح" {غلا٦: ٢}.

📖 ومن ليس لديه فضيلة المحبة التي هي: "لا تقبح ... ولا تظن السوء ... وتحتمل كل شيء ... وتصبر على كل شيء" {١كو١٣: ٤-٧}؟! لأن "الصديق يراعي نفس بهيمته، أما مراحم الأشرار فقاسية" {أم١٢: ١٠}.

📖 هكذا يسقط الإنسان {الراهب} في نفس الأخطاء التي يدين فيها غيره بقسوة بغير ترفق، لأن "الرسول الشرير يقع في الشر" {أم١٣: ١٧}،

📖 و "من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب" {أم٢١: ١٣}.

📖 **١١- سؤال:** كيف تقول إن المحبة كاملة، والخوف من الله والرجاء في الجزاء المقبل غير كاملة؟

📖 **جرمانيوس:** إنك تحدثت بوضوح عن محبة الله الكاملة، ولكن هذه الحقيقة لازالت تؤرقنا، وهي أنك إذ مدحتها قلت بأن الخوف من الله، والرجاء في الجزاء السماوي، أمران غير كاملين. مع أن النبي يقول: "خافوا الرب يا قديسيه، لأنه ليس عوز لخائفيه" {مز٣٤: ٩}.

📖 وأيضا يعلن لنا أن نصنع أعمال الله الصالحة من أجل رجاء المكافأة، إذ يقول: "عطفت قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر لأجل المجازاة" {مز١١٩: ١١٢}.

📖 ويقول الرسول: "بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون، مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله، على أن يكون له

تمتع وقتي بالخطية، حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة" {عب١١: ٢٤-٢٦}.

📖 إذن كيف يمكننا أن نفكر فيهما أنهما غير كاملين، بينما يفتخر داود بأنه يعمل أعمال الله الصالحة من أجل المجازاة، وقيل عن مستلم الشريعة أنه كان ينظر إلى المجازاة المقبلة، مستغنيا عن شرف التبني الملوكي، مفضلا الذل المريع عن كنوز المصريين؟!

📖 ١٢- شيريمون:

📖 يلخص لنا الكتاب المقدس رغباتنا الحرة في درجات مختلفة من الكمال، حسب حالة كل ذهن وقياسه، لأنه لا يتوج كل البشر بتاج موحد من الكمال، إذ ليس للكل نفس الفضيلة، ولا نفس الهدف، أو الغيرة، هكذا أشارت الكلمة الإلهية بطريق ما إلى درجات الكمال المختلفة، وقياساته المتنوعة.

📖 الدليل على هذا تنوع التطويبات {مت٥}.

📖 فقد طوَّب الذين سيرثون ملكوت السماوات، وطوَّب الوارثين الأرض {طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض}، كذلك الذين يُرحَمون والذين يُشبعون. ومع هذا فإننا نؤمن بأن هناك فارق شاسع بين وارثي ملكوت السماوات، ووارثي الأرض، وبين الذين يرحمون، والذين يشبعون من البر، وبين الذين يعينون الله {طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله}.

📖 و "مجد الشمس شيء، ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر، لأن نجما يمتاز عن نجم في المجد، هكذا أيضا قيامة الأموات" {١كو١٥: ٤١،٤٢}.

📖 طبقا لهذا المبدأ يمدح الكتاب المقدس من يخاف الله قائلا: "طوبى لكل من يتقي {يخاف} الرب ويسلك في طرقه" {مز١٢٨: ١}،

📖 واعدا إياهم بسعادة سماوية. ومع هذا يرجع فيقول: "لا خوف في

المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج، لأن الخوف له عذاب، وأما من خاف فلم يتكمل في المحبة" {١يو٤:١٨}.

🕮 مرة أخرى بالرغم من أن عبادة الله بخوف شيء عظيم، وقد قيل: "اعبدوا الرب بخوف" {مز٢:١١}، و"طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا" {مت٢٤:٤٦}.

🕮 إلا أنه قيل للرسل: "لا أعود أسميكم عبيدا، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء، لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" {يو١٥:١٥}. مرة أخرى يقول: "أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به" {يو١٥:١٤}.

🕮 ترون إذن أن هناك درجات مختلفة من الكمال، وأن الرب يدعونا من الأشياء السامية إلى الأسمى بطريقة تجعل ذاك الذي صار مطوبا وكاملا في مخافة الله يسير كما هو مكتوب: "من قوة إلى قوة" {مز٨٤:٧}، أي من كمال إلى آخر. بمعنى أن يصعد بغيرة الروح من الخوف إلى الرجاء، وأخيرا إلى المحبة التي هي آخر مرحلة.

🕮 فهذا الذي كان "العبد الأمين الحكيم" {مت٢٤:٤٥}، يبلغ إلى مرحلة الصداقة ثم التبني كابن.

🕮 من ثم يمكن فهم كلامنا بالمعنى التالي: إننا لا نقول أن الخوف من العقوبة المنتظرة، أو رجاء الجزاء المبارك الذي وعد به القديسين ليس بذي قيمة، لكن وإن كان هذا نافعا، إذ يدفع أولئك الذين يتبعونها للتقدم خطوة مباركة، إلا أنه في المحبة ثقة كاملة، وفرح دائم، تبعدهم عن خوف العبيد، ورجاء الأجير، إلى محبة الله، وتجعلهم أبناء، وتنقلهم من كمال إلى كمال أعظم.

🕮 يقول المخلص إن في بيت أبيه منازل كثيرة {يو١٤:٢}.

🕮 ومع أن الكواكب تظهر في السماء، لكن مجد الشمس شيء، ومجد القمر شيء آخر، وهكذا بقية الكواكب، لهذا لا يفضل الرسول

المبارك عن الخوف، والرجاء فحسب، بل وفوق كل العطايا التي تحسب عظيمة ومدهشة.

🕮 فبعد ما عدد مواهب الروح من الفضائل، أراد أن يصف عناصرها فبدأ يقول: "وأيضا أريكم طريقا أفضل. إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة، ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاسا يطن، أو صنجا يرن. وإن كانت لي نبوة، وأعلم جميع الأسرار، وكل علم وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة فلست شيئا. وإن أطعمت كل أموالي وإن سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئا" {١كو١٢:٣١، ١٣:١-٣}.

🕮 أترون إذن كيف أنه لا يوجد شيء أقيم، أو أكمل، أو أشرف منها!!

🕮 إن أمكنني أن أقول، إنه لا يوجد شيء أبقى من المحبة. لأنه "أما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل " ولكن " المحبة لا تسقط أبدا" {١كو١٣:٨}. بدونها لا تنجح معظم أنواع المواهب الثمينة، بل ويفقد الاستشهاد عظمته.

🕮 **١٣- الخوف الكامل:**

🕮 من يثبت في هذا الحب الكامل، بالتأكيد يتدرج إلى درجة أعلى وهي الخوف النابع من الحب، الذي هو ليس الخوف من العقوبة، أو فقدان المجازاة، إنما الخوف من الحب العظيم.

🕮 فأي ابن في محبته للآب اللطيف لا يهابه، أو الأخ لا يخاف أخاه، أو الصديق صديقه، أو الزوجة زوجها، ولكن ليس خوفا من الضرب، بل حرصا على مشاعر الحب لكيلا تجرح، فيحرص في كل كلمة، وكل تصرف، لئلا تفتر محبته تجاهه.

🕮 يصف أحد الأنبياء عظمة هذا لخوف بدقة قائلا: "حكمة ومعرفة هما عن الخلاص، مخافة الرب هي كنزه"، فلم يستطع أن يصف قيمة الخوف بوضوح أكثر من أن يقول إنه غنى خلاصنا، الذي يتكون من حكمة الله، ومعرفته الحقيقية اللتين لا يمكن حفظهما إلا

بواسطة مخافة الرب.

📖 تدعو الكلمة الإلهية على لسان النبي في المزامير، ليس فقط الخطاة، بل والقديسين أيضا قائلة لهم: "اتقوا {خافوا} الرب يا قديسيه، لأنه ليس عوز لمتقيه {خائفيه}" {مز٣٤:٩}.

📖 فمن يخاف الله بهذا الخوف، بالتأكيد لا يعتاز شيئا قط من الكمال.

📖 واضح أن ما تحدث عنه الرسول يوحنا هو الخوف من العقوبة إذ قال: "الذي يخاف لم يكمل بعد في المحبة، لأن الخوف له عذاب".

📖 يوجد فرق بين الخوف الذي لا ينقصه شيء، والذي هو كنز الحكمة والمعرفة {إش٣٣:٦}، والذي هو رأس الحكمة {مز١١١:١٠}، وبين الخوف من العقوبة.

📖 هذا الذي يستبعد عن قلوب الكاملين بملء المحبة. لأنه "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" {١يو٤:١٨}.

📖 **لذلك يوجد خوف مزدوج:**

📖 ١- أحدهما للمبتدئين، أي الذين لا زالوا تحت العبودية المرعبة، التي تقرأ عنها: "العبد يكرم سيده" {ملا١:٦}.

📖 وفي الإنجيل يقول "لا أعود أسميكم عبيدا، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده {يو١٥:١٥}. "والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد {يو٨:٣٥}. لذلك يعلمنا الله أن ننتقل من الخوف من القصاص، إلى ملء حرية المحبة، وثقة الأحباء أبناء الله.

📖 أخيرا فإن الرسول المبارك بقوة حب الله عبر مرحلة عبودية الخوف، لكي يحتقر الأشياء الأرضية، ويعلن أنه قد اغتنى بأمور الله الصالحة إذ يقول: "لأن الله لم يعطنا روح الفشل، بل روح القوة، والمحبة، والنصح" {٢تي١:٧}.

📖 هؤلاء أيضا الذين التهبوا بحب كامل نحو أبيهم السماوي، والذين بالتبني الإلهي صاروا أبناء لا عبيدا، يخاطبهم الرسول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به

نصرخ يا أبا الآب" {رو٨:١٥}.

📖 ٢- أما عن الخوف الآخر فيتكلم النبي عن الروح ذو السبع جوانب، الذي بحسب سر التجسد يحل بكمال على الإله المتجسد "ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" {إش١١:٢}.

📖 بل ويضيف على وجه الخصوص "ولذته تكون في مخافة الرب" {إش١١:٣}، نلاحظ أنه لم يكمل قائلا: "يحل عليك روح الخوف" بل "لذته تكون في مخافة الرب".

📖 لأن هذا هو عظمة غنى هذا الخوف، أنه إذ يستقر على أحد بقوته، لا يستحوذ على جزء من عقله، بل كل عقله، وليس ذلك بغير إدراك، لأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالحب الذي "لا يسقط أبدا".

📖 إنه ليس فقط يملأ الإنسان، بل ويبقى على الدوام ويستمر في الإنسان الذي بدأ فيه، فلا تؤثر فيه إغراءات الفرح العالمي، كما في حالة الخوف المنبوذ {الأول}.

📖 هذا هو الخوف الذي ينتمي للكمال، إذ الإله المتجسد الذي جاء ليس فقط ليخلص البشرية، وإنما لكي يرسم لنا أيضا صورة الكمال ومثال الصلاح، لأنه ابن الله الحقيقي "الذي لم يفعل خطية، ولا وجد في فمه مكر" {١بط٢:٢٢} لا يشعر بخوف العقوبة المرعب.

✝ ✝ ✝

ملخص المبادئ

📖 هناك ثلاثة أمور تساعد الإنسان للسلوك في طريق الرب:

📖 **{أ}** الخوف من العقاب الأبدي ... أي الإيمان بيوم الدينونة، ومجازاة الأبرار والأشرار.

📖 **{ب}** الرجاء في ملكوت الله، والاشتياق إليه.

📖 **{ج}** محبة الصلاح نفسه، أو حب الفضيلة من أجل الله، ليس

خوفا من عقاب، ولا ابتغاء مكافأة.

📖 ليصعد الإنسان مبتدأ بالخوف، خوف العبد الذي يخشى سيده، ثم ينطلق إلى الرجاء، رجاء الأجير الذي ينتظر مكافأة صاحب العمل في آخر يومه، ليبلغ إلى قمم الحب كابن، لا يطلب من أبيه شيئا سوى أن يكون في حضنه.

📖 الحب هو غاية إيماننا، بدونه تفقد العبادة كيانها، بل تصير حجر عثرة وحجابا يفصلنا عن الله، الحب المطلق.

📖 المحبة الكاملة تطرد الخوف خارجا ... لتحمل في طياتها روح مخافة الرب الكاملة ... خوف من صنف آخر، هو خوف الابن الذي يحب أباه، ويخشى لئلا تجرح مشاعر الحب التي تربطه بالأب.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ الايمان والرجاء والمحبة ـ للاب سيريمون ـ صفحة ٢٣٣ ـ ٢٤١

{١٧}

مار إفرام السرياني

المقالة السابعة والثلاثون

في مدح ذوي أنواع الفضيلة ـ وذم ذوي أنواع الرذيلة

📖 أولاً: أطوب حياتكم أيها المحبون للمسيح، لأنَها حسنة الدالة، والويل لسيرتي لأنَها عاطلة غير نافعة.

📖 أغبطكم يا خدام المسيح المخلصين، لأنكم بسيرتكم المستقيمة جعلتم ذاتكم أحباء لله، والملائكة، من ينوح على لأنني أغظته بأعمالي الباطلة. ومغبوطون أنتم الذين قد ورثتم الفردوس بسيرتكم النقية، وبمحبتكم التي لا يقدر تقديرها.

📖 أنني متعجب منكم، كيف ما عجزتم عن مسير مسافة هذا الطريق الذي يوافق أنفسكم، وما أعجب من هذا إنكم جئتم إلى واحد حقير، ومسجون بالخطايا، طالبين منه كلام منفعة.



📖 يا للعجب كيف جئتم أنتم الشباعى إلى الذائب بالجوع.
📖 كيف أقبلتم أنتم الحاوين الندى الروحاني إلى الناضب.
📖 كيف أنتم المالكين حلاوة الفضائل، جئتم إلى المتمرر بالخطايا.
📖 كيف جاء الأغنياء إلى الفقير.
📖 كيف أقبل الحكماء إلى الأمي.
📖 كيف جاء الأطهار إلى الدنس.
📖 كيف جاء الأصحاء إلى المريض بضميره.
📖 كيف ورد المرضيون للـه إلى من يسخطه.
📖 كيف جاء الأحرار إلى الأسير، كيف أقبل المهتمون بـالخلاص إلـى المتكاسل. لأنكم أنتم المملوؤن بالفضائل، وأنا الممسك بجهلي.
📖 أنتم الـذين حـويتم الحميـة فأرضـيتم اللــه، وأنـا بخطيئتـي وإهمـالي أدان. أنتم بالأعمال الحسنة، وبالطهارة الشريفة، صرتم طيباً للمسيح.
📖 وأنا برخاوتي وونيتي، حصلت بكليتي نتانة مستكرهة.

📖 إن هذا بالحقيقة عجب! إنكم محتون في ذاتكم جسـامة هـذه المنفعـة، وقد أقبلـتم إلـى أنـا الـذي مـا نفعـت نفسـي، فبواجـب فعلـتم ذلـك أيهـا الوامقـون للمسـيح، مريـدين إن تعضـدوا رخـاوتي، وتجعلـوا نفسـي الوانية مهتمة حريصة، وتؤيدون صـغر نفسـي. لأنكـم أنـتم كـاملون، ولا تنقصون شيئاً.
📖 فإذ قد التمستم بتواضـع أن تقتبسـوا منـي أنـا النـاقص كـلام منفعـة، وأمرتموني بِهذا مريدين إن أوبخ سيرتي وأكشفها، وأتكلـم مـن أجـل ثمر المنفعة، وأنني فارغ.

📖 لأنني إن بدأت إن أشير عليكم فإنما أدين نفسي.
📖 وإن ابتدأت إن أوبخ آخرين فإنما أثلب ذاتي.
📖 لأنه واجب إن يقال لي ما قال المخلص: "أيها الطبيب اشفِ ذاتك".
📖 لكنه قال: "كل ما يقولون لكم إن تعملوا فافعلوا، ونظيـر أعمـالهم لا

تعملوا". فلذلك إن كنت دنساً لكنني عالم إن أبدي رأياً مستقيماً.

فمن هنا إذا رمقت هذه السيرة الملائكية، أغبط كل من أكثر منها، لأنه من ذا لا يغبط السائرين سيرة مستقيمة ومرضية، والمتصرف بالطهارة، من أجل الخيرات المعدة التي لا تسبر، ولا تحصى.

ومن لا ينوح على السائرين سيرة وانية، الذي من أجل أمر حقير يحصل خارج الملك الذي في السماوات. ومن أجل لذة وقتية يخرج من ذلك الخدر.

ثانياً: في التقوى:

مغبوط المتقي الرب، مغبوط ذلك الإنسان الحاوي في نفسه مخافة الله، فإنه يطوب من الروح القدس جهاراً، لأنه زعم مغبوط الإنسان المتقي الرب. بالحقيقة إن المتقي الرب يكون خارج كل حيلة العدو، وكافة اغتياله.

الحاوي مخافة الله يغلب بسهولة كافة مكائد العدو الرديئة صناعته، لأنه لا يستأسر بشيء، ومن أجل التقوى لا يقتبل لذة الجسد. المتقي لا يتنزه هنا وهناك، لأنه ينتظر سيده لئلا يجئ بغتة يجده وانياً فيقسمه شطرين.

الحاوي تقوى الله لا يهمل اهتمامه، لأنه يتيقظ دائماً.

المتقي الرب لا يعطي لذاته نوماً بلا مقدار، لأنه يسهر منتظراً ورود ربه. الخائف من الله لا يبطل {اعماله} لئلا يغيظ سيده.

الخائف لا يضجع لأنه كل وقت يهتم بقنيته الروحية لئلا يذم، الخائف يختبر كل حين الأفعال المرضية لله ويستعد بِها حتى إذا جاء ربه يمدحه بأنواع كثيرة لأن تقوى الله تصير سبباً لخيرات جزيلة للذين يقتنونَها.



ثالثاً: في عدم التقوى:

📖 فأما من ليست فيه مخافة الله، فهذا يكون سريع الانصياد بمكائد العدو المحال. من ليست فيه مخافة الله يتنزه في أفعاله ـ ينام بلا هم ـ يضجع في أعماله ـ يصير محزناً للذات ـ كل شيء مطرب يقبله ويستلذه، لأنه لا ينتظر ورود الرب فيتباهى باللذات.

📖 يسر بالراحات، يهرب من الشقاء، يرفض التواضع، يصافح الكبرياء، سيجيء ربه فيما بعد ويجده فيما لا يرضيه، فيشطره شطرين ويرسله إلى الظلمة المؤبدة. فمن لا يعطي الويل لمن هو هكذا.

📖 **رابعاً: في المحبة:**

📖 مغبوط ذلك الإنسان الحاوي المحبة لله، فإنه حاوي الله في ذاتهِ، لأن الله محبه ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، ومن له محبه يغلب كل شيء بالله، لأن المحبة تطرح المخافة خارجاً.

📖 من حوى المحبة لا يرفض أحداً قط، لا صغيراً ولا كبيراً، لا شريفاً ولا وضيعاً، لا فقيراً ولا موسراً، بل يصير موطئاً تحت الكل، يحتمل كافة العوارض، يصبر على سائر النوائب.

📖 من له محبة لا يترفع على أحد، لا يتشامخ ولا يغتاب أحداً، بل ويعرض عن الثلابين. من له محبة لا يسلك بغش، ولا يعرقل أخاه.

📖 من حوى المحبة لا يغار حسداً، ولا يحسد، ولا ينافس، ولا يفرح بسقطة آخرين، ولا يشجب الخاطئ، بل يحزن له ويعضده، لا يعرض عن أخيه في شدته، بل يساعده ويموت معه. من فيه المحبة يعمل مشيئة الله، وهو تلميذ له محق، لأن سيدنا الصالح نفسه قال: "بِهذا يعلم الكل أنكم تلاميذي إن أحببتم بعضكم بعضاً".

📖 من فيه محبة لا يصنع لنفسه شيئاً، ولا يقول إن له شيء يملكه خصوصاً، لو كان سائر ما له مشاع للكل. من له محبة لا يحتسب أحداً غريباً، بل يصنع الكل أهله وانسباءه.

🕮 من له محبة لا يغتاظ، ولا يتشامخ، ولا يتحرق غيظاً، ولا يسر بالظلم، ولا يلبث في الكذب، لا يحتسب له عدواً إلا المحال وحده.

🕮 من له محبة يصبر على سائر المحن، يتعطف، يتمهل.

🕮 مغبوط إذاً المقتني المحبة، فإن المسافر بِها إلى اللـه يعرف وليه، ويقبله في حضنه، ويغتذي نظير الملائكة، ويتملك مع المسيح.

🕮 بالمحبة ورد الإله الكلمة إلى الأرض، وفتح لنا بِها الفردوس، وأورى الكل للارتقاء إلى السماء. كنا أعداء اللـه فصالحنا بِها. فبواجب قلنا إن المحبة هي اللـه ومن يثبت في المحبة يثبت في اللـه.

🕮 خامساً: فيمن ليس له محبة:

🕮 شقي ورديء الحظ المبتعد من المحبة، فإنه يعبر أيامه كتخيل المنام.

🕮 من لا ينوح على ذلك الإنسان المبتعد من اللـه، الفاقد النور، والمتصرف في الظلمة.

🕮 لأني أقول لكم يا أخوتي، إن من ليست له محبة اللـه فهو عدو للـه، لأنه صادق القائل: "من يبغض أخاه فهو قاتل الإنسان، وفي الظلمة يسلك، ويصاد بكل خطيئة".

🕮 من ليست لـه محبة يغضب بحدة، يغتاظ بسرعة، ويتوقد من الغضب سريعاً. من ليست فيه محبة يسر بظلم آخرين، لا يتألم مع الخاطئ، ولا يناول الطريح يده، ولا يعظ من غلط، ولا يعضد المتزعزع. من ليست له محبة فهو أعمى الذهن، صديق المحال، ومخترع كل شر، مستنبط الخصومات، معاشر الثلابين، مشاور الشتامين، مؤازر الحاسدين، فاعل الكبرياء، إناء العظمة، وجملة تغني عن التفصيل "من لا يقتني المحبة، فهو آلة المحال المضاد، ويضل في كل طريق، ولا يعلم أنه في الظلمة يسلك".

🕮 سادساً: في طول الأناة:

📖 مغبوط بالحقيقة ذلك الإنسان المقتني طول الروح، فإن مثل هذا يمدحه الكتاب الإلهي قائلاً: "الإنسان الطويل الأناة جزيل الحظ في العقل، هو في السرور كل حين، في الفرح، في الابتهاج، لأنه قد أتكل على الرب وأرتجاه".

📖 الطويل الأناة هو خارج الغضب لأنه يصبر على سائر النوائب.

📖 الطويل الأناة لا يميل إلى السخط سريعاً، ولا ينقلب إلى الشتيمة، ولا يتحرك بسرعة إلى الأقوال الفارغة.

📖 إذا ظُلم لا يحزن، لا يقاوم الذين يقاومونه، متيقظاً في كل أمر، وليس سريع الوقوع بالخداع، ولا جانحاً بسهولة إلى الخصومة، يفرح بالأحزان، يستوطن في كل عمل صالح، يود من يحسده، إذا أُمر لا يجاوب، ولا يقطب، يشفي نفسه بطول أناتهِ.

📖 سابعاً: فيمن ليس له طول أناة:

📖 فأما من ليس له طول روح، فمثل هذا هو فارغ، مصفر من الصبر. لأن من ليس له طول الأناة ينعكس بسهولة، وهو معد للخصومة، إذا شُتِمَ شَتَمَ، إذا ظُلِمِ ينتقم، نجيب في الخصومة، أفعاله وأقواله مضطربة، كالورقة يهتز مع الرياح، لا يثبت في كلامه، يطفر بحدة من هذا إلى هذا، من ليس له طول أناة.

📖 فذاك خالِ من الثبات لأنه بسرعة يتغير، لا يقتني دموعاً، يعاشر الخبيث، يكمن من اللائم، يؤازر الظالم، لا يحتمل شراً، مستعد لإشهار الكلام، فمن يكون أشقى منه.

📖 ثامناً: في الصبر:

📖 مغبوط يا أخوتي من أقتنى الصبر، لأن الصبر فيه الرجاء، والرجاء لا يخزي. فمغبوط بالحقيقة ومثلث السعادة من له صبر، لأن من يصبر إلى النهاية يخلص، فماذا يكون أجل من هذا الوعد.

📖 إن الرب منعم على الصابرين، فإلى متى يا أخوتي تميزون فضله

أتراكم تعرفونه، أم نحتاج إلى توسيع الكلام عنه {الصبر} لصيانتكم.
🕮 إن الصبر ليس هو نوعاً واحداً، بل فيه فضائل كثيرة.
🕮 لأن الصبور يلامس كل فضيلة، ويسر بالأحزان، ويحسن في الشدائد، يستبشر بالمحن، معد للطاعة، بَهي في طول الأناة، كامل في المحبة، يبارك في الشتائم، يسالم في الخصومات، شجاع في السكوت، لا يعجز في الترتيل.

🕮 مستعد في الأصوام، صور في الصلوات، غير معاب في الأعمال، مستقيم في الجواب، حسن الإقناع في التوسل، مهتم بالسيرة الحميدة، مسرور بالخدم، فرح بسيرته، صالح في مجمع الأخوة، مستلذ في المشورات، متهلل القلب في الأسهار.
🕮 حريص في الاهتمام بالغرباء، معتنى بالمرضى، يحاضر أولاً مع المتغلبين بالأشغال، متيقظ في إن يتفهم، ومستنهض في كل أمر.
🕮 المقتني الصبر قد أقتنى الرجاء، تزين بكل عمل صالح، ولذلك يهتف مثل هذا بحسن دالة إلى الرب قائلاً: "صبرت إلى الرب صبراً فأصغى إلى".

🕮 **تاسعاً: فيمن لا صبر له:**
🕮 شقي ومنكود الحظ من لم يقتني الصبر، لأن مثل هذا يتوعده بالويل الكتاب الإلهي قائلاً: "الويل للذين قد أضاعوا الصبر".
🕮 حقاً بالحقيقة الويل لمن لا صبر له: من لا صبر له يتحرك كورقة تحركها الرياح، لا يحتمل شيئاً، صغير النفس في الأحزان.
🕮 مثل هذا هو سريع الوقوع في الخصومات، متذمر في الصبر، مجاوب في الطاعة، مضجع في الصلوات، منحل القوة في الأسهار، مقطب في الأصوام، متواني في الحمية، عاجز في الرسائل. رديء الفعل في الأعمال، لا يُغلب في الخبث، شجاع في حرب الكلام، ضعيف القوة في السكوت، يقاوم النجباء، ويناضل الناجحين حاسداً.

📖 من لا صبر له يتكبد خسارات كثيرة، لا يمكن مثل هذا إن يمس فضيلة، لأننا في الصبر نحاضر في الجهاد المنصوب كما زعم الرسول. فمن لا يصبر: هو غريب من رجاء الصبر، فلذلك أتضرع إلى جماعة الذين لا صبر لهم مثلي إن يقتنوا الصبر ليخلصوا.

📖 عاشراً: في عدم السخط:

📖 الطوبى لذلك الإنسان الذي لا يغتاظ، ولا يقبل غضباً.

📖 هو في السلامة كل حين. من طرد عنه الروح الغضبى، والسخطي، صار خارج الحرب والاضطراب، هادئاً بالروح كل حين، مسروراً بالوجه.

📖 من لا يغضب سريعاً فلا يتحرك من قول فارغ، هو فاعل العدل، والصدق يمسك المخاصمين بسهولة، ويحتمل المؤلمين بلسانِهم بلا مشقة. لا يفرح بالخصومة، ولا يعمل ظلماً، لأنه يظهر محباً إلى الكل، غير سخوط. لا يسر بحرب الكلام، لا يصنع جوراً.

📖 لا تدهمه الأمراض، لأنه صحيح المزاج.

📖 دائماً يسر بالمسالمة، ويستوطن في طول الأناة.

📖 من لا يقبل سريعاً روح الاحتداد المرة، لا يغيظ الروح القدس، ويقتدر إن يكون وديعاً، ويمكنه إن يكون له محبة، وصبر وتواضع.

📖 العادم السخط قد تزين بكل عمل صالح. ويحبه المسيح.

📖 فمثلث السعادة بالحقيقة من طرد عنه روح السخط والغضب، فإن جسمه ونفسه وعقله كل حين صحيحة.

📖 الحادي عشر: في احتداد المرة:

📖 فأما المضبوط باحتداد المرة والساخط سريعاً من لا شيء، فيسمع الرسول بولس القديس يقول: إن غضب الإنسان لا يعمل عدل الله.

📖 فبالحقيقة إنه شقي ومنكود الحظ المنغلب لهذه الآلام، لأن الساخط يقتل نفسه، وبالحقيقة هو هكذا أنه يقتل ويهلك نفسه، لأنه يتصرف

دائماً في الاضطرابات.
📖 مقفر من الهدوء، غريب من السلامة، عادم الصحة، جسمه يذوب كل حين، ونفسه مغمومة، وبشرته ضئيلة، ولونه لا نضارة له، وذهنه يتغير، وعقله يضعف بالمرض، وأفكاره تتبع كنهر فائض.
📖 وهو ممقوت من الكل، خالٍ من طول الأناة والمحبة. يقلق سريعاً من الأقوال الفارغة. ومن أجل أمر حقير ينهض الخصومة، وحيث لا يكون له حاجة يزج نفسه، ويجمع لذاتهِ البغض.
📖 يفرح بكثرة الأحاديث، ويطفر من الأمور التي لا توافقه، يستلذ بأنواع الثلب، يضعف في الوداعة، شجاع في الأمور الخبيثة، فمن لا ينوح عليه، لأنه مرذول عند الله والناس، لأن الحاد المرة يحصل في كل أمر رديئاً، فلذلك يجب عليه إن يتوقى في احتداد المرة.

📖 **الثاني عشر: في الوداعة:**
📖 مغبوط بالحقيقة ومثلث الغبطة الإنسان الحاوي الوداعة، لأن الرب المخلص القدوس يضمن له قائلاً: "مغبوطون الودعاء فإن لهم ملكوت السماوات، ويرثون الأرض".
📖 فماذا يكون أعظم من هذا التطويب؟
📖 ماذا يكون أعلى من هذا الوعد؟
📖 ماذا يكون أبْهى من هذا السرور أن يرث إنسان أرض الفردوس؟

📖 فلذلك يا أخوتي إذ قد سمعتم فضل سمو هذا الوعد، وجسامة وقدر ثروته، فبادرا إن تغايروه، وسارعوا إلى بَهاء الفضيلة، إذ قد سمعتم شرفها، فتخشعوا. واحرصوا بكافة قوتكم ألا يحصل أحد غير وارث هذه الأرض، فيبكي بكاءً مراً متندماً تندماً لا ينفع.
📖 إذ قد سمعتم تطويب الوداعة فبادروا إليها، أسمعتم ما قال عنها إشعياء النبي الصادق بالروح القدس: "إلى من أنظر قال الرب إلا إلى الوديع الهادئ المرتعد من أقوالي".

🕮 أترى لا يجب إن نتعجب من هذا الوعد، لأنه ماذا يكون أشرف من هذه الكرامة؟ فاحذروا يا أخوتي إن يسقط أحدكم من هذا التطويب، ومن الفرح والابتهاج الذي لا يحصى.

🕮 أتضرع إليكم إن تبادروا متسارعين لتقتنوا الوداعة، فإن الوديع تزين بكل عمل صالح. الوديع إن سُبَ فرح، إن حزن شكر.

🕮 يُسَكن غيظ الساخطين بالمحبة. يلبث متأدباً هادئاً في الخصومة.

🕮 يبتهج في الأسهار، لا ينقطع في الكبرياء، يفرح بالتواضع، لا يستعلي ذهنه بتقويماته، لا يتحير، يستعمل السكوت لدى الكل، يتعبد في كل طاعة، مستعد لكل عمل نجيب.

🕮 في كل شيء ممدوح من الجماعة، خالٍ من الرياء، ومبتعد من الخبث، لا يتعبد للغش، ولا يخضع للحسد، يمقت اللائمين، ويعرض عن المغتابين، إن شرف الوداعة المغبوطة تشرف الكل.

🕮 الثالث عشر: في الخبث:

🕮 يجب يا أخوتي إن ننتحب وننوح على من لا وداعة فيهم، المقترنين بالخبث، إن القضية الصارمة مستعدة لهم لأن الخبثاء يستأصلون.

🕮 وقد وبخ إلهنا القدوس هؤلاء قائلاً: "الإنسان الخبيث من كنزه الخبيث يبدي الخبث". والنبي أيضاً يقول: "تسمع أذني بمصاب الأشرار المنتصبين على"، لأن شيطان الخبث صعب يا أخوتي.

🕮 فلذلك احذروا إن يسقط أحدكم في هذا الألم فيذم نفسه.

🕮 لأن الخبيث لا يسالم أحداً قط، بل كل وقت في الاضطراب، في كل ساعة يستوعب غضباً، وغشاً، وسخطاً.

🕮 كل وقت يبصر جيرانه من تحت، كل حين يتذمر، يحسد، يغاير، يتقسى، ينتهر دائماً، ويجاوب، يأمر ويرجع، يشاور ويعمل السوء، يعاهد وينكث، يحب ويتوقع، يرفض النجباء، يلوم الناجحين، يعاكس الأخوة، يشارر بثلب الودعاء.

📖 يضحك على المتهاملين، يتظاهر للغرباء، ينم بالواحد عند الآخر، يضاد كل واحد من الأخوة، يحرض الخصومة، ينهض الغيظ، يعاون في المجازاة بالشر.

📖 معد للثلب، يستلذ الاغتياب، ينقاد إلى السب، شجاع في اكثار الكلام، نشيط في إن يجرح بكلامه، ساعٍ أول في الشغب، ضعيف في الترتيل، منحل في الصوم، لا قوة له في كل عمل صالح، ولا فهم له في الأفعال الروحانية. فمثل هذا يستحق نوحاً كثيراً، فلذلك أتضرع إليكم يا أخوتي إن تتحفظوا من الخبث.

📖 **الرابع عشر: في الصدق:**

📖 الطوبى لمن تتصف سيرته بالصدق ولم يقتنص بشئ من الكذب، مغبوط ومثلث الغبطة من صار فاعلاً للصدق، فإن الله صادق وليس فيه كذب، من ذا لا يطوب الحافظ الصدق لأنه قد شابه الله، لأن الصادق هو دائماً يرضي الله حسناً وينفع كافة الناس، جميل في الأخوة، مستقيم في كل أمر.

📖 الصادق لا يحابي في الوجوه ولا يسر بها، ولا يحكم حكماً جائراً، لا يقصد مرتبة أو كرامة، ولا يغفل عن حقير ومحتاج، في الرسائل هو بلا غش، ومستقيم في العلم، مهتم في العمل، لا يعرف غشاً ولا يحب الرياء، مزين بكل عمل صالح، مستنير بكل فضيلة، مغبوط إذاً من يخدم الصدق دائماً.

📖 **الخامس عشر: في الكذب:**

📖 شقي وردئ الحظ من يدوم في كل نوع من الكذب، لأن من القديم المحال كاذب. ومن يداوم على الكذب فليست له دالة {عند الله والناس}، لأنه محتقر عند الله والناس.

📖 من لا ينوح على المتصرف في الكذب:

📖 فإنه منفي من كل عمل وعلم، يُنهض في الدير السخط والخصام.

📖 وهو في اشتراك الأخوة، كالصداء في الحديد، لأن له قلباً جسوراً.
📖 يسمع الأسرار بلذة، ويشهرها بسهولة.
📖 وبلسانه يعاكس الواقفين حسناً. يبدي بالأمر ويتبرأ منه.
📖 لا يتكلم قولاً بلا قسم، ويظن أنه بإكثار كلامه يُصدق.
📖 فالكذوب كثير الحيل، وكثير الأحوال.
📖 لا يوجد أعظم من هذا الجرح ضرراً، ولا يكون عار أشهر منه، لأنه مرفوض من الكل، وضحكة عند الجماعة، فلذلك أحذروا يا أخوتي مداومة الكذب.

📖 السادس عشر: في الطاعة:

📖 مغبوط من أقتنى وملك الطاعة المحقة، الفاقدة من الرياء، فإنه يشابه معلمنا الصالح الذي صار مطواعاً إلى الموت.
📖 فبالحقيقة مغبوط من فيه الطاعة، فإنه يتحد بالكل بالمحبة، ويضاهي الرب، ويصبر نظيره في الموت.
📖 من فيه الطاعة فقد أقتني قنية جليلة، وملك ثروة جسيمة.
📖 المطواع يرضي الكل، وممدوح من الكل، يشرف من الكافة.
📖 المطواع يستعلي سريعاً، ويحصل في صنوف النجاح وشيكاً.
📖 المطيع يُنتهر فلا يجاوب، يُؤمر فلا يرجع، يُزجر فلا يسخط، معد لكل عمل صالح، لا ينحدر إلى احتداد الغضب بسهولة.
📖 إن سمع كلاماً خارجاً لا ينزعج له، وفي الشتائم لا يضطرم غضبة. يسر بالأحزان، يشكر في الغموم.

📖 لا ينتقل من موضع إلى موضع، ولا يستبدل ديراً بدير.
📖 إذا وعظ لا يحرد، يثبت في الموضع الذي دعي إليه.
📖 لا يمسك بالضجر، لا يحتقر الأب، ولا يستصغر الأخ.
📖 لا ينحني للتطواف حول صقع الدير، ولا يسر بالنياحات، ولا يلتذ بالأماكن، ولا يطرب بالأهوية، بل كما يأمر الرسول القديس

الموضع الذي دعي إليه يثبت فيه، فثمار الطاعة كثيرة، بالحقيقة فمغبوط من اقتناها.

🕮 **السابع عشر: في التذمر وعدم الخضوع:**

🕮 شقي من لم يقتني الطاعة، بل يقتني التذمر، لأن التذمر في الدير ضربة عظيمة، ويشك في المعاش المشترك، ويسبب انعكاس المحبة، واجتناب الألفة، وتكدير السلامة.

🕮 المتذمر إذا أُمر يجاوب، وفي الأعمال غير نافع، خالٍ من النعمة، وعاجز، لأن الكسل مقترن بالتذمر. فكل كسلان قد قال الكتاب الجليل عنه، أنه يسقط في الأسواء: "الكسلان زعم إذا أرسل في حاجة يقول السبع في الطريق والقتلة في الشوارع".

🕮 المتذمر يخترع الحجج دائماً، إن تقدم ليعمل عملاً يتذمر، وفي الحال يسترجع آخرين قائلاً: "إلى أين هذا؟ ولم هذا وذاك؟ وليست الحاجة موافقة هنا". إن أُرسل في طريق يزعم أنه يحصل له فيها مضرة. إن أقاموه إلى الترتيل يغضب.

🕮 إن أنْهضوه إلى السهر يحتج إن معدته ورأسه يوجعانه.

🕮 وإن وعظته يقول عظ نفسك، والله يعمل فيَّ ما يريد.

🕮 إن علمته شيئاً يقول: يا ليتك عرفت كما عرفت أنا.

🕮 لا يعمل عملاً إن لم يجتذب معه آخر.

🕮 كافة عمل التذمر ضار وغير نافع، وكل فضيلة له غير منتظمة.

🕮 المتذمر يسر بالراحة، ولا يطرب بالشقاء.

🕮 المتذمر يتلذذ بالموائد، ويرفض الصوم.

🕮 المتذمر والكسلان يعرفان المشارة، ويستنبطان أقوالاً.

🕮 المتذمر كثير الحيل، وجزيل البدع، وفي الأقوال الكثيرة لا يغلب، يثلب واحداً عند الآخر.

📖 المتذمر مقطب في بذل الإحسان، وفي استقبال الغرباء غير مستعد، مرائي في المحبة، شجاع في البغض.

📖 فلذلك يا أحبائي لا نتذمر في الخضوع، ولا نشاجر، ولا نزكي قولنا ونبرهنه كأننا علماء.

📖 الثامن عشر: فيمن ليست فيه غيرة، ولا حسد:

📖 مغبوط من لم يخضع للحسد والغيرة، لأن الغيرة والحسد أحدهما متعلق بالأخر، ومن فيه أحدهما فهما كلاهما فيه. فمغبوط بالحقيقة من لم يسقط فيهما، ولم يخرج من أحدهما، لأن من يغير من أخاه في الظلم يدان مع المحال.

📖 من يحسد فهو مغلوب، وفيه البغض والعداوة، يحزن بنجاح آخرين. أما من لا غيرة فيه، ولا حسد، فلا يغتم بنجاح آخرين، إذا أكرم آخر لا يضطرب، وإذا رفع شأن آخر لا يكتئب، لأنه يحتسب الجماعة مقدمين عليه.

📖 يقدم إكرام الكافة على ذاته، يحتسب ذاته غير مستحق وأخر الكل، يشعر إن الجماعة أعظم منه، وأفضل منه.

📖 من لا حسد فيه لا يطلب إكراماً، يفرح مع المسرورين.

📖 لا ينسب لنفسه فخراً ألبته، يعاون الناجحين، يبتهج بالسالكين حسناً، ويمدح السائرين سيرة مستقيمة، إن أبصر أخاً يقوم فضيلة لا يعيقه بل يقويه بعظاته. إن رأى آخر في نياح لا يثلبه بل يمدحه.

📖 إن عاين آخر في غلطات لا يشجبه، بل يردعه باستقامة.

📖 إن أبصر أخاً مغتاظاً لا يحنق عليه، بل يحبه ويهدئ روعه، ويماشيه في السلامة.

📖 إن أبصر مغموماً لا يغفل عنه، بل يتوجع معه، ويسليه بأقوال المنفعة. إن رأى إنساناً أمياً لم يتعلم يحرص إن يعلمه ويرشده إلى ما يوافقه. إن أبصر غبياً يرشده بلا حسد إلى الأمر الفاضل.

📖 إن أبصر نائماً يبقظه بحرص. ثم أني أقول قولاً وجيزاً، إن من لا حسد فيه، والمقفر من الغيرة، لا يكأد، ولا يأمر أحداً، بل يفرح بكافة نجاح رفيقه وشهامته.

📖 **التاسع عشر: فيمن فيه الحسد والغيرة:**

📖 أما المنجرح من الحسد والغيرة، فذاك شقي، لأنه شريك المحال الذي دخل به الموت إلى العالم.

📖 لأن من فيه الحسد والغيرة، هو معاند الكل، لا يؤثر إن يفضل عليه أحد، يستصغر النجباء، ويضع معاثر للسالكين حسناً.

📖 يذم السائرين سيرة مستقيمة، ويرفض الحسن المنطق.

📖 يدعو الصائم معجباً، والحريص في الترتيل يسميه محب إشهار ذاته، والمبادر في الخدمة يدعوه شرهاً، والناهض في الأعمال محب التباهي، والمحب التعب في الكتب غير عامل، والنجيب في الترتيل ماكراً.

📖 الحسود لا يفرح بنجاح رفيقه، إن رآه متوانياً لا ينهضه، بل يحضه على الشر أكثر، إن أبصر نائماً في أوان الصلاة لا يبقظه، بل يزيده سكوتاً، إن أبصر أخاً مرتاحاً يثلبه، إن أبصره في هفوات يشجيه لدى الكل، ترحاً للحسود لأن قلبه كل حين مريضاً بالغموم، ولون وجهه يبيد، وقوته تفنى وهو باغض الكل، وعدو الكافة.

📖 يرائي الكل، ويخترع الغش، يحابي بالوجوه، اليوم يعاهد هذا، وغداً آخر، ويتغير نحو الكل، وينتقل بحسب مسير كل أحد، وبعد قليل يذم الجميع، ويستجر هذا إلى هذا، ويقيد كل واحد بالآخر.

📖 الحسد والغيرة هما سم ردئ، لأن الوقيعة والبغض والقتل تتولد منهما، اهربوا من الحسد بعيداً يا جنود السيرة السمائية، انبذوا منكم الحسد والغيرة، لئلا تدانوا مع المحال.

🕮 **العشرون: فيمن لم يقرف:**

🕮 مغبوط ومثلث الغبطة من لم يعود لسانه على إن يقرف أحداً، ولم يدنس قلبه بلسانه، بل يتفهم أننا كلنا تحت الخطأ.

🕮 ومغبوط من لم يستلذ بتقريف أحداً، بل يستكره هذا الألم، لأن من لم يقرف رفيقه فقد حفظ ذاته بلا عيب.

🕮 من لم يكن عثرة لآخرين، لا يتدنس ضميره.

🕮 من يهرب من روح التقريف، فقد حفظ نفسه من الأسواء، وغلب مواكب الشياطين.

🕮 من لم يقتنِ لساناً مقرفاً، فقد أقتنى كنزاً لا يسلب.

🕮 من لم ينحنِ إلى تقريف أحداً، فقد هرب من قتل الأخ، ولا يُقرَف من أحد. من يقتنص بروح التقريف، فقد عرف ذاته أنه إنسان جسداني، وحفظ ذاته غير مدنس.

🕮 من لم يكمن مع المقرفين، يستوطن مع الملائكة.

🕮 من لم يدنس مسامعه ولسانه بالقرف، فهو مستوعب من ترياق المحبة، وملآن فمه بأثمار الروح القدس.

🕮 فمغبوط بالحقيقة وسعيد، من حفظ ذاته من القرفة.

🕮 **الحادي والعشرون: في الثالبين:**

🕮 من أعتاد وأستلذ إن يقرف آخرين، فهو معلوم أنه صيد بالمثالب التي يقرف بِها، لأن من يقرف رفيقه إنما يدين نفسه، وهو جسداني متعلق بشباك العالم الثالب له.

🕮 خلتان وهما الوقيعة والبغض، فهذا يدان كقاتل الناس، وفاقد التحنن، وعادم الرحمة. وأما من له مخافة الله فقلبه نقي، لا يسر إن يقرف أحداً، ولا يتلذذ بالخفيات الأجنبية، ولا يفرح بسقطة أحد.

🕮 فمستحق النوح بالحقيقة والانتحاب، من عود نفسه على الثلب، لأن الرسول بولس أحصاه مع الخطاة، لما عد أعمال الفحشاء قائلاً: "لا قارفون ولا متغطرسون يرثون ملك الله".

🕮 **الثاني والعشرون: في الحمية والمسك:**

🕮 مغبوط ومثلث الغبطة من حفظ المسك، فضيلة عظيمة قدرها لكن أسمعوا يا أخوتي إلى أي مقدار وإلي كم نوع يقال المسك:

🕮 **{١}** فالمسك باللسان. إن من يمسك عن الأقوال الكثيرة الفارغة، والقرف، والسب، واللعن، والكلام الباطل، يمسك اللسان إلا يغلب أحداً، ولا يذم أخاه، ولا يظهر الأسرار، ولا يدرس فيما لا يخصه.

🕮 **{٢}** والمسك في الأذن. ألا يلعن أحداً من سماع باطل.

🕮 **{٣}** والمسك في العينين. إن تغض ناظرهما، ولا تتفرس في الأشياء المطربة، وما لا ينبغي إن ينظر.

🕮 **{٤}** ومسك الغضب. إن يمسك غضبه، ولا يضطرم سريعاً.

🕮 **{٥}** ومسك الشرف. إن يمسك معقولاته، ولا يؤثر إن يشرف ويمجد، ويستعلي بذهنه، ولا يبتغي إكراماً، أو يتشامخ، أو يتخيل المدائح.

🕮 **{٦}** والمسك في الأفكار. إن يعذبْها بمخافة الله، ألا يتنازل، أو يتلذذ بفكر خادع ملتهب.

🕮 **{٧}** والمسك في الأطعمة. إن يحتمي منها، ولا يلتمس أغذية تزيد عن قيام الجسد، وألواناً كثيرة أثمانِها، ويمسك ألا يأكل قبل أوان الغذاء، أو قبل أوان ساعته، ولا يتعبد لروح شره البطن، وألا يتملى من أفاخر الأطعمة، ولا يشتهي طعاماً آخر ولوناً آخر.

🕮 **{٨}** والمسك في الشرب. ان يحتمي منه، ولا يسقط في شرب النبيذ، أو في التلذذ بالخمر، ألا يشربه بغير مقدار، ألا يطلب أفضل

الشراب وألذ الممزوجات المصنعة، ألا يستعمل الشراب بلا مقدار، لا في الخمر فقط، بل وإن كان ممكناً في الماء.

🕮 **{٩}** والمسك في الشهوة، واللذة الخبيثة. إن يمسك الحس لئلا يسقط في الشهوات العارضة، وألا يتنازل للأفكار التي تخطر باللذة، لئلا يتلذذ كأنه فاعل للفاحشة التي تستحق الغضب.

🕮 ألا يصنع مشيئة الجسد، بل يلجمه بتقوى الله، لأن الماسك الحقيقي يشتهي الخيرات التي لا تفنى، يتفرس فيها بعقله، فهذه ترد الشهوة وترفض المجامعة كمرذولة.

🕮 لا يفرح بوجوه الإناث، ولا يطرب بالأجسام، ولا يسقط في الجمال، لا يتلذذ بالفخر، لا ينخدع بالتمليق، ولا يداوم التصرف مع الإناث، ولا سيما المدنسات، أو يتحدث معهن.

🕮 الممسك الحقيقي، والشجاع يصون ذاته، ولأجل تلك الراحة التي لا مقدار لها، يمسك كل فكر، يضبط كل شهوة باشتهاء الأفضل، تائقاً إلى الدهر العتيد.

🕮 **الثالث والعشرون: في الإسراف أي عدم الاعتدال:**

🕮 فأما من لا مسك له، والغير ماسك، فيضبط بسهولة بكل فاحشة.

🕮 الغير ممسك هو محب للذة.

🕮 الغير ماسك يلتذ بالأقوال الفارغة الكثيرة.

🕮 يطرب بالأحاديث الباطلة، وأنواع المزاح والخلاعة.

🕮 يتباهى بلذة الأطعمة، يتشجع بكثرة الأكل، وبوفور الشراب.

🕮 يتحرق باللذة الباطلة، يتنازل للأفكار باللذة مشتهياً الشرف، متصوراً أنه حصل على الكرامة. يتباهى بأحاديث النساء، يسقط في اشتهاء الجماعات، لا يرفض الألوان، يبتهج بالوجوه.

🕮 يسخر باصطناع المعروف، يذوب في حديث النساء المضحك، يتخيل سحنات الوجوه، يكرر تصوير وجوه النساء في ذهنه، وتفتيش

الأجسام، ومعانقة الأعضاء، والأقوال الهزلية، والأضاحيك الخادعة، غمزات العيون، لبس الثياب، ألوان الأجسام، التملق، تلذذ الجسم، تخيلات حركات المشي، ساعات وأوقات الأحاديث، وكافة الأشياء التي تجذبه إلى اللذة.

🕮 الغير ماسك يعيد تصويرها في ذهنه، ويجيلها في أفكاره.
🕮 إن سمع كتاباً مقروءاً عن العفة يقطب.
🕮 إن أبصر مجمع آباء نافعاً يجنح عنهم ويرفضهم.
🕮 إن أبصر صرامة الآباء يكتئب، إن سمع عن الصوم يحزن.
🕮 لا يطرب بعصابة الأخوة.
🕮 إن أبصر امرأة يتهلل وجهه، ويحاضر في الخدمة فوقاً واسفلاً، ويوجد حينئذ في الترتيل قوياً، مقتدراً على المزاح والخلاعة، متفنناً في الضحك، يوضح ذاته للنساء الحاضرات، بَهياً ومطرباً يوجد.
🕮 في أنواع السكوت مقطباً ومريضاً.
🕮 فشقي ومنكود الحظ من لا مسك له في كل نوع وأمر.
🕮 فلذلك يا أخوتي إذ قد سمعتم وصف أثمار المسك، وأغمار الإهمال، وعدم المسك، فلنهرب منه، ولنلاصق المسك، فإن عطية جزاء المسك عظيمة، وليست لجسامتها غاية.

🕮 فمغبوط بالحقيقة المقتني المسك، وسعيد من يثقف ذاته بكل فضيلة، ويحرص إن يشرق في أعمال العدل. ومغبوط من لم يعمل شراً، ما لا يرضي الله، بل يخدمه بكل صدق، فتصير كافة أعماله في النور، ولم يغلب بكل فكر ليشير مشورات باطلة.
🕮 فماذا أصنع أنا المادح كل فضيلة، ولم أسير بواحدة منها، وأفنيت حياتي بكافة الشرور، فسيتم فيَّ المكتوب "أنكم تحملون الناس أحمالاً ثقيلة ولا تحركونَها بإحدى أصابعكم".

🕮 فلهذا أتضرع إلى محبتكم كلكم يا مباركي المسيح ومشاركي الفردوس، إن تحرصوا وتسترضوا المسيح الذي دونكم في جنديته، وألا يطرح أحدكم كمن تَهاون أو رقد.

🕮 يا كافة الذين تحت نير الله احذروا إن تعملوا مشيئات الجسد، لكيلا نوجد بلا اعتذار أمام ذلك المنبر الرهيب، والحاكم الذي يجاذي كل أحد، إن كان عمل شيئاً صالحاً أو طالحاً.

🕮 الويل لي في ذلك الوقت، فإنني عتيد إن أقف بلا دالة.

🕮 فماذا أعمل في تلك الساعة بالشدة التي لا مناص منها، فمغبوطون حينئذ كافة الذين يمثلون أمام الحاكم بدالة الذين يزمعون إن يأخذوا من يد الرب الجزاء الأقدس.

🕮 الويل وقتئذ للمسترخين من أجل أمر حقير مثل ما أقول: أي اعتذار لمن يشتكي من أجل أثرة التشرف والمباهاة، أو من أجل التعظم، أو من أجل المعصية، أو من أجل عدم الخضوع، أو من شره البطن، أو من أجل التهجم، أو من أجل اكثار الكلام، أو من أجل التكبر، أو من أجل التأمر، أو من أجل التيه، أو من أجل الحسد، أو من أجل المحك، أو الغضب، أو من أجل القرف، أو البغي.

🕮 أي اعتذار للمزمع إن يشتكي من مثل هذه الفظائع، أية فائدة، أم أية لذة تصير لك من هذه، وأي ثقل ينالك من التحفظ منها جيداً، فلذلك أتضرع إليكم يا أخوتي ألا يدان أحدكم بِهذه.

🕮 أني أعلم أنكم ممتنعون عن الخطايا الثقيلة، سوى الخفيفة التي يجتهد المحال إن يجعل كل واحد منا يستحقر هذه كأنْها ليست شيئاً.

🕮 لكن احرصوا إن ترتبطوا بِهذه، بل احفظوا أنفسكم بكل احتراص لتشرفوا مع المسيح. لأن له المجد إلى أباد الدهور، وعلي تلميذكم الحقير رحمته بصلواتكم. آمين

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ١٩٩ ـ ٢١٠

{١٨}

كتاب الحرب اللامنظورة

الفصل السادس والثلاثون

ترتيب اكتساب الفضائل

🕮 يتوجب على جندي المسيح الحقيقي المفعم برغبة الوصول إلى منتهى الكمال، ألا يضع حدودا للجهاد من أجل بلوغ النجاح الكامل في كل شيء.

🕮 لكن في الوقت نفسه عليه أن يوازن خطواته، ويوجهها بفعل حرارة روحية قائمة على الحصافة والتمييز، لاسيما في مستهل الدرب.

🕮 فثورات روحية كهذه من شأنها أن تثور بقوة لا تضاهى، ما تلبث أن تخفت وتضعف تدريجيا، حتى تنطفئ تاركة إيانا مرهقين في منتصف مسيرتنا.

🕮 الفضائل الجسدية يمكن اكتسابها شيئاً فشيئاً بالصعود كما على درجات سلم، كذلك ينبغي أن نراعي نظاماً تدريجياً في فضائل النفس الداخلية. بهذا ينمو القليل الذي لنا، ويدوم فينا إلى الأبد.

🕮 مثال على ذلك: في مسيرة اكتساب فضيلة الصبر، يستحيل البدء فوراً بالترحيب بالظلم الواقع علينا، أو قبول الاهانات، وكل أشكال الحزن الأخرى، فنبحث عنها، ونسر بها.

🕮 فهذه درجات رفيعة جداً من الصبر، ولابد دون بلوغها، من الارتقاء بدءاً من الأسفل، وأعني: التواضع، وإذلال النفس إلى درجة اعتبارها تستحق كل ملامة وإهانة، يضاف إلى ذلك غلبة أحاسيس

الرغبة بالثأر وهي عنيفة، فتمج أصغر فكرة إلى الانتقام ... إلخ.

📖 علاوة على هذا، أنصحك بعدم التدرب على كافة الفضائل دفعة واحدة، أو حتى على قسم منها، إنما ثبت نفسك في واحدة، ومنها تصير النقلة إلى أخرى.

📖 بهذا تتجذر فيك ألفة الفضيلة بيسر وثبات، وبالثبات على فضيلة واحدة، ينشغل الذهن بها، ويلتحم بالتأمل فيها دون سواها.

📖 ومن شأن هذا، أن يؤدي إلى بلوغها وإتقانها، وتكون إرادتك مستعدة وتواقة، الأمر الذي يساعد كثيرا في إتقان التآلف مع الفضائل، واكتساب مهارات عملية في وسائلها وأحوالها.

📖 وهذه النتائج لا نترجاها إن كنا عاكفين على فضائل عدة دفعة واحدة. كذلك فالتقارب والتشابه في أمور الفضائل أمر حاصل، وإتقانها سيسهل النقلة من الواحدة إلى الأخرى، بأقل قدر من الصعوبة، مقرونة بأكبر سرعة ممكنة.

📖 فالفضيلة تقوِّى الفضيلة القريبة منها، وتساندها، وبمجرد قيامها في القلب تساعده على إقتبال مثيلاتها، فتكون كل فضيلة تكملة لفضيلة أخرى.

📖 ونحن نعرف من الخبرة أنه إذا روَّض المرء نفسه على فضيلة واحدة بجد وإخلاص، وامتلكها جيداً، فإنه سيتعلَّم ليس فقط كيف تدين له الفضائل الأخرى، إنما ستزداد خبرته مع الأولى أيضاً.

📖 فالأولى ستدعم كل الفضائل اللاحقة، وتشد أزرها.

📖 فالفضائل متماسكة، ولا تنفصل إحداها عن الأخرى، إنها كحال الشعاعات الصادرة عن النور الإلهي نفسه.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ١٦٥ ـ ١٦٦

الفصل السابع والثلاثون

ما هي الاستعدادات المطلوبة لاكتساب الفضائل عموما وكيف يكون التدريب من أجل كل واحدة منها؟

📖 على من يرغب في اكتساب الفضائل أن يكون كبير النفس، متين الإرادة، جسوراً، وذا عزم ثابت لا يعرف الفتور والتواني.

📖 وليعلم أن صعوبات عديدة تتربَّص به، والجهادات الشاقة تنتظره، وذلك لكي يكون مستعداً لتحملها، والقيام بأعبائها بحزم وثبات.

📖 وعليه فينبغي أن يحب كل فضيلة بحرارة، وأن يصبو إلى السيرة الفاضلة، فيكون ذا غيرة متقدة تخوِّله أن يبلغ إليها.

📖 وينبغي أن تكون قوته قائمة في درب الفضيلة المضني والصعب.

📖 ينبغي أيضاً أن يكون حاراً بالروح، كي لا يضربه الضعف، فيبلغ به مبلغاً يتوقف معه عن السعي. لذا لا تهمل غيرتك، بل اجعلها متقدة على الدوام نحو الفضيلة.

📖 ليكن قلبك مفعما بمحبة السيرة الفاضلة المرضية لله.

📖 كم تكون الحياة الفاضلة سامية وجميلة في حد ذاتها وكم هي ضرورية ونافعة لنا؟ إنها بداية كمالنا ونهايته.

📖 لذا حاول كل صباح أن تفحص ذاتك جيداً، وتوقَّع الظروف المحتمل أن تصادفها أثناء النهار، إذ من شأنها أن تتيح لك الفرصة للقيام بعمل حسن.

📖 أرفقْ ذلك برغبة ثابتة، وعزم أكيد، بأن تنتفع من هذه الظروف بدون فشل، وفي المساء افحص ذاتك، فيما إذا كانت الأفكار الحسنة والرغبات الصالحة التي كانت فيك عند الصباح قد تحققت، وكيف تم تحقيقها. وفي الصباح التالي، جدِّد النوايا ذاتها مع الرغبات بغيرة نشيطة، ورغبة حارة، جاعلا نصب عينيك أن تحققها كاملة.

📖 حاول أن توجه كل شيء شطر ممارسة فضيلة محددة، كالتي عزمت على اقتناء بركاتها لنفسك.

📖 وفي الحاضر اتخذ لك سيرة القديسين قدوة، مع التأملات في حياة

وآلام ربنا يسوع، وسواها من الأمور الضرورية المناسبة، للحصول على النجاح في الفضائل والسيرة الروحية.

🕮 وجه كل هذا نحو الفضيلة التي انشغل بها قلبك، وحاول في الوقت ذاته أن تستفيد من الأحداث العابرة اليومية، مهما تعددت.

🕮 وهذا ليس كي تمنعها من إفساد ترتيب رياضتك في الفضيلة التي انشغلت بها، إنما كي تكون هذه الأحداث سبباً لتدعيم وترسيخ الفضيلة فيك.

🕮 أما الحد الأقصى لمثل هذه الممارسة "العادة" فهو أن تبلغ إلى حالة تكون فيها أعمالك الفاضلة الخارجية منها والداخلية، بنفس السهولة والجهوزية، كأعمالك السالفة التي عاكستها.

🕮 وبالحري أن تكون بنفس السهولة التي بها نشبع احتياجات وجودنا الطبيعية، وهذا يعني أن تكون أعمال الفضيلة جزءاً من طبيعتنا.

🕮 وسوف أُذَكِّرَكْ بما قلته، أنه كلما كثرت العراقيل التي تصادفها، الخارجية منها والداخلية، في دربنا إلى الفضيلة، تزداد السرعة والعمق التي تمتد بها جذورها في نفوسنا. وهذا يكون في حال رغبنا بالتغلب عليها بعزم ثابت، وبدون تساهل مع الذات.

🕮 إن مطالعة الأقوال المناسبة من الكتب الإلهية، أو مجرد ترددادها في الذهن، لهي في ذاتها قوة عظيمة في فعلها، تقدر أن تطبع فينا صورة الفضيلة التي ننشد، وتحرِّك الشوق إليها من القلب. وهذه خير معونة نستمدها في شوقنا إلى الفضيلة.

🕮 لذا فَتِّشْ في الكتاب المقدس عن مقاطع تختص بالفضيلة التي تبغي، واحفظها عن ظهر قلب، حتى تمثل بين يديك. رددها باستمرار قدر المستطاع، لاسيما عندما يبادر الهوى المضاد إلى التحرك فيك.

🕮 مثال على ذلك: إن كنت تعمل طمعاً في فضيلة الصبر، عليك أن تنتقي وتحفظ غيباً المقاطع التالية من الكتاب: "بطيء الغضب كثير

الفهم" أم٣٤: ٢٩.
🕮 "رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر" مز٩: ١٨.
🕮 "الويل للذين تركوا الصبر" سي٢: ١٤.
🕮 "البطئ الغضب هو خير من الجبار، ومالك روحه، خير ممن يأخذ مدينة" أم١٦: ٣٢. "بصبركم تقتنون نفوسكم" لو١٩:٢١.
🕮 "لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" عب١٢: ١.
🕮 "ها نحن نطوب الصابرين" يع٥: ١١.
🕮 "طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة" يع١: ١٢.
🕮 "أما الصبر فليكن له عمل تام" يع١: ٤.
🕮 "لأنكم تحتاجون إلى الصبر" عب١٠: ٣٦.

🕮 أضف إلى هذه صلواتك الموجزة التالية، والتي على شبهها: "يا إلهي متى يتحلى قلبي بالصبر؟ متى أحتمل كل مذمة بقلب غير مضطرب حتى تبتهج فيَّ يا الله".
🕮 "علمني يارب كيف أرحب بالشدائد التي تجعلني أقتدي بك يا يسوع، يا من احتملت الآلام من أجلي. آه يا يسوع أعطني ولو إلى حين، أن أحيا بلا اضطراب بين ألوف الضيقات من أجل مجدك".
🕮 طوبى لي إن كنت أُضْرِم الشوق إلى الاحتمال وسط نيران الشدائد، مشتهيا شدائد أعظم، وعلى نحو أعظم.

🕮 ومن أجل إحراز تقدم في الفضيلة، ينبغي أن تكون هذه الصلوات ومثيلاتها، بروح التقوى والإيمان، لأن مثلها هي حسب قول النبي: "طرقاً إلى هياكل الله في القلب" مز٨٤: ٥. فتمتلئ بالإيمان، والرجاء من القلب، وتصعد إلى العلاء لتبلغ مسمع الله مز٣٨: ١٠.
🕮 "هذه هي الصرخات التي يسمعها الله وإليها يستجيب" مز٥: ٢.
🕮 لكن على الإنسان إضافة إلى هذه، أن يضيف شعورين مرهفين قويين، هما بمثابة أجنحة للصلاة: الله يبتهج عندما يرانا نجتهد إلى

بلوغ الفضيلة. وإذ نمتلئ بكل شوق لبلوغ كمال الفضـائل، لا نتوخى غير إرضاء اللـه.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ١٦٥ ـ ١٦٦

الفصل الثامن والثلاثون

يجب ممارسة الفضيلة بثبات واجتهاد

🕮 في الجهاد من أجل اكتساب الفضائل، ينبغي العمل دائماً بالامتداد إلى ما هو قدام "في٣: ١٣"، وهذا إذا كانت الرغبة في الوصول إلى النجاح بسرعة وعلى عجل.

🕮 فالتوقف، ولو لأمد قصير، من شأنه أن يرمينا، فنسقط في الحال.

🕮 وحيثما الإهمال والتواني في الجهاد، هناك تشرئب رؤوس الأهواء، لتعتلن في حياتنا، رغم أنه سبق لنا أن هزمناها وطردناها.

🕮 فهي تؤثر فينا عن طريق قابليتنا للمحسوسات، وتساهلنا مع النفس، فتُنزِل بنا الطيش، مع حركات وشهوات داخلية، لاسيما عندما يروقها محيطنا الخارجي.

🕮 فهذه الحركات التي من داخل، هي التي تفسد أمورنا الحسنة.

🕮 وما يؤذينا هو الحرمان من عطايا النعمة، التي بدونها لا نمتلك أي شيء حسن، ولا نحرز أي تقدم في الشأن الروحي.

🕮 وينبغي لك أن تعلم أن المضي في درب السيرة الروحية، ليس هو نفسه الدرب الذي نسلكه على الأرض، لأن المحطات التي يقوم بها المسافر أثناء رحلته، لا تفقده شيئاً من المسافة التي قطعها.

🕮 إلا أن توقُّف المسافر في درب الفضيلة عن المتابعة الروحية، من شأنه أن يفقده الكثير من الفضائل التي سبق له أن جناها.

🕮 ففي حالة السفر، كلما تقدم المسافر كلما أنهكه التعب. أما في السفر الروحي، فكلما تقدم إلى الأمام كلما جَنَى قوة أكثر تحفزه على تقدمه التالي. ومفاد ذلك أن جهادات درب الفضيلة، تخفض المقاومة من

الجهة الدنيا، وأعني الجسد الذي يعرقلنا في درب الفضيلة، ويعاكسنا إذ هو يناهض الروح ويعاكسها.

📖 بينما يتقوى الجانب الأعلى، حيث ترتع الفضيلة وأعني الروح، فيتشدد المرء، أكثر فأكثر. لهذا فكلما أفلحنا في الفضيلة والخير، كلما صغرت الصعاب المؤلمة التي تصادفنا لدى المضي في هذا الدرب.

📖 أضف إلى ذلك أن عذوبة سرِّية داخلية، تنساب إلى قلوبنا آتية من الله، ما تلبث أن تتزايد شيئاً بعد شيء.

📖 فكلما تقدمنا نحو الأمام بإرادة أمتن، فإننا نعرِّج من فضيلة إلى أخرى، حتى نبلغ ذروة الكمال الروحي، حيث تبادر النفس إلى ممارسة شتى أنواع الصلاح، بجهوزية وشوق وغبطة طبيعية.

📖 فقد غلبت الأهواء، وابتعدت عن كل ما هو حسي لتحيى لله، حيث أنها في خضم جهاداتها، وأعمالها الروحية، تتذوق عذوبة السلام بلا انقطاع.

كتاب الحرب اللامنظورة - القديس نيقوديم الاثوسي - صفحة ١٧٠ - ١٧١

الفصل الأربعون

على المرء أن يحب الفرص الصعبة من أجل ممارسة الفضيلة

📖 لا تهرب أيها العزيز، مهما كان السبب من الفرص التي تتاح لك كي تكتسب الفضيلة، إنما على العكس، فبمجرد أن تعرض عليك السانحة اقبلها بغبطة، معتبرا إياها خير الأمور التي ينبغي قبولها بترحيب، رغم الكآبة، وعدم الراحة التي تنتج عنها. وأنا أرجو بنعمة الله وعونه، أن تعمل هكذا إن جعلت في نفسك الأمور التالية:

📖 أولا: تأكد أن {الضيقات هي}، خير وسيلة بالنسبة إليك بها تقتني الفضيلة، هي هذه الظروف المتاحة لك من الله، لمساندتك في اكتساب هذه الفضيلة أو سواها.

📖 فأنت حينما رغبت بفضيلة محددة، لابد أنك قد سبق أن صليت إلى الله طالبا إياها منه. أيضاً لابد وأن تكون قد صليت من أجل الوسائل، التي بها ستكتسب هذه العطية.
📖 إلا أن الله لا يهب الصبر قبل تجاربه.
📖 ولا التواضع بدون الظروف المرتبطة بالإهانات والتحقير.
📖 فالله أرسل لك هذه الوسائل الناجعة، استجابة منه لصلاتك من أجل الفضائل، فأنت حينما تهرب منها فأنت ترفض عون الله الذي طلبته عبر الصلاة، وتهزأ بعطايا الرب.

📖 لذا رحَّب في قلبك بسرور بكل فرص الفضيلة التي تعترض سبيلك، وينبغي أن يكون سرورك بها على قدر صعوبتها.
📖 ففي مواقف كهذه نجني شجاعة كبيرة للعيش بمقتضى الفضيلة، ونتزود بطاقة أخلاقية هائلة، فنسير بخطى كبيرة في الدرب الروحي وهذا دأبنا وغايتنا. وأنصحك باستخدام الظروف الهامة، والمواقف الصعبة العسيرة، من أجل اكتساب الفضيلة.
📖 وبالطبع لا أعني هنا أن تقلل من شأن الظروف الأقل أهمية، أو المواقف الأقل تعباً وصعوبة، فتسلك نحوها كمن يغض الطرف عنها. لا، لا، لا تتغاضى عن أي سانحة، كبيرة كانت أم صغيرة، وذلك لكي تعمل في الفضيلة بلا انقطاع.

📖 وعلى سبيل المثال، عليك أن تحتمل ليس فقط الإساءات العنيفة، أو الاهانات المروِّعة، بل أيضا اللكمات، والضرب، واللطمات، مع نظرات الاحتقار، والتعابير المزرية، والكلمات النابية، التي تقال فيك. فمثل هذه المواقف الأقل أهمية هي الأكثر شيوعاً، واستجابتنا القويمة لها تصون أخلاقياتنا، وتبقينا في جهوزية دائمة.
📖 وهكذا نتزوَّد بالقوة الكافية للسلوك كما يليق، في الظروف الهامة والصعبة، أما إن أهملنا هذه السانحات فإن قوتنا الأخلاقية تضعف،

فنصبح أكثر ضعفاً أمام مواجهة الأمور الهامة.

📖 ثانياً: ضع في ذهنك أن الأمور العابرة تجري بمقتضى مشيئة اللـه، ولخيرنا وفائدتنا، وذلك كي نجني من دراستها ثمرة روحية معينة.

📖 هذا علماً أنه لا يمكننا أن نفترض بأن أموراً كخطايانا، وخطايا الآخرين تمت بمشيئة اللـه، نحن لا ننكر أنها بسماح منه، وهي بمثابة وسائل تلفتنا، وتقودنا إلى التواضع، كي ما نتطهر بالمعاناة والتعب، سواء تلك الناتجة عن آثامنا، أو التي يرسلها اللـه عبر الآخرين، كي ما نفوز ببركة الفضيلة التي نصبو إليها إن كنا نحتملها كما ينبغي. الأمر نفسه ينطبق على أحكامه الأخرى المخفية فينا، والتي هي بدون شك محقة ومباركة.

📖 وهكذا اقتنع بأن اللـه نفسه يريد أن تحتمل التعب والحزن النازل بك، سواء كان من طبيعة الآخرين الشريرة، أو من أفعالنا نفسها.

📖 لا تفكر على غرار ما يفعل البعض، لا، إن هذه لم تأت من اللـه، إنها الظلم والإثم واللـه لا يشاء الإثم بل يبعده مع كل مرتكبيه.

📖 بهذا يبرر الناس قلة صبرهم، وانفعالات الغضب التي رزحوا تحت تأثيرها، ومشاعر الانتقام التي يحسون بها لدى رؤية الظلم.

📖 لكن الحقيقة أنهم بذلك يبعدون ترتيبات اللـه، وينفرون منها، ويحاولون أن يطوحوا عنهم صليب معطي الحياة، الملقى عليهم من اللـه لخيرهم، بدلاً من حمله بقلب صالح كي ما يرضوا اللـه.

📖 ماذا يجنون من هذا؟ هم غير قادرين أن يلقوا عنهم صليبهم، بل يضيفون إليه حزناً وغماً وثورة لا طائل تحتها، وتصير حالتهم غير محمولة، فيسيئون إلى اللـه، ولا يفوزون بالسلام.

📖 فيما لو أنهم احتملوا ما أصابهم، بقلب صالح، يصيرون في سلام تام، ويستميلون حب اللـه لهم، فيأكلون ثمار الروح بغنى.

📖 لذا اجعل هذا قاعدة لنفسك: عندما تقابل الظلم، والإهانات،

والهجمات، لا تكترث لها مهما كانت خطيئة من يسئ إليك، إنما اجعل انتباهك على أمر واحد فقط، هو أن اللـه سمح بهذا لمنفعتك، وأنك بالتمادي في قلة الصبر، والثورة، والخصومة، ستحرم نفسك من هذا الخير.

🕮 لا تحاول أن تحلّل في السبب الذي من أجله سمح اللـه بذلك.
🕮 أما تعتقد أن اللـه محق ورحوم؟
🕮 اقتنع من هذه المناسبة أيضاً أنه يعلن لك عدله ورحمته، رغم أنك لا ترى كيف. تذكَّر كيف أن الرب يبارك الذين يسلكون هكذا: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا" يو٢٠: ٢٩.
🕮 أما تعتقد أن كلمات إلهك: "احمل صليبك" تعنيك أنت شخصياً إن كنت تؤمن بهذا. بادر إلى حمل صليبك الذي جعله على عاتقك في الشدة الحاضرة.

🕮 لا تقل إنه صليب ثقيل جداً، فالرب يعلم مقدار احتمالك وقوتك، فهو يرسل لبعض الناس تجارب وأحزاناً ناجمة عن ظروف لا شأن للآخرين بها، وهذه تحتمل بسهولة.
🕮 كما يرسل للبعض تجارب وأحزاناً ناجمة عن الناس، وهذه أصعب، لاسيما إن حدثت عن سابق إصرار.
🕮 أما الأصعب، فهو أن نكون قد أحسَّنا لمن يسئ إلينا.
🕮 الحالة الأخيرة هي الأصعب من جهة الاحتمال. فإذا أرسل لك اللـه هذا، فاعلم أنه بكل دقة الأكثر نفعاً لك، وكن على يقين أن اللـه يرى قوتك على نحو يكفي لاحتمال هذه الآلام، ويتوقع منك أن تحتمل الآلام بقلب صالح دون تأفف فلا يخيب أمله فيك.
🕮 وينبغي أن أضيف بأن اللـه يُؤثر احتمالنا لتلك الأتعاب النازلة علينا من طبيعة الناس الشريرة، لاسيما أولئك الذين صنعنا معهم بعض الخير، على الأتعاب الناجمة عرضيا من ظروف غير مستحبة.

لماذا؟ لأن كبرياءنا الذاتي يستعبد بسهولة، وينغلب عن طريق الأول أكثر منه عن طريق الثاني.

📖 وأيضا لأنه إن كانت الطاعة لإرادة اللـه هي الأساس في العمل الروحي، فليس ثمة طريق أفضل لبنياننا كما في مثل هذه الحالات، وذلك إن كنا نحتملها بقلب صالح، رافعين شكراً حاراً لمن أرسلها.

📖 فهي بمثابة بركة عظيمة لإثبات طاعتنا التامة للـه وإرادته، مع عزمنا الأكيد على عمل كل شيء بمقتضى مشيئته.

📖 إن هذا الاستعداد يسبق الافتقاد بالتجارب، ويتولَّد عنه.

📖 وهذه التجارب تقوِّي الاستعداد، وترسخه، فيرسل اللـه كأس التجارب الأقوى التي إذا احتملناها برضى وبقلب صالح وغبطة، تأتينا على الدوام بالثمرة الروحية المباركة.

📖 فلنرجوا هذا من اللـه إذ فيه عظم حب اللـه، بإيمان تام، وبلا تشكك لنا، وفيه أيضاً يقين تقدمنا الروحي.

📖 وهكذا فبمقدار الفرح وعدم التذمر، تكون مذاقتها ذات مرارة أكبر.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ١٧٤ ـ ١٧٧

الفصل الحادي والأربعون

التقدم في فضيلة واحدة في ظروف مختلفة

📖 إن العمل على فضيلة واحدة في زمن محدد أنفع وأجدى للنفس، منه على فضائل عدة في زمن محدد. فينبغي على الواحد منا أن يستفيد من كل الأحداث التي تقابله في الحياة اليومية، مهما اختلفت،

📖 والآن اسمع كي أُبيِّن لك كيف يكون ذلك وبدون صعوبة.

📖 إن حدث مثلاً أنك في يوم من الأيام، أو في ساعة ما:

📖 إن واحداً لامك جوراً على أمر لا يستحق اللوم في ذاته.

📖 أو أن أمراً ما رُفض لك. أو أن أمراً ما أُثير ضدك ظلماً.

📖 أو أن مرضاً جسديا أصابك.

🕮 أو أن أحد رؤسائك أرغمك على أمر لا ترغب به.
🕮 أو أن أموراً محزنة واجهتك وهي لا تطاق، والتي هي كثيرة في حياتنا الإنسانية. عندها، فبسبب الاختلاف الطبيعي بين كل هذه الأمور وما يشابهها، هناك أمور مختلفة تطلب منك.

🕮 لكن خير لك، على أساس القاعدة التي اعتمدتها أن توجِّه كل هذه على أساس الفضيلة التي تمارسها في ذلك الحين.
🕮 هكذا، فإن كنت في وقت مواجهة هذه الحوادث المذكورة، تدرِّب نفسك على فضيلة الصبر، فبادر إلى احتمال هذه كلها بصبر وفرح.
🕮 وإن كنت منشغلا في الأساس بفضيلة التواضع، جاهد كي تدرك أنك تستحق كل نوع من الشرور، وأنك تستحق الضيقات التي واجهتك.

🕮 وإن كان عملك يقضي أن تكتسب فضيلة الطاعة، فأرغم نفسك أن تنحني بخضوع تحت يد اللــه القدير، بتسليم كامل لمشيئته مبتغيا رضاه، سلِّم برغبة لمخلوقاته، سواء كان لها عقل وحياة، أو لم يكن، والتي من خلالها أرسل اللــه هذه الضيقات والشدائد.
🕮 وإن كنت تتوق إلى النجاح في فضيلة الفقر، فحرِّك في ذاتك الشعور بالرضى والفرح والشكر، بأنك محروم من كل عزاء عالمي ودنيوي. وإن كنت تجاهد من أجل فضيلة المحبة لترفعها وتعمقها فيك، فحاول أن تثير في ذاتك مشاعر محبة القريب، فمن خلالها تجني الخير الذي تريد.
🕮 حُث نفسك على محبة اللــه، فهو الآن كما في كل حين العلة الأولى للمحبة، وهو يرسل هذه الضيقات، أو يسمح بها، من أجل تقدمك الروحي. مما قلت، يمكنك أن ترى لنفسك كيف تستخدم من أجل فضيلة واحدة الضيقات الكثيرة، والتي تدوم طويلاً، كالمرض مثلاً، أو أموراً أخرى مماثلة.

كتاب الحرب اللامنظورة - القديس نيقوديم الاثوسي - صفحة ١٧٨ - ١٧٩



الفصل الثاني والأربعون

كم من الوقت ينبغي على المرء ممارسة الفضيلة
وما هي علامات تقدمه فيها؟

🕮 يستحيل أن نحدد نظرياً مقدار الوقت الذي يستغرقه الإنسان للتمرُّس على فضيلة ما، فهذا يحدده المرء عندما يراعي ظرفه، وحالته، ودرجة تقدمه في الحياة الروحية، لاسيما بحسب قضاء وحكم شيخه "starts"، أو أبيه الروحي الذي يوجهه.

🕮 فإن كانت غيرة الإنسان متقدة، فلا يمكن لأية عقبة أن توقفه، أو أية وسائل أن تعصى عليه، إذ سرعان ما يظهر فيه تقدم ملحوظ.

🕮 وعلامة التقدم هذا، هي أن يسلك المرء درب الفضيلة، بغيرة وجهاد، وقد عقد العزم ألا يقلع عنها ويتركها، مهما اشتدت صعوباتها، ومهما كانت التضحيات فيها، والتي قد تفرض نفسها.

🕮 ورغم كل حالات فتور النفس، وعتمتها الداخلية عندما يحل الفقر الروحي، فيفقد الإنسان كل التعزيات، والأفراح المباركة، مع كل ما تسمح به عناية اللـه من أجل خيرك.

🕮 أما العلامة الثانية على التقدم الروحي، والتي تشير إلى النمو في الفضيلة، فهي ضعف حروب الجسد مقابل الأعمال الحسنة، وعلى قدر الإقدام على الأعمال الحسنة.

🕮 فكلما فقدت الحرب من شدتها علينا كان هذا إيذاناً بالتقدم في الفضيلة، كذلك عندما لا تشعر بهجمات من جهة الحسيات الأدنى في الطبيعة، لاسيما عندما تكون ظروف قيامها نصب عينيك، عندها ثق أن الفضيلة قد قويت. إلا أن العلامة الأولى هي الأكثر دلالة على أنك تسير بثبات في درب الفضيلة، من العلامة الثانية.

🕮 وبحسب نصيحة القديس إسحاق السرياني، فالمرء الذي حدد الهدف

الذي من أجله يوجه كل أعمال حياته، لابد أن يسأل أخل الخبرة عن العلامات التي تبيِّن سيره في الدرب الصحيح، أو انحرافه عنه، إلى درب فرعي. وعليه أن يجعل هذه العلامات في ذهنه على الدوام.

📖 أمَّا العلامات فهي الأمور التالية:

📖 إن وجدت ذهنك مستعدًّا وبلا تغصُّب للأفكار الحسنة، فهذا علامة تقدم. وفي نفس الوقت، إن وقفت للصلاة لا يشرد ذهنك، ويتوقف لسانك على حين غرة عند فقرة ما، فيسودك سكون ليس طوعيًّا، أو عن اختيار. أو لاحظت أنه مع كل فكر أو أمر حسن، أو تأمل روحي، تمتلئ عيناك بالدموع وتنساب على خديك.

📖 أو كنت أحياناً ترى ذهنك يدخل قلبك بدون جهد، ويبقى على هذا المنوال قرابة الساعة، بينما يكون السلام في أفكارك، فهذه كلَّها علامات التقدم في دروبك الروحية "فصل ٤٤".

📖 إلا أنه من الخطأ التيقن أننا أكملنا بنيان الفضيلة المرجوَّة، أو أن بعض الأهواء قد غُلبت نهائيًّا، حتى ولو أن ضغوطاتها احتجبت، مع تأثيراتها إلى أجل طويل.

📖 فهذه ربما تكون خديعة شيطانية، أو حيلة من الخطايا التي فينا.

📖 فالأمور ذات الطبيعة المختلفة، كثيرا ما نراها تحت نور جيد، ونقبل بها على أنها حسنة، وذلك بفعل الكبرياء الرابض فينا.

📖 علاوة على ذلك، لو أننا فكرنا بالكمال الذي يدعونا الله إليه، فنحن ولو قطعنا شوطاً في الفضيلة، إلا أننا سنحس بالتقصير، فنحن بالكاد بدأنا الخطوة الأولى في الحياة التي ينبغي أن نسلكها.

📖 هذا هو السبب الذي يجعل الآباء القديسين يدعون حياة الأكثر كمالاً ناقصة، أي أنها لا تخلو من النواقص.

📖 فكمال الكاملين نفسه ليس كاملاً، كما يقول القديس يوحنا السلمي. القديس بولس يرى الكمال في دوام السعي، دون النظر إلى الوراء،

أو التفكير بأننا قد بلغنا ما نصبو إليه، فيقول: "ليس أني نلت أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلي أدرك ... إلا أنني أفعل شيئا واحداً، وهو أنني أنسى ما وراء وأمتد. أسعى إلى الغرض من أجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" "في٣: ١٢-١٤"

🕮 ولما كان يريد أن يبين أن الكمال هو في هذا، قال: "فليفكر بهذا جميع الكاملين منا" "في٣: ١٥". فالكمال ليس في أن يظن المرء أنه بلغ الكمال، لأن حياة الفضيلة لا تتوقف بل تتقدم باستمرار.

🕮 أضف إلى ذلك أن بعض الأهواء الدقيقة فينا، تتحرك بين الحين والآخر، حتى أننا لا نعرف إن كانت أهواء أم لا. فكيف نتكبر ونظن أننا قد تطهرنا منها تماما؟

🕮 إن كانت عين داود النبي النبوية ذات النظرة الثاقبة، لم تتمكن من تمييزها فيه، فكيف ننسب نحن القدرة على هذا إلى نفوسنا؟

🕮 داود نفسه لم يكف عن الصلاة إلى الله قائلاً: "نقني من هفواتي الداخلية" "مز١٩: ١٢"، فأين نكون نحن، وكم نحتاج من تضرع إلى الله كي يطهرنا من أهوائنا الدفينة؟

🕮 نحن عاجزون عن إدراك هذه الأهواء، والإحساس بها، وبتأثيراتها ومفاعيلها بدون استنارة الروح القدس، نحن نعرف أهواءنا عندما تكون فعَّالة فينا، أما إن هدأت فنتوهم أننا بلغنا اللاهوى.

🕮 كيف نعرف أن الأهواء لم تمت فينا، لكنها هادئة فقط؟

🕮 هذا يكون بالعلامة التالية: إن صادفك موقف ما يغذي الأهواء التي فيك، لاسيما إن حدث هذا فجأة، فبدأت الأهواء تظهر وكنت تحس بها، وكانت حركاتها في غاية الشدة والعنف، وتسبب الاضطراب، فلا تتعجب، فالأهواء مختبئة فيك، وها هي الآن تخرج.

🕮 ويشرح القديس إسحاق السرياني ذلك بصورة جميلة: "تختفي الأعشاب والزهور من الأرض في فصل الشتاء، إلا أن جذورها تبقى سليمة في أعماقها. لكن ما أن تشعر بمطر الربيع ودفئه، تبدأ

بالخروج من الأرض لتغطيتها". هكذا الحال مع الأهواء.

📖 فكما أن الشوك ينبت في الأرض العارية، هكذا تُنبت الطبيعة الساقطة الأهواء، لهذا لا نستطيع الوثوق بطبيعتنا والاعتماد عليها.

📖 الله وحده يعرف قلوبنا، فهو ينير البعض، ويسمح لهم برؤية مقدار تقدمهم في الفضيلة.

📖 إلا أنه لا يمنح هذه الفضيلة للبعض الآخر، فهو يعرف أن مثل هذه المعرفة ستقود إلى التواضع في الحالة الأولى، إلا أنها ستقود إلى المجد الفارغ في الثانية.

📖 وكأب محب فهو يبعد عن أتباع الحالة الثانية الوقوع في الخطية التي يبغضها بشكل خاص، فيهب الأولين فرصة كي يزدادوا اتضاعاً، وهذا أمر يُسره.

📖 والشخص الذي لم يُعطَ معرفة عن تقدمه، يستطيع الله أن يكشف له على نحو ما مقدار تقدمه، إن كان يعمل على الدوام من أجل الفضيلة، وإن كانت مسرة الله أن يكشف له ذلك لمنفعته وخيره.

كتاب الحرب اللامنظورة - القديس نيقوديم الاثوسي - صفحة ١٨٠ - ١٨٣

{١٩}

القديسة الأم سنكليتيكي

📖 **الفضائل:**

📖 ٧٢- وكما أنه لا يمكن رفع دلوين مملوءين بالماء من البئر في وقت واحد، حيث إنّ الآلة الرافعة تجعل الأقل امتلاءً منهما يهبط، بينما يرتفع الآخر الممتلئ. هكذا أيضًا الحال معنا.

📖 فعندما نجعل جلّ اهتمامنا بالنفس، فهي ترتفع مملوءةً بالفضائل متجهةً نحو السماء، بينما أنّ الجسد {الذي يصير خفيفًا من النسك} لا يمكنه أن يثقل مقابل النفس {أي يتوازن معها}.

📖 ويشهد الرسول بذلك قائلاً: «إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدَّد يومًا فيومًا» {٢كو٤: ١٦}.

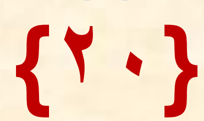
📖 ٧٣- هل تعيشين في حياة شركة في دير؟ لا تغيِّري موضعكِ لأنكِ ستتضرّرين جدًا. لأنه كما أنّ الطائر الذي يهجر بيضه يجعله غير مثمر، هكذا أيضًا الراهبة، أو الراهب، فإنّ روحه تبرد حتى يموت إيمانه، بانتقاله من مكان إلى آخر.

📖 ٧٤- لا تغريكن مباهج الأغنياء بحسب المقاييس الدنيوية، كأنها شيء نافع. إنهم يبتهجون بفن الطبخ لأجل مسرتهم، فلتتخطّين أنتن على أطعمتهم المفرطة بالصوم، والاعتدال في الأكل، لأنّ الكتاب يقول: «النفس الشبعانة تدوس العسل» {أم٢٧: ٧}.

📖 ٧٥- توجد ثلاثة ينابيع للعدو ينبثق منها كل شر: الشهوة، والمسرة، والحزن. وهي متصلة بعضها بالآخر، وكل منها يتبع الآخر. ومن الممكن التحكُّم في المسرة إلى درجةٍ ما، ولكن يستحيل التحكُّم في الرغبة {أو الشهوة}، لأنّ إشباع المسرة يتم بواسطة الجسد، ولكن الشهوة تبدأ من النفس. في حين أنّ الحزن يمكن أن يتكون من كليهما.

📖 إذن، فلا تسمحن للشهوة أن تصير فعّالة، وبذلك تبدِّدن الاثنتين الأخريين {أي المسرة والحزن}. أمّا إذا سمحتنّ للأولى أن تبرز، فهي تتطور إلى الثانية، ثم يشكِّلان معًا "حلقةً فاسدةً" لا يمكن للنفس أن تفلت منها. لأن الكتاب يقول: «لا تعطِ ممرًّا للماء» {سيراخ ٢٥: ٢٥}.

كتاب فردوس الآباء - القديسة الأم سنكليتيكي - الجزء الثالث - صفحة ٦١



ق: غريغوريوس السينائي

📖 **٨٣ـ** أصل الفضائل ومصدرها: الإرادة، أو الرغبة، التي ترشد إلى ما هو صالح، كالإله تماما مصدر ومنبع كل خير وصلاح.

📖 وأصل الصلاح: هو الإيمان، أو بالحري المسيح، الذي هو حجر أساس الإيمان، والذي هو أصل ودعامة كل الفضائل.

📖 عليه نعتمد، وبه نعمل كل ما هو صالح.

📖 هو أيضا حجر الزاوية الذي يضمنا معا، وهو اللؤلؤة الثمينة التي يبحث عنها الناسك، الذي عندما يتوغل فى أعماق الصمت، يبيع كل إرادته، ورغباته، مقابل إطاعة وصايا الله.

📖 **٨٤ـ** الفضائل متساوية: فى المعنى والهدف. وقد تخزل إلى فضيلة واحدة، وفى جملتها تكون صورة واحدة كاملة من الفضيلة.

📖 لكن بعض الفضائل أعظم من البعض الآخر، لأنها تضم وتحتوي على عدد عظيم منها، أو من الممكن أيضا أن تشمل كل الفضائل الأخرى، مثل المحبة الإلهية، والاتضاع، والصبر الإلهي.

📖 عند فضيلة الصبر الإلهي يقول الرب "بصبركم اقتنوا أنفسكم" لو٢١: ١٩. ولم يقل بصومكم، أو بسهركم.

📖 فالصبر الذي هو من الله هو تاج الفضائل، ودعامة الشجاعة الحقة، وهو فى ذاته السلام وسط الكفاح، والهدوء وسط العاصفة، كما أنه حصن حصين.

📖 كل من يحصل عليه فى المسيح، لا تستطيع السهام، أو الرماح، أو جحافل الشياطين، أو قوات العدو، أن تنال منه.

📖 **٨٥ـ** مع أن الفضائل تتوالد من بعضها البعض، إلا أن لها أصلا فى قدرات النفس الثلاث ـ كلها ما عدا الفضائل الإلهية. لأن أصل، ومصدر الفضائل الأربع الإلهية الأبوية، التي تحوي وتُكوِّن الفضائل الأخرى كلها هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والحق.

📖 الحكمة المقدسة التي ينشطها الروح القدس، لها أربع حركات فى العقل، ومع ذلك لا تظهرها كلها فى وقت واحد، بل كل حركة تنفصل عن الأخرى فى وقتها الخاص، كما تشاء الحكمة الإلهية.

📖 الحكمة: كالنور.

📖 والشجاعة: كالقوة المانحة الحياة، والمعطية الإلهام.

📖 والعفة: كقوة مقدسة، مطهرة.

📖 والحق: كندى النقاوة، والطهارة، يعطى بهجة، ويرطب حرارة الانفعالات المجدبة، كل فضيلة تُمنح لكل إنسان حسب أعماله، ولكن الكاملين يمنحون الكمال فى أعمالهم.

📖 ٨٦ـ ممارسة الفضائل، ولو أنها تؤدى فى عناية، وجهد، لا تعطى الطمأنينة التامة للنفس، إلا إذا حولتها النعمة إلى الاستعداد الأصلي للقلب. لكل فضيلة طاقتها الخاصة، وعملها الخاص، وإذا ما مُنحت الفضيلة مرة تظل ثابتة إيجابية.

📖 وهؤلاء الذين ينالون هذه الموهبة، يملكون فى أعضائهم كأي نفس حية، نعمة ممارستها، والتدريب عليها، لكن بدون النعمة تكون كل الفضائل عادة ميتة، فى هؤلاء الذين يظهر أنهم يقتنونها ويمارسونها، فهذا المظهر ليس إلا ظل الفضيلة وطيفها. لا الفضيلة الحقيقية.

📖 ٨٧ـ هكذا توجد أربع فضائل أصلية:

📖 {١} الشجاعة، {٢} والعقل الراجح، {٣} والعفة، {٤} والبر.

📖 كما توجد ثماني صفات خلقية أخرى، تتكون إما من الإفراط، أو من القصور فيها، وتتبعها عن كثب فى كل من طرفيها، هذه، نعتبرها ونسميها، رذائل، ولكن العالم يسميها فضائل.

📖 ففي كل من طرفي الشجاعة: تظهر الجسارة والجبن.

📖 وفى كل من طرفي العقل الراجح: يوجد الخبث، وعدم الشعور.

وفى كل من طرفي العفة: يكون الإفراط، وعدم الحساسية.
وفى كل من طرفي البر: يكون إحكام الضبط، والإثم.

وفى منتصف الطريق بين الطرفين، تنبثق ليس الفضائل الأصلية التي هي فوق كل إفراط، أو قصور، بل أيضا الأعمال الفردية الصالحة. هؤلاء الذين فى الوسط تحركهم إرادة الخير داخل قلب بار. والآخرون الموجودون على طرفي يحركهم الفساد والغرور.
والحقيقة أن الفضائل الصحيحة تتحرك فى منتصف الطريق، يشهد بذلك المثل "حينئذ تفهم العدل، والحق، والاستقامة كل سبيل صالح" أم٢: ٩. وكلها تشملها قوى النفس الثلاث، حيث تولد وتنمو وتتأصل الفضائل الأربع الأبوية، أو بالحري فى المسيح.
بالإضافة إلى ذلك كالفضائل الطبيعية تتطهر بالفضائل النشطة، بينما تمنح الفضائل الإلهية الفائقة الطبيعة، بواسطة نعمة الروح القدس.

٨٨- بعض الفضائل:
{١} تنتج عن العمل، **{٢}** وبعضها طبيعي، **{٣}** والبعض الآخر إلهي.
الفضائل الناتجة عن العمل هي: حصيلة إرادة الخير، والصلاح.
والفضائل الطبيعية: تأتى من تركيب الإنسان وتكوينه.
والفضائل الإلهية: تأتى من النعمة.

٨٩- كما أن الفضائل تُولد فى النفس، كذلك تولد الانفعالات.
لكن الفضائل تُولد فى النفس حسب طبيعتها، والانفعالات ضد طبيعتها. نقطة البداية فى ميلاد الخير، أو الشر فى النفس، هو فى اتجاه إرادة النفس. كلما تتجه الإرادة نحو الخير، أو الشر في النفس، تجد ما يدفعها إلى العمل.



📖 ٩٠- الفضائل يسميها الكتاب المقدس عذارى "نش١: ٢"، لأن اقترانهن بالنفس يعتبرن كواحدة في الجسد والروح.

📖 وجه العذارى هو: رمز المحبة، ودليل الطهر.

📖 وقداسة هؤلاء العذارى الطاهرات في حللهن وزينتهن.

📖 ٩١ - يوجد ثماني انفعالات مسيطرة، ثلاثة منها رئيسية:

📖 {١} البطنة، {٢} والشره، {٣} والغرور.

📖 وخمسة توابع لها وهي: {١} الشهوة، {٢} والغم، {٣} والكسل، {٤} والغضب، {٥} والكبرياء.

📖 كذلك توجد ثماني فضائل مضادة لهذه الانفعالات، منها ثلاث فضائل رئيسية، هي: {١} سيادة النفس، {٢} والاتضاع، {٣} وعدم الاقتناء.

📖 وخمسة توابع لها، مشتقة منها هي:

📖 {١} الطهارة، {٢} والوداعة، {٣} والفرح، {٤} والشجاعة، {٥} وتحقير الذات - وبعدئذ تأتى كل سلسلة الفضائل.

📖 إن دراسة ومعرفة قوة وعمل وصفة كل فضيلة، وكل انفعال، لا تعطى لكل من يريدها، بل تعطى فقط لكل من يجرب كل شيء عمليا، ويُمنح من الروح القدس موهبة الإدراك، والتمييز بينها.

📖 ٩٢- الفضائل إما أن تعمل، أو تمارس.

📖 وهي تعمل فينا، عندما تأتى في وقتها الخاص المناسب، كلما تريد، وبالقدر والكيف الذي تريده، ولكننا نمارسها حسب إرادتنا. واستعدادنا المعنوي وعادتنا.

📖 وللفضائل نفسها قوامها المستقل الخاص، ونحن ندنو منها، ونقترب إليها فقط على وجه التقريب، إذا عملنا بموجبها معنويا.

📖 ويستطيع عدد قليل جدا أن يمتص الجانب الروحي من لبها، قبل أن

يتذوق طعمها الثابت الآتي، ومعظمنا لا يملك لب الفضائل الحقيقي، بل مشابهاتها.

📖 ٩٣- يعلم هذا الإنسان الأناجيل بعد دراستها للآخرين.
📖 ويستطيع أيضا بنشاطه، أن يبين للغير نور المسيح.
📖 وأن يبذر الكلمة المقدسة في حقول نفوس سامعيه، حسب مؤشرات الرسول في " كو٤: ٦ " " ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح، لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد ".
📖 وفى " أف٤: ٢٩ " "كي يعطى نعمة للسامعين بالإيمان".
📖 وفى مكان آخر، يدعو الرسول المعلمين، والزارعين، والتلاميذ، والحقل الذي يزرعونه، ويصف وصفا واضحا أن المعلمين، والزارعين كالعمال، وزارعي كلمة الله، والحقل والتلاميذ كتربة الفضائل الخصبة، تحمل ثمارا يانعة دانية القطوف.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - القديس غريغوريوس السينائي - صفحة ٦٧ - ٧١

📖 ٩٩- إن من يمارس حياة النسك، يجب عليه أولا أن يقتنى الفضائل الخمس الآتية، كأساس يبنى عليه أعماله، وهي:
📖 {١} الصمت، {٢} والزهد، {٣} واليقظة، {٤} والاتضاع،
📖 {٥} والصبر.

📖 وهناك ثلاث ممارسات تسر الرب وترضيه، هي:
📖 {١} ترتيل المزامير والصلاة، {٢} والقراءة،
📖 {٣} والعمل اليدوي لضعاف الأجسام.
📖 الفضائل المحصاة لا تشمل فقط كل الفضائل الأخرى، بل تتداخل كأجزاء مركبة كل جزء منها في الآخر.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - القديس غريغوريوس السينائي - صفحة ٧٤

📖 ١٥- فى سبيل إطاعتك وصايا الرب، ابحث عن الرب فى قلبك.

📖 وعندما تسمع يوحنا يصرخ فى البرية "أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة" "مر١: ٣" افهم من هذه الآية أن الوصايا هي للقلب والأعمال. لأنه من المستحيل حقا أن تتبع الوصايا، وأن تعمل بالحق، إلا إذا كان القلب كذلك مستقيما.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٤٨

📖 يتعين على كل إنسان أن يضع نصب عينيه، وقبل كل شيء آخر، الوصية الشاملة عن ذكر الله "أذكر الرب إلهك" تث٨: ١٨.

📖 بذكرها نكون فى أمان، وعكس ذلك يدمرنا. إن ما يدمرنا هو نسيان الرب، لأن هذا النسيان يطمس الوصايا فى الظلمة، ويجردنا من كل خير وصلاح. هؤلاء الذين يكافحون ويجاهدون، يستردون حالتهم الأصلية بحفظ وصيتي: الطاعة، والصوم.

📖 لأن كل الشرور المستتراه فى نسل البشرية، ترجع إلى ممارسة ما يعارض هاتين الوصيتين. وفضلا عن ذلك، فإن الذين يتبعون الوصايا بالصوم، يرتقون إليه فى بطء أكثر.

📖 وفضلا عن ذلك فالطاعة أكثر ملائمة للمبتدئين.

📖 والصوم أكثر مواءمة للسائرين فى الطريق، المتحلين بالشجاعة، وبرؤية العقل. لكن فى انجاز الوصايا تستطيع فئة قليلة جدا أن تطيع الرب فى صدق. لأن انجاز الوصايا صعب للغاية على أعظم الأبطال.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٤٩

{٢١}

سمعان اللاهوتي الجديد

📖 ١٣٢ـ ١٣٣ـ كما أن الوصايا الرئيسية تشمل كل الوصايا الخاصة وتستوعبها، كذلك الفضائل الرئيسية تشمل كل الفضائل الخاصة وتحويها.

📖 فمثلا أي إنسان يبيع أملاكه ويوزعها على الفقراء، ويصبح هو نفسه فقيرا، ويكون قد أتم بعملية واحدة كل الوصايا الخاصة المتعلقة بهذه الوصية. لذلك فهو لا يحتاج بعد أن يعطى من يسأله، أو يمتنع عن إجابة طلب من يريد أن يستعير منه.

📖 بهذا الأسلوب أي إنسان يؤدى الصلاة المستمرة، ينجز كل الوصايا المنسوبة إلى الصلاة، ولا يحتاج بعد ذلك أن يسبح الله سبع مرات يوميا، أو يسبحه فى المساء، والصباح، ومنتصف النهار، لأنه بذلك يكون قد أتم قانون الترتيل والصلوات المترتبة فى أوقاتها وساعاتها المحددة.

📖 وبالمثل أي إنسان يقتنى بوعي فى نفسه الله معطى المعرفة للناس، ويدرس كل الكتاب المقدس ثم يجمع {مثل الفاكهة} كل الفائدة من قراءته، لذلك فهو لا يحتاج بعد إلى قراءة كتب أخرى. لأن أي احتياج لهذا الإنسان من قراءة الكتب، إذا كان يتحدث {معه} الذي أوحى إلى كتبة الكتاب المقدس، وإذا كانت أسراره التي لا توصف مسجله فى داخله تسجيلا ثابتا لا يطمس؟

📖 بالعكس، هو نفسه سيكون للآخرين كتابا موحى، يحتوي كل أسرار العهد القديم والعهد الجديد، منقوشة فيه بأصبع الله. ومتى أتم وأنجز كل شيء، يستريح فى الله من كل أعماله، هذا هو ذروة الكمال.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٧٧

📖 ١٧٢- كثيرون يقدمون بأنفسهم عطايا مما عندهم، ولا ينالون من الله مجازاتهم. هذا واضح فيما فعله قايين وعيسو وتعذبا لأجله. لأن الإنسان إذا لم يقدم قربانه بفكر صادق، واستعداد صالح، وإيمان راسخ، واتضاع عميق، لا يتوقع أو يأمل أن الله ينظر إليه بحنو وشفقة ويقبل تقدمته. وبعد أن يرفض الله تقدمته فمن المستحيل أن ينتظر منه أن يمنحه ما يهبه فى مثل هذه الحالة.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد

تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٩١

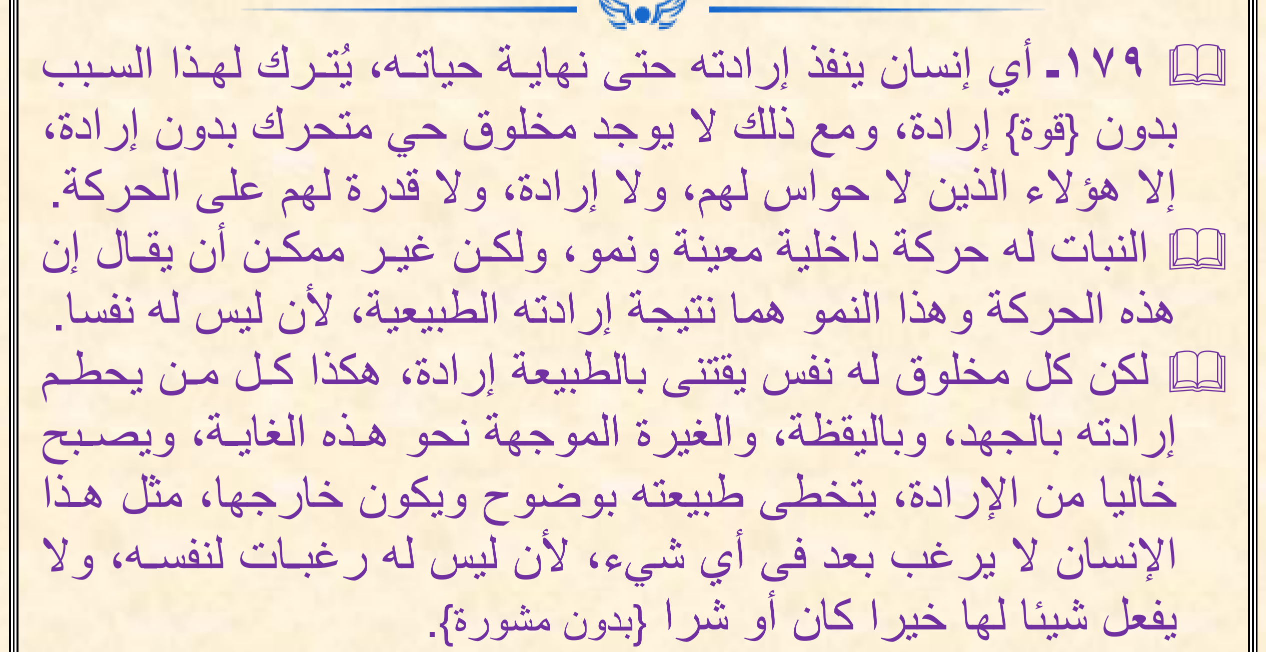


١٧٩ـ أي إنسان ينفذ إرادته حتى نهاية حياته، يُترك لهذا السبب بدون {قوة} إرادة، ومع ذلك لا يوجد مخلوق حي متحرك بدون إرادة، إلا هؤلاء الذين لا حواس لهم، ولا إرادة، ولا قدرة لهم على الحركة.

النبات له حركة داخلية معينة ونمو، ولكن غير ممكن أن يقال إن هذه الحركة وهذا النمو هما نتيجة إرادته الطبيعية، لأن ليس له نفسا.

لكن كل مخلوق له نفس يقتنى بالطبيعة إرادة، هكذا كل من يحطم إرادته بالجهد، وباليقظة، والغيرة الموجهة نحو هذه الغاية، ويصبح خاليا من الإرادة، يتخطى طبيعته بوضوح ويكون خارجها، مثل هذا الإنسان لا يرغب بعد فى أي شيء، لأن ليس له رغبات لنفسه، ولا يفعل شيئا لها خيرا كان أو شرا {بدون مشورة}.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٩٥



١٧٩ـ أي إنسان ينفذ إرادته حتى نهاية حياته، يُترك لهذا السبب بدون {قوة} إرادة، ومع ذلك لا يوجد مخلوق حي متحرك بدون إرادة، إلا هؤلاء الذين لا حواس لهم، ولا إرادة، ولا قدرة لهم على الحركة.

النبات له حركة داخلية معينة ونمو، ولكن غير ممكن أن يقال إن هذه الحركة وهذا النمو هما نتيجة إرادته الطبيعية، لأن ليس له نفسا.

لكن كل مخلوق له نفس يقتنى بالطبيعة إرادة، هكذا كل من يحطم إرادته بالجهد، وباليقظة، والغيرة الموجهة نحو هذه الغاية، ويصبح خاليا من الإرادة، يتخطى طبيعته بوضوح ويكون خارجها، مثل هذا الإنسان لا يرغب بعد فى أي شيء، لأن ليس له رغبات لنفسه، ولا يفعل شيئا لها خيرا كان أو شرا {بدون مشورة}.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٩٥



{٢٢}

كاليستوس وأغناطيوس

📖 **{٦}** فى التعميد المقدس ننال النعمة الإلهية مجانا.

📖 وعندما نغطيها بالانفعالات، نطهرها ثانية بإطاعة الوصايا.

📖 فى الرحم المقدس، أي فى الجرن المقدس، ننال مجانا النعمة الإلهية الكاملة. وإذا حدث بعد ذلك أن حجبناها بضباب الانفعالات، إما بواسطة سوء استعمال الأشياء الوقتية، أو بواسطة الإفراط فى الاهتمامات، من أجل الأنشطة الدنيوية، فمن الممكن حتى بعد هذا أن نسترجعها، ونسترد بهاءها الفائق الطبيعة، ونرى ظاهرتها بوضوح تام، بالتوبة، وبإنجاز الوصايا المقدسة.

📖 **أعمالها:** تظهر النعمة حسب غيرة كل إنسان، من حيث بقاؤه أمينا على الإيمان، لكن فوق الكل، بواسطة عون، وإحسان ربنا يسوع المسيح. بقول القديس مرقس الناسك: "المسيح الإله الحق، أعطى هؤلاء المتعمدين نعمة الروح القدس الكاملة، التي لا تقبل زيادة منا، لكن تكشف فقط ذاتها، وتظهر فينا حسب محافظتنا على الوصايا، وتعطينا مزيدا من الإيمان {إلى أن ننتهى جميعا إلى وحدانية الإيمان، ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح} " أف٤: ١٣ ". ولذلك كل ما قد نناله بعد تجديدنا فيه، يجب أن يكون قبل ذلك مختفيا فينا، به، ومنه ".

📖 **{٧}** أي إنسان يحيا فى الله يجب أن يتبع كل الوصايا. لكن يكرس الجزء الأكبر من نشاطه إلى الوصية الأولى منها، التي تعتبر مصدر الوصايا.

📖 كما قلنا أساس وأصل كل نشاط طبيعي لنا، هو أن نحيا حسب الوصايا المخلصة، فى حين أن الثمرة، والهدف المنتظر منها، هو استرداد نعمة الروح القدس الكاملة، التي وهبنا إياها من الأول بواسطة التعميد، الذي لا يزال باقيا فينا: "لأن هبات الله، ودعوته،

هي بلا ندامة" " رو١١: ٢٩ ".

📖 ومع أننا مدفونون تحت الانفعالات، النعمة تكشف نفسها فقط بواسطة إنجاز الوصايا المعطاة لنا من الله. وعلى ذلك يجب علينا أن نحاول بكل حماس إنجاز هذه الوصايا، وبواسطة هذا التطهير يكشف الروح القدس الموجود فينا، ويجعلها ظاهرة مرئية بوضوح.

📖 يقول داود النبي إلى الرب: "سراج لرجلي ونور لسبيلي" " مز١١٩: ١٠٥ " و: "وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب" " مز١٩: ٨ "

📖 و: "حسبت كل وصاياك فى كل شيء مستقيمة" " مز١١٩: ١٢٨ ".
والذى وضع رأسه على صدر الرب يقول: "من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه" " ١يو٣: ٢٤ " و: "وصاياه ليست ثقيلة " " ١يو٥: ٣ ".

📖 والرب نفسه يعلم: "الذي عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذي يحبني، والذى يحبني يحبه أبى، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي" " يو١٤: ٢١ " و: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبى، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلا" " يو١٤: ٢٣ "

📖 و: "الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي" " يو١٤: ٢٤ ".

📖 وأكثر من كل هذا، من الضروري أن نحفظ أول وأصل الوصايا، التي هي كما كانت، مصادر وأمهات باقي الوصايا، وأن نكرس لها الجزء الأكبر من نشاط كل واحد. لأن بهذه الطريقة، وبمساعدة الله، سوف نصل دون أن نعثر إلى الهدف من العمل الصحيح، الذي تعهدناه منذ البدء، وإلى الغاية من كفاحنا، أي ظهور نعمة الروح القدس فينا.

كتاب الفيلوكاليا - الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس
سمعان اللاهوتي الجديد - صفحة ٢٣٥ - ٢٣٥



{٢٣}

القديس مرقس الناسك

الفصل السابع والأربعون

في الصلة الحميمة بين الفضائل والرذائل

📖 من الضروري لأخوتنا المحبوبين أن يعلموا ـ أن الأفكار الصالحة كلها والفضائل، لها صلة وثيقة فيما بينها. هكذا أيضا فإن الأفكار الشريرة ـ والخيالات الشريرة، والخطايا، والأهواء، هي أيضا ذات صلة فيما بينها. وبداعي هذه الصلة، هناك خضوع طوعي بين فكر صالح، وفكر صالح آخر. واقتناء فضيلة، يأتي النفس فضيلة أخرى، مشابهة وملاصقة لها.

📖 ومن الناحية الثانية فإن الخضوع لفكر شرير، يؤول إلى خضوع لأواعي لفكر شرير آخر. واقتناء هوى فاسق، يجتذب إلى النفس هوى آخر مشابه للهوى الأول. والخضوع لخطيئة واحدة، يؤول إلى سقطة لا إرادية في خطيئة أخرى، هي وليدة الخطيئة الأولى.

📖 ويقول الآباء القديسون بأن: "الخطيئة لا تستطيع أن تبقى في القلب بدون زواج". القديس مرقس الناسك {المعمودية والتوبة}.

📖 ومن طرد من قلبه الحقد، وتذكر أخطاء الآخرين، فسرعان ما يشعر بمحبة لطيفة، وانسحاقا عميقا في القلب. ومن يرفض أن يدين أخوته، يبدأ على نحو طبيعي برؤية خطاياه الشخصية وعيوبه، والتي لم يكن قادرا أن يراها عندما كان ينشغل بنقد الآخرين ودينونتهم.

📖 ومن يمتدح قريبه حبا بوصية الانجيل، لا بد أنه سيشعر أنه لطيف، ومؤهل المحبة قريبه. وبعدها يظهر الفقر بالروح، والبكاء على الخطايا. وسرعان ما يصبح ودياً ذاك الذي يبكي حالته، وهو فقير بالروح.

📖 ومن يتنكر للبر في طبيعته، وينبذه، سوف يجوع ويعطش للبر الالهي، إذ من غير الطبيعي أن يكون الانسان بدون بر بالكلية.
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ٣٠٠

📖 ومن الناحية الثانية: فإن من ينتقد قريبه، من الطبيعي أن يحتقره، ويزدريه. ومن هو انسان متكبر. ويحتقر القريب، ويعتد بنفسه، يظهر الحقد على القريب.
📖 ومن الحقد، والغيظ، وتذكر الأخطاء التي عند القريب، تنمو فيه قساوة القلب. وبسبب قساوة القلب، تبدأ الأحاسيس الشهوانية بالظهور، أما الذهن الشهواني فيبدأ هيمنته على مثل هذا الإنسان.
📖 ومن هذه يظهر الهوى الحسي الذي يخنق الايمان بالله والرجاء به. وبعد هذا يظهر الميل إلى حب المال، والمجد الدنيوي، وهذه كلها تؤول إلى نسيان الله، والابتعاد عنه.

📖 وعلى أساس الصلة بين الفضائل والخطايا، يكشف الروح القدس ناموس خدمة الله الحقيقية {مزمور ١١٨}. أما طريق الاثم، طريق الفساد، فهو الأفكار الشريرة والتخيلات، والتي بها تنسل الخطيئة إلى داخل النفس.
📖 أخوتي الأحياء لا تعتبروا التواصل مع الأفكار الشريرة، والتمتع بخيالات الذهن المعاكسة لروح الانجيل، أمرا يليق بكم. فالاتفاق مع أعداء المسيح، والاتحاد واياهم، سرعان ما يحدث شرخا في الولاء للسيد، شرخا في الحياة معه. «لأن من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرما في الكل» {يعقوب٢: ١٠}.

📖 وكما أن كسر وصية واحدة، هو في الوقت نفسه شرخ في كل ناموس الله ومشيئته، هكذا فإن العمل بإيحاء شيطاني واحد، هو في الوقت نفسه، وعلى العموم، العمل بمشيئة ابليس.

📖 والراهب الذي يحقق مشيئة ابليس، يفقد الحرية، ويصبح عرضة لتأثيرات ابليس العنيفة، وذلك بمقدار حفظه لمشيئة ابليس.

📖 فالخطيئة القاتلة تستعبد الإنسان، وتدك صلته بالله، إلى أن يشعر بالتوبة. أما التشتت، وهجمات الأفكار والخيالات، فتسبب قطيعة أقل، وعبودية أقل.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ٣٠١

📖 لذا من الضروري الامتناع عن كل الخيالات والأفكار، التي ليست في انسجام مع تعليم الانجيل. وفي الوقت نفسه ينبغي مداواة التشتت، والغواية التي تحصل، فورا بالتوبة.

📖 نتوسل إلى اخوتنا المحبوبين أن ينتبهوا إلى هذا. أما الذين يجهلونه أو الذين لا ينتبهون له، فيصيبهم أعظم ضرر وأذى، ويحرمون أنفسهم الظفر الروحي.

📖 وعلى سبيل المثال، بينما هم يحرسون أنفسهم من أفكار الزنى، لا يتوانون عن التلذذ بالأفكار والخيالات المتعلقة بحب المال، والمجد الباطل. وفي الناموس الروحي، فإن الأفكار، ومحبة القنية، والمجد الدنيوي، والكرامات، هي بمثابة أفكار زني. والأفكار الشريرة والخيالات، تغرينا كي نبتعد عن الله.

📖 وفي الناموس الروحي فإن الذين يتلذذون بالأفكار الشريرة والخيالات، لن ينعتقوا من الهوى الحسي، مهما جاهدوا.

📖 يقول القديس مكاريوس الكبير: «ينبغي أن نحرس النفس، ونراقبها من كل جهة، وذلك كي لا تكون في وحدة حياة مع الأفكار الشريرة الخبيثة. فكما أن الجسد يتأثر بالجسد الذي يتصل به، هكذا هو حال النفس المتصلة بالأفكار الشريرة الخبيثة، والراضية بها، والمتفقة معها، كالشك، والكذب، والمجد الباطل، والغضب، مع الحسد والغيرة.

📖 وهذا هو معنى القول، تنقوا من كل دنس الجسد والروح {٢كور ١٠٧}. وينبغي أن تدركوا أن الفساد والضلال معششان في خبايا النفس، وذلك من خلال عمل الأفكار الدنسة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ٣٠٢

📖 **١١-** هؤلاء الذين يحتقرون الأقل منهم في الغيرة، بسبب صرامة وشدة تداربهم النسكية، يعتقدون بأنهم يتبررون بأعمالهم الجسدية. ولكننا نكون أكثر حمقا إذا اعتمدنا على المعرفة النظرية، وازدرينا بالجاهل.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٢-** حتى وأن كانت المعرفة حقيقية، فإنها لازالت غير مؤسسة بثبات، إذا لم تُصاحب بالأعمال، لأن كل شيء يتأسس عن طريق تطبيقه عمليا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٣-** أحيانا تظلم معرفتنا بسبب فشلنا في تطبيقها عمليا، لأننا عندما نهمل بالتمام ممارسة شيئا ما، يختفي بالتدريج تذكرنا له.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٤-** لهذا السبب يحثنا الوحي لكي نقتني معرفة الله، حتى إنه من خلال أعمالنا يمكن أن نخدمه بشكل صحيح.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٥-** عندما نكمل الوصايا من خلال أعمالنا الخارجية، فإننا نأخذ من الله ما هو مناسب، ولكن أي منفعة حقيقية نكتسبها تتوقف على قصدنا الداخلي.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٦-** إذا أردنا أن نفعل شيئا ولم نستطع حينئذ أمام الله، الذي يعرف

قلوبنا، نكون كما ولو كنا قد فعلناه.

📖 إن هذا صحيح سواء كان العمل المقصود جيدا، أو رديئا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٧-** الفكر يعمل كثير من الأشياء الجيدة والرديئة بدون الجسد، بينما الجسد لا يستطيع أن يفعل خيرا أو شرا بدون الفكر، وهذا لأن ناموس الحرية يطبق على ماذا يحدث قبل أن نفعل.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٨-** البعض بدون أن يكملوا الوصايا، يظنون إنهم يمتلكون الأيمان الحقيقي. وآخرون أكملوا الوصايا، وعندئذ توقعوا ملكوت الله كمكافأة مستحقة لهم، كل منهما مخطئ.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٩-** السيد غير ملزم بمكافأة عبيدة، ومن جهة أخرى، هؤلاء الذين لا يخدمونه سوف لا يأخذون حريتهم.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٤

📖 **١٨٤-** من تعلم الناموس بطريقة مناسبة يخاف واضع الناموس. وبمخافته، يبتعد عن أي شر

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤١

📖 **١٩٠-** الله مختفى في وصاياه، وهو يوجد هناك بالقدر الذي يتم به البحث عنه.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢١

📖 **١٩١-** لا تقل: "لقد أكملت الوصايا، ولكنني لم أجد الرب".

📖 لأنك تجد غالبا "المعرفة الروحية بالبر"، كما يقول الوحي: «وهؤلاء الذين يبحثون عنه {أي الله} بحق سوف يجدون سلام» {أم١٩:٨ س}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢١



📖 **١٩٣-** إكمال الوصايا شيء، والفضيلة شيء آخر، مع أن كل منهما يحفز الآخر.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٢

📖 **١٩٤-** إكمال وصية يعنى فعل ما قد أمرنا أن نفعله، أما الفضيلة فهي أن نفعله بالطريقة التي تتوافق مع الحق.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٢

📖 **١٩٥-** كل الثروات المادية متماثلة، ولكن تجمع بطرق مختلفة كثيرة، بالمثل الفضيلة واحدة، ولكن متعددة الأوجه في تطبيقها.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٢

📖 **١٩٦-** إذا قام إنسان ما بعمل عرض للحكمة، وبدلا من تطبيقها يتكلم عنها بإسهاب، فهو يقتني ثروة ذائفة، وتعبه «يذهب الى بيوت الغرباء» {أم ٥:١٠ س}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٢

📖 **١٩٧-** لقد قيل إن الذهب يحكم كل شيء، ولكن الأشياء الروحية تحكم بنعمة الله.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٢

📖 **٢-** رغبة في إظهار أن تتميم كل وصية {كأجير} هو واجب، بينما البنوة هبة أعطيت للبشر من خلال دمه، قال الرب: «متي فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا: إننا عبيد بطالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا» {لو١٧:١٠}. وهكذا فإن ملكوت السماوات ليس مكافأة على أعمال، ولكن هبة من النعمة، أعدت بواسطة السيد لخدامه الأمناء.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٣

📖 **٣-** العبد لا يطالب بحريته كمكافأة، ولكنه يوفي ما عليه، كمن عليه ذنب، وهو يأخذ الحرية كهبة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٣

٤ـ «المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب» {١كو ١٥: ٣}، ولهؤلاء الذين يخدمونه حسنا يعطى الحرية «نعما لك أيها العبد الصالح والأمين» يقول: «كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير أدخل الى فرح سيدك» {مت٢٥:٢١}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٣

٥ـ من يعتمد على المعرفة النظرية لوحدها، فليس خادما أمينا بعد، الخادم الأمين هو من يظهر إيمانه بالمسيح، من خلال طاعته لوصاياه.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٣

٦ـ من يكرم الرب يفعل ما يوصي به الرب، وعندما يخطئ، أو أن يكون غير مطيع، يقبل بصبر ما يأتي عليه كشيء يستحقه.

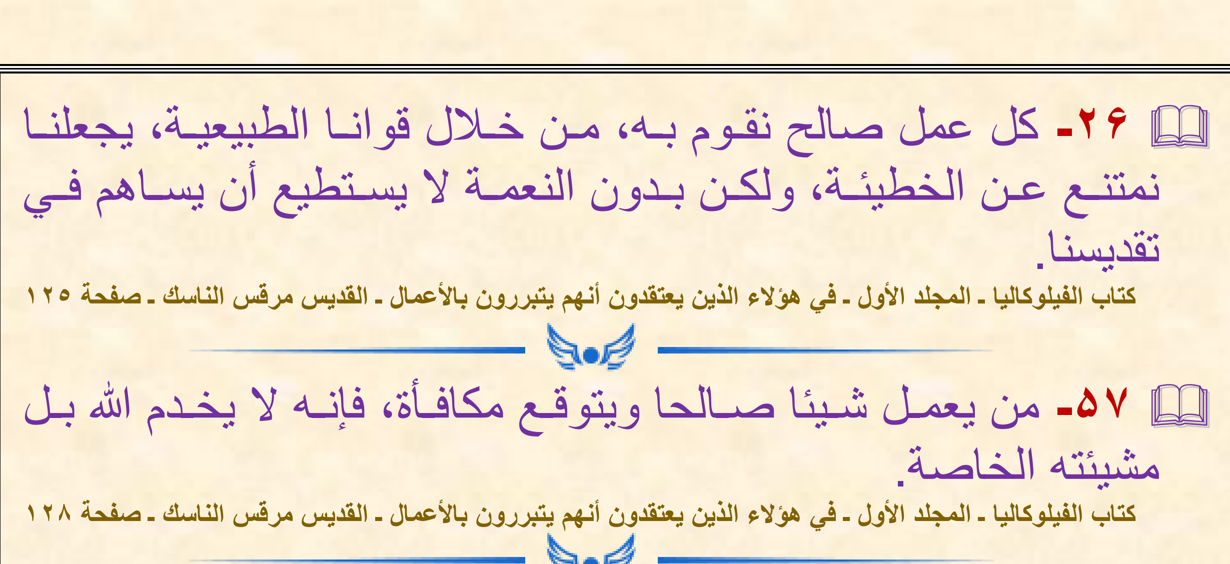
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٣

٢٢ـ عندما يقول الوحي «يجازي كل واحد حسب عمله» {مت ١٦: ٢٧}، لا تتخيل أن الأعمال في حد ذاتها تجعله مستحقا للجحيم، أو الملكوت. على العكس، المسيح يكافئ كل إنسان بحسب ما كانت الأعمال تمت، بإيمان أم بدون إيمان فيه هو نفسه {أي في المسيح}؛ وهو ليس تاجرا مرتبطا بعقد contract ولكنه الله خالقنا وفادينا.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٥

٢٣ـ نحن الذين أخذنا المعمودية نقدم أعمال صالحة، ليس على سبيل رد الثمن، ولكن لكي نحفظ النقاوة التي أعطيت لنا.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٥



📖 **٢٦-** كل عمل صالح نقوم بـه، مـن خـلال قوانـا الطبيعيـة، يجعلنـا نمتنـع عـن الخطيئـة، ولكـن بـدون النعمـة لا يسـتطيع أن يسـاهم فـي تقديسنا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٥

📖 **٥٧-** من يعمـل شـيئا صـالحا ويتوقـع مكافـأة، فإنـه لا يخـدم الله بـل مشيئته الخاصة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٨

📖 **٥٩-** هناك من يدعون بإننا لا نسـتطيع عمـل الصـلاح إلا إذا أخـذنا فعلياَ نعمة الروح {القدس}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٨

📖 **٦٠-** هؤلاء هم الذين يميلون دائمـا بإختيـارهم الـى اللـذات الحسـية، مبتعدين عن عمل ما في مقدورهم، على أساس إنه ينقصهم المعونة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

📖 **٦١-** النعمة قد أعطيت بطريقة سرية، لهؤلاء الذين قد إعتمدوا فـي المسيح، وتصبح نشطة فيهم الى درجة إنهم يحفظون الوصايا بنشاط. النعمة لا تتوقف أبدا عن مساعدتنا سريا، ولكن فعل الصـلاح - علـى قدر ما يوجد فينا من قوة - يعتمد علينا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

📖 **٦٢-** توقظ النعمة مبدئيا الضمير بطريقة إلهية. وبهذه الكيفيـة حتـى الخطأة يأتون الي التوبة، وبهذا يطيعون مشيئة الله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

📖 **٦٣-** ويمكن أيضا أن تكون النعمة الإلهية مختفية في نصيحة تعطى من جارك. وأحيانا تصاحب فهمنا أيضا أثناء القراءة، وكنتيجـة لـذلك

فهي تعلم فكرنا الحق عن نفسها. فإذا، حينئذ، لم نخفي الوزنة التي إعطيت لنا بهذه الطريقة، فسوف ندخل بنشاط الى فرح الرب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

📖 ٦٤- من يبحث عن قوى الروح {القدس} قبل أن يحفظ الوصايا بنشاط، يشبه من يبيع نفسه للعبودية، وهو الذي تم شراؤه حالا، ويسأل أن يعطي حريته، بينما لايزال يحتفظ بثمن شراوه.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

📖 ٩١- معرفة كل إنسان، تعود في الأصل الى المدى الذي فيه يتثبت بواسطة الوداعة، والتواضع، والحب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٢

📖 ٩٢- كل إنسان اعتمد بالطقس الأرثوذكسي، قد أخذ بطريقة سرية ملء النعمة، ولكنه يعي هذه النعمة فقط، طبقا لمدى حفظه للوصايا بنشاط.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٢

📖 ٩٣- أذا أكملنا وصايا المسيح طبقا لضميرنا، فإننا ننتعش روحيا، الى المدى الذي نعاني فيه في قلبنا {الأم الحب}. ولكن كل شيء يأتي إلينا في الوقت المناسب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٢

📖 ٩٨- من يستطيع أن يحفظ {نفسه} بدون جهد السهر، وأن يكون طويل الأناة، والصلاة، فمن الواضح إن له شركة مع الروح القدس.

📖 ولكن من يشعر بالتعب عندما يقوم بهذه الأشياء، ولازال يكابدها طواعية، فسيأخذ أيضا المعونة سريعا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٢

📖 ٩٩- توجد وصية أعلى من أخرى، وكنتيجة لذلك يوجد مستوى إيماني مؤسس بثبات أكثر من آخر.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٢



📖 **١٠٩ـ** واحد فقط هو البار في الفعل، والقول، والفكر.

📖 ولكن كثيرون تبرروا بالأيمان، والنعمة، والتوبة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٣

📖 **٢١٩ـ** مخافة الله، والتوبيخ، ينتجان الندامة.

📖 والصعاب، والسهر، يجعلانا أصدقاء حميمين للمعاناة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤٥

{١٤}

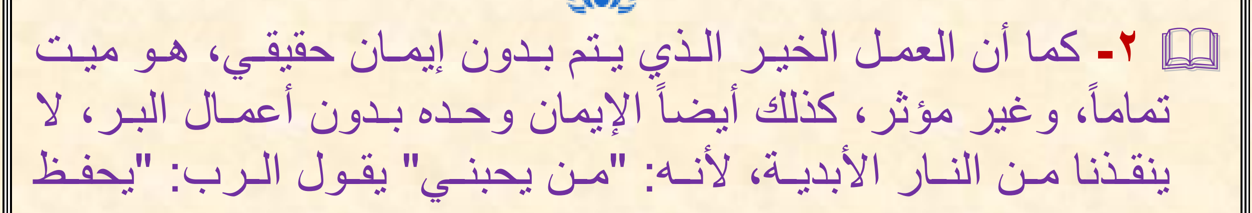
ثيئودورس الناسك العظيم

📖 **١ـ** حيث إننا بنعمة الله قد جحدنا الشيطان وأعماله، وقد تعهدنا بالولاء للمسيح، في كل من معموديتنا، والآن ثانية من خلال نذرنا كرهبان، لنحفظ وصياه، ليس فقط كما يتطلب منا نذرنا المزدوج ذلك، ولكنه أيضاً واجبنا، لأنه منذ خلقتنا في الأصل بواسطة الله "حسناً جداً" {تك ١ :٣١}، فنحن مدينون لله بأن نكون كذلك.

📖 بالرغم من أن الخطيئة قد دخلت فينا من خلال إهمالنا، وأنتجت فينا ما هو مضاد للطبيعة، فقد تم إصلاحنا من خلال رحمة الله العظيمة، وتجددنا بآلامه ذاك المنزه عن الألم "لقد اشترينا بثمن" {قارن١كو ٦: ٢٠}، أي بدم المسيح، وحُرِّرنا من الخطيئة الجدية القديمة.

📖 فعندئذ إذاً مع أصبحنا أبراراً، فهذا ليس بشيءً عظيماً، ولكن أن نسقط من البر فهذا شيئاً يُرثى له، ويستحق الإدانة.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٢



📖 **٢ـ** كما أن العمل الخير الذي يتم بدون إيمان حقيقي، هو ميت تماماً، وغير مؤثر، كذلك أيضاً الإيمان وحده بدون أعمال البر، لا ينقذنا من النار الأبدية، لأنه: "من يحبني" يقول الرب: "يحفظ

وصـــاياي" {ق.م يــو١٤ ١٥، ٢٣}. حينئـذ إذا أحببنــا الـرب، وآمنــا بــه، فسوف نجهد أنفسنا لكي نتمم وصاياه، حتى نمنح الحياة الأبدية.

ولكن كيف يمكن أن نسمى أنفسنا مؤمنين، إذا أهملنا حفظ أوامره، التي تُطيعها كل الخليقة، وإذا كنا، بالرغم من إننا قد كُرّمنا علـى كـل الخليقة، فنحن المخلوقات الوحيدة التي لا تطيع الخالق. ونُظهر أنفسنا عاقين للمحسن إلينا؟

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٢

٣ـ عندما نحفظ وصايا المسيح، فنحن لا نفيده بـأي طريقـة، حيـث أنه لا يحتاج شيء، وهو المانح لكل بركـة، إنهـا أنفسـنا التـي ستفاد، حيـث أننـا نـربح لأنفسـنا الحيـاة الأبديـة، والتمتـع بالبركـات التـي لا توصف.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٢

٤ـ إذا كان أي أحد مهما كان يقاومنـا، فـي تتمـيم وصـايا الله، حتـى ولــو كـــان أبينـــا، أو أمنـــا، فيجـــب علينـــا أن نعاملـــه بالكراهيـــة، والاشمئزاز، {لأعماله وأقواله}، لئلا يقال لنـا: «من يحـب أبـاً، أو أمـاً، أكثر منى فلا يستحقني» {ق.م. مت ١٠:٣٧}.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٢

٥ـ لنلزم أنفسنا بكل قوتنا لكي نكمل وصايا الرب، لئلا نُمْسَك نحـن أنفسنا بالأربطة الغير قابله للكسـر التـي لرغباتنـا الشـريرة، واللـذات المفسدة للنفس {ق.م. أم ٥: ٢٢}.

وتنطبـق علينـا أيضـا الجملـة التـي قيلـت علـى شـجرة التـين الغيـر مثمـرة: "اقطعهـا لمـاذا تبطـل الأرض" {ق.م. لـو١٣ :٧}. مثلمـا قـال المسيح: "كل شجرة لا تصنع ثمراً تقطع وتلقى في النار" {مت٣ ـ ١٠}

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٢ ـ ١٣



📖 **٢٣-** عندما يكرس ذكائنا نفسه بطريقة لا تلين للتأمل في الفضائل، ورغبتنا مركزة فقط على هذا، وعلى المسيح الذي يمنحه، بينما تُسلح قوى الإثارة في نفسنا ذاتها ضد هذه الشياطين، حينئذ فإن قدراتنا تعمل طبقاً للطبيعة.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٦

📖 **٢٤-** كل نفس على صورة الله تكون ثلاثية، طبقاً لغريغوريوس الثيئولوغوس. الفضيلة عندما تتأسس في الذكاء، يسميها الإفراز الفهم، والحكمة. وعندما تكون في قوى الإثارة، يسميها الشجاعة والصبر، وضبط النفس. وعندما تكون في قدرة الرغبة، يسميها الحب، كبح النفس، وضبط النفس.

📖 العدل، أو الحكم الصواب، ينفذ من الثلاث وجهات للنفس، متيحاً لهم أن يعملوا في توافق، من خلال التمييز تحارب النفس القوات المعادية، وتدافع عن الفضيلة من خلال كبح النفس، ترى الأشياء بدون شهوة.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٦

📖 **٩٦-** من خلال الفضيلة النشطة، تُخضع الرغبة، ويُكبح جماح الغضب. ومن خلال المعرفة الروحية والتأمل، يصنع الفكر تقدمه الروحي، ولكونه سما عن الأشياء المادية، فهو يغادر نحو الله، محققاً السعادة الروحية الحقيقية.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ٣٣

📖 **٩٧-** جهادنا الأول هو هذا: أن نُخضع الشهوات، ونتغلب عليهم بالكامل. ومهمتنا الثانية هي: أن نقتني الفضائل، وألا نسمح لأنفسنا أن تكون فارغة وعاطلة.

📖 المرحلة الثالثة في الرحلة الروحية هي: أن نحفظ بحرص ثمار فضائلنا وأتعابنا. لأننا قد أُمرنا ألا نعمل بجد فقط، ولكن أن نحفظ بيقظة أيضاً {تك ٢ ١٥}.

٩٨ـ "لتكن أحقاؤكم ممنطقه وسرجكم موقدة" يقول الرب {لو :١٢: ٣٥} المنطقة الجيدة لأحقائنا- التي تمكننا من أن نكون خفيفي الحركة غير معاقين، هي: "ضبط النفس، متحداً بتواضع القلب".

أعنى بضبط النفس: "التعفف عن كل الشهوات، وسراجنا الروحي مضاء بالصلاة النقية والحب الكامل".

هؤلاء الذين أعدوا أنفسهم بهذه الطريقة، هم حقا مثل رجال ينتظرون بتوقع سيدهم. عندما يأتي ويقرع، يفتحون على الفور، وعندما يدخل مع أبيه، والروح القدس - فسوف يقيم منزله معهم {ق.م. يو ١٤: ٢٣}، مباركون هؤلاء الخدام الذين عندما يأتي سيدهم يجدهم يتصرفون بهذا الإسلوب {ق.م. لو ١٢: ٣٧}.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ٣٣

علاوة على ذلك، ينبغي التمييز بين الأنواع المختلفة للمعرفة، المعرفة هنا على الأرض هي من نوعين: طبيعية وفوق طبيعية.

الثانية يمكن أن تفهم بالرجوع إلى الأولى.

المعرفة الطبيعية هي: التي تستطيع النفس أن تقتنيها من خلال استخدام القدرات، والطاقات الطبيعية، عندما تبحث في الخَلق، وسبب الخَلق - بالطبع على قدر ما هو مستطاع لنفس مقيدة بالمادة.

لأنه عند الكلام عن الحواس: "الخيال، والفكر"، فيجب أن يقال إن قدرة الفكر قد كلت، لأنها ارتبطت واختلطت بالجسد.

وكنتيجة لذلك، لا تستطيع أن يكون لها اتصال مباشر مع الأشكال المعقولة {أي التي تدرك بالعقل.م.}، ولكن تتطلب، لكي تدركهم الخيال، الذي يستخدم بالطبيعة صور، ويشترك في الامتداد والكثافة الماديين.

بناء على ذلك، فإن الفكر ما دام في الجسد، يحتاج لأن يستخدم صوراً مادية، لكي يدرك الأشكال المعقولة.

📖 حينئذ، أي معرفة يقتنيها، فكر في مثل هذه الحالة بواسطة وسائله الطبيعية، فنحن ندعوها معرفة طبيعية.

📖 المعرفة الفوق طبيعية، من جهة أخرى هي: "التي تدخل الفكر بطريقة تسمو بوسائلها وقوتها"، بكلمة أخرى الموضوعات المعقولة التي تشكل مثل هذه المعرفة، تفوق قدرة فكر مرتبط بجسد، لذلك فإن معرفتهم تلائم طبيعياً فقط الفكر الحر من الجسد. مثل هذه المعرفة تُسكب بواسطة الله وحده، عندما يجد فكراً نقياً من كل ارتباط مادي، وملهماً بوسطة الحب الإلهي.

📖 ليست المعرفة فقط هي المقسمة بهذه الطريقة، ولكن الفضيلة أيضاً.

📖 نوع من الفضيلة لا يتجاوز الطبيعة، وهذا {النوع} يمكن أن يُدعى بطريقة مناسبة الفضيلة الطبيعية، والآخر لذي يقوى فقط بالمصدر الأولى للجمال {بالله}، هو فوق قدرتنا ووضعنا الطبيعيين، وهذا النوع من الفضيلة يجب أن يُدعى {الفضيلة التي} فوق الطبيعية.

📖 المعرفة والفضيلة مقسمتان إذاً بهذه الطريقة.

📖 الشخص الغير مستنير {يقصد بالاستنارة هنا المعمودية - م.} ربما يمتلك معرفة، وفضيلة طبيعيتين، لكن {لا يمتلك} أبداً تلك التي فوق الطبيعة. كيف يمكن له ذلك، إذا كان لا يشترك في سبب تقويتهم؟

📖 ولكن الرجل المستنير يستطيع أن يمتلك الاثنين، علاوة على ذلك، بالرغم من إنه لا يستطيع أن يقتنى الفضيلة التي فوق الطبيعة على الإطلاق، إلا اقتنى أولاً الفضيلة الطبيعية. فإنه يستطيع أن يُشارك في المعرفة الفوق طبيعية، دون يقتنى أولاً المعرفة الطبيعية.

📖 بالإضافة إلى إنه كما أن الحس والتخيل يتفوقان بشدة وأكثر نبلاً في الإنسان عنهم في الحيوانات، كذلك الفضيلة والمعرفة الطبيعيتان أكثر تفوقاً وأكثر نبلاً في الشخص الذي استنار عن الشخص الغير مستنير، بالرغم من أن الاثنان ممكن أن يمتلكانهم.

📖 أيضا، هذا الجانب من المعرفة الطبيعية، الذي يهتم بالفضائل وبالعادات المضادة لها، يبدوا أنه {يتكون} من نوعين:

📖 نوع معرفة نظرية، عندما يتأمل إنسان في هذه المسائل، ولكن ينقصه الخبرة فيها، وهو في بعض الأحيان غير متأكد مما يقوله.

📖 النوع الآخر عملي: ويمكن أن نقول حي،

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - الثيورتيكون {النظرية} - صفحة ٣٧

📖 حيث أن المعرفة موضع التساؤل تتثبت بالخبرة، وبذلك يكون واضحاً وجديراً بالثقة، ومن المستحيل أن يكون غير مؤكداً، أو مشكوكاً فيه.

📖 نظرا لكل هذا، يبدو أن هناك أربع معوقات تعوق الفكر في اكتسابه للفضيلة. الأول: هناك انشغال الذهن، الذي هو التأثير المتشرب للعادات، الذي يعمل ضد الفضيلة، وهذا عندما يكون فعال لمدة طويلة، يمارس ضغطاً يجر الفكر إلى أسفل، إلى الأشياء الدنيوية.

📖 ثانياً: هناك فعل الحواس، الذي يُثار بواسطة الجمال المحسوس، ويسحب الفكر وراءه.

📖 ثالثاً: هناك تبلد للطاقة العقلية، يرجع إلى ارتباط الفكر بالجسد، الفكر الذي لنفس تلبس جسداً لا ينتمي إلى الشيء العقلي.

📖 بنفس الطريقة التي للبصر لشيء مرئي، أو بصفة عامة التي للحواس للأشياء المحسوسة، الفكر الغير مادي يدرك الأشياء العقلية بأكثر فاعلية من إدراك البصر للأشياء المرئية.

📖 ولكن كما يتصور البصر الذي به عيب صوره للأشياء الطبيعية بشيء ما من الغموض وعدم الوضوح، كذلك يفعل فكرنا، عندما يكون له جسدا، في إدراك الأشياء العقلية.

📖 وحيث إنه لا يستطيع الآن أن يميز بوضوح الجمالات العقلية، فلا يستطيع أن يطمح إليها أيضاً. لأن المرء يكون لديه اشتياق لشيء ما فقط، بالدرجة التي يمتلك بها المرء معرفته به، ومن ثم الفكر - حيث

أنه لا يستطيع أن يُساعد لكونه مسحوباً لما يبدو جميلاً، سواء كان ذلك صحيحاً أم لا، يُسحب إلى أسفل إلى الجمال الحسي، لأن هذا يصنع به الآن انطباعاً أوضح عليه.

📖 رابع المعوقات التي تعترض الفكر في اكتسابه للفضيلة: هو التأثير المفسد الذي للشياطين النجسين المعادين. إنه من المستحيل أن نذكر كل الفخاخ المتنوعة التي ينصبونها في المسار الروحي، مستعملين الحواس، والعقل، والفكر.

📖 في الواقع كل ما هو موجود، إذا لم يَحمى من يحمل الخروف الضائع على كتفيه {ق.م. لو ١٥: ٥} في عنايته اللامتناهية هؤلاء الذين يتجهون إليه، فلن تفلت {من فخاخ الشياطين} نفس واحدة.

📖 ثلاثة أشياء مطلوبة من اجل التغلب على هذه العقبات.

📖 الشيء الأول والأكثر أهمية: هو أن ننظر إلى الله بكل نُفسنا، لنسأل عن العون من يده، وأن نضع كل ثقتنا فيه، عارفين تماما أنه بدون مساعدته فسوف نُجر حتماً بعيدا عنه.

📖 الثاني - الذي أعتبره كتمهيد للأول: هو أن نغذى باستمرار الفكر بالمعرفة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - الثيورتيكون {النظرية} - صفحة ٣٨

📖 أقصد بالمعرفة تلك التي لكل الأشياء المخلوقة، والمحسوسة والمعقولة، كل منهما في حد ذاته، مع الإشارة إلى مصدره الأولى، حيث أنهم مشتقون منه وينتسبون إليه. وبالإضافة إلى ذلك التأمل، على قدر الإمكان، في علة {يقصد الله} كل الأشياء المخلوقة، من خلال الصفات التي تخصه، الاهتمام بطبيعة الأشياء المخلوقة له تأثير مطهر جداً.

📖 إنه يحررنا من الارتباط الشهواني بهم، ومن الانخداع بهم، وهو الأكثر كي في الوسائل التي تُنهض نفسنا إلى مصدر الكل {يقصد الله}.

لأن كل جمال معجزة، وعظمة عكس ما هو فائق الجمال معجزي، وعظيم - تعكس بالأحرى، المصدر الذي هو فوق الجمال، المعجزة والعظمة. إذا كان العقل مشغولاً دائماً بهذه الأشياء، فكيف يمكن ألا يشتاق إلى الصلاح السماوي؟ إذا كان من الممكن أن يُسحب إلى ما هو غريب عنه، فكيف لا ينجذب بقوة أشد إلى من هو قريب له؟

📖 عندما تتشبث النفس بما هو قريب لها، فكيف تتحول عما تحبه إلى أي شيء أدنى؟ بل حتى سوف تستاء من حياتها في الجسد {ق.م. في {١:٢٣}، حيث تجدها عائق عن الوصول إلى الجميل.

📖 من خلال الفكر أثناء الحياة في المادة، ترى الجمال المعقول {التي يُدرك بالعقل.م.} ولكن بشكل خافت، ومع ذلك فإن البركات العقلية قوية، حتى أن انبثاق طفيف من ذلك الجمال المتدفق، أو رؤية صحيفة له، يمكن أن ترغم الفكر على التحليق، إلى ما هو أبعد من كل ما هو خارج المملكة العقلية، وتطمح إلى ذلك فقط، غير تاركة ذاتها أن تسقط أبداً من البهجة التي تمنحها، ما يأتي من محن عليها.

📖 الطريقة الثالثة التي يمكن أن نتغلب بواسطتها على العوائق المذكورة: هي أن نكبح ثورات شريكنا الجسد.

📖 لأنه بخلاف ذلك، لا يمكن أن نصل إلى رؤية واضحة وجلية للعالم العقلي، {إذ} الجسد أُميتْ، أو بالأحرى صلب مع المسيح، من خلال الصوم، السهر، النوم على الأرض، ارتداء الملابس الخشنة، وما هو ضروري فقط، ومن خلال المعاناة، والتعب.

📖 بهذه الطريقة يتصفى وينتقى، يصبح لطيفاً ومهذباً، ويتبع بسهولة وبدون مقاومة إرشاد الفكر، ويرتفع إلى أعلى معه. بدون هذه الإماتات فكل مجهوداتنا باطلة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - الثيورتيكون {النظرية} - صفحة ٣٩

📖 عندما تتأسس هذه الطرق الثلاث المقدسة بانسجام متبادل، فإنهن يلدن في جوقة الفضائل المباركة، لأن هؤلاء الذين يُزينونهم خاليين من كل أثر للخطيئة، ومباركين بكل فضيلة، إلا أن ترك الثروة المادية، أو الشهرة، يمكن أن يُحزن الذكاء، لأن النفس التي تظل مرتبطة بمثل هذه الأشياء، {فـ} تُطعن بأوجاع كثيرة.

📖 بالرغم من أنني قد أكدت بشدة على أن النفس المرتبطة بالثروة والمديح، لا تستطيع أن ترتفع إلى أعلى، فبالتساوي أقول أن النفس التي تتخلص من كل ارتباط بهذه الأشياء مرة واحدة، فإنها قد مارست هذه الثلاثية من الطرق بشكل كافي لأن تصبح معتادة عليها.

📖 لأن النفس إذا اقتنعت بأن الجمال الذي هو فوق نطاق كل شيء، هو الذي يعتبر الجمال الحقيقي فقط، بينما في الأشياء الأخرى، فالأكثر جمالا هو الأكثر شبهاً بالجمال الأسمى، وهلم جرًا إلى أسفل المقياس، فكيف تستطيب الفضة، أو الذهب، أو الشهرة، أو أي شيء آخر منحط؟

📖 حتى أكثر ما يُعطلنا - أعنى همومنا، وانشغالاتنا، لا يستثنى من القاعدة. لأنه أية هموم - يمكن أن تكون لإنسان، إذا لم يكن مرتبطاً لأي شيء دنيوي، أو متورطا فيه؟

📖 غيوم الهموم تأتى إذا جاز التعبير، من أدخنة الشهوات الرئيسية - التساهل مع النفس - الطمع - محبة المديح - متى تحررت من هذه فسوف تكون أيضاً قد طرحت عنك همومك.

📖 الحكم الأخلاقي السليم له نفس التأثير كالحكمة، وهو العامل الأكثر قوة في سحبنا إلى أعلى، ومن ثم فله أيضاً دوراً يلعبه. لأن معرفة الفضائل تتطلب التمييز، الأكثر تدقيقا بين الخير والشر، وهذا يتطلب حُكماً أخلاقياً سليماً.

📖 الخبرة والجهاد مع النفس، تعلمنا كيفية استخدام مثل هذا الحكم في حربنا. الخوف أيضاً يدخل في هذا النقاش، لأنه كلما زاد اشتياقنا لله، كلما نما أكثر خوفنا. وكلما كبر أملنا في أن نبلغ إلى الله، كلما كبر خوفنا منه. وإذا كنا مجروحين بالحب الإلهي، فإن لسع الخوف يفوق ألف تهديد بالعقاب. لأنه كما إن لا شيء مبارك أكثر من البلوغ إلى الله، كذلك لا شيء مرعب أكثر من الخوف من خسارته.

📖 نأتي إلى نقطة أخرى: كل شيء يمكن أن يُفهم من خلال هدفه.

📖 إن هذا هو الذي يحد تقسيم أي شيء إلى أجزائه الأساسية، بالإضافة إلى العلاقات التبادلية بين هذه الأجزاء الآن الهدف من حياتنا هو القداسة، أو الذي هو نفس الشيء ملكوت السماوات، أو الله. هذا فقط لكي نعاين الثالوث الفائق في ملكوته.

📖 ولكن أيضاً لكي نتلقى تدفق القداسة، وإن جاز التعبير، أن نعاني التأله {المقصود هنا عدم تحمل محدودية الإنسان، كل هذا الفيض من النعمة ـ م}

📖 لأنه بواسطة هذا التدفق {من النعمة} يكمل ويزيد ما هو ناقص، وغير كامل فينا، والتزود بما هو مطلوب بمثل هذا التدفق للقداسة، هو الطعام للكائنات الروحية.

📖 نوعاً من الدورة الأبدية، التي تنتهي حيث تبدأ، لأنه كلما عُظم إدراكنا العقلي، كلما اشتقنا أكثر للإدراك، وكلما عظم اشتياقنا كلما عظمت متعتنا، وكلما عظمت متعتنا، كلما تحقق أكثر إدراكنا، وهكذا الحركات الساكنة، أو الثبات الساكن، يبدأ ثانية. مثل هذا إذاً هو هدفنا على قدر ما نستطيع أن نفهمه.

📖 يجب الآن أن نرى كيف يمكن أن نحققه. حياة في هذا العالم للأنفس الذكية، التي هي ككائنات عاقلة، أقل فقط بقليل عن العقول لملائكية، هي {حياة} جهاد. والحياة في الجسد هي مسابقة مفتوحة، وجائزة

النصر هي الحالة تي قد وصفناها، منحة تليق بكل من جودة الله، وعدله بعدله، لأن هذه البركات لم تتحقق بواسطة عرقنا، {بل} بجودته، لأن كرمه الغير محدود يفوق كل تعبنا، خاصة أن قدرتنا عمل الخير نفسها، والعمل الفعلي لها، هم أنفسهم عطية من الله. هي إذاً طبيعة مسابقتنا في هذا العالم؟

م الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - الثيورتيكون {النظرية} - صفحة ٤٤

{٢٥}

القديس مكسيموس المعترف

📖 **٢-** اللاهوي يلد الحب. الرجاء في الله يلد اللاهوي. والصبر، والتعفف، يلدان الرجاء في الله. وذينك بدورهما نتاج ضبط نفس كامل، الذي هو نفسه ينبع من مخافة الله.

📖 مخافة الله هي نتيجة الإيمان بالله.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الأولي - صفحة ٥٠

📖 **٣-** إذا كان عندك إيمان بالرب فسوف تخاف من العقاب.

📖 وهذا الخوف سوف يقودك لأن تضبط الشهوات.

📖 ومتى ضبطت الشهوات فسوف تقبل الحزن بصبر.

📖 ومن خلال هذا القبول {للأحزان}، سوف تقتنى الرجاء في الله.

📖 الرجاء في الله سوف يفصل الفكر عن أي ارتباطات دنيوية.

📖 وعندما ينفصل الفكر بهذه الطريقة، فسوف يقتنى الحب لله.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الأولي - صفحة ٥٠

📖 **٢٩-** لا تقل إنك هيكل الله يكتب أرميا {ق.م. أر ٧ :٤}. ولا يجب أن تقول إن الإيمان وحده بربنا يسوع المسيح يمكن أن يخلصك، لأن هذا مستحيل، إلا إذا اقتنيت أيضاً صحبة الله، من خلال أعمالك.

📖 أما بالنسبة للإيمان في ذاته، فإن: "الشياطين يؤمنون ويقشعرون" {يع ٢ :١٩}

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الأولي ـ صفحة ٥٣

📖 **٧٩ـ** إعطاء الصدقة يشفى قوة الإثارة في النفس.

📖 الصوم يُذبل الرغبات الحسية.

📖 الصلاة تطهر الفكر، وتُعدّه للتأمل في الكائنات المخلوقة.

📖 لأن الرب أعطانا الوصايا التي تتوافق مع قوى النفس.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الأولي ـ صفحة ٥٩

📖 **٩٢ـ** من ينجح في اقتناء الفضائل، ويغتني بالمعرفة الروحية، يرى الأشياء في طبيعتها الحقيقية بوضوح. وبالتالي فإنه يفعل ويتكلم فيما يتعلق بكل الأشياء بالأسلوب المناسب، ولا يضل أبداً. لأنه طبقا لطريقة استخدامنا للأشياء، سواء بطريقة صحيحة أو بطريقة خاطئة، نصبح صالحين أو أردياء.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الأولي ـ صفحة ٦٠

📖 **٢٤ـ** كل أحاديث ربنا، تحتوي على هذه الأربع عناصر: "الوصايا ـ التعاليم ـ التهديدات ـ والوعود".

📖 بمساعدة هذه {الأربع}، نقبل بصبر كل أنواع المشقات، مثل الصوم، السهر، النوم على الأرض، التعب، والعناء في أعمال الخدمة، الإهانات، العار، التعذيب، الموت، وهكذا. «بمساعدة كلمات شفتيك» يقول المرتل، «أنا تحفظت من طرق المعتنف» {مز ١٧: ٤ س}.

[77] الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثانية ـ صفحة ٦٦

📖 **٢٥ـ** مكافأة ضبط النفس هي اللاهوي.

📖 ومكافأة الإيمان المعرفة الروحية.

📖 اللاهوي يلد الإفراز، والمعرفة الروحية تلد محبة الله.

77 الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٦

📖 **٢٨-** من يجمع بين ممارسة الفضائل، والمعرفة الروحية، هو رجل القوة. لأنه بالأولى: يُذبل رغباته، ويُروض الإثارة {الغضبية}.

📖 وبالثانية: يُعطى أجنحة لفكره، ويخرج من ذاته إلى الله.

77 الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٧

📖 **٢٦-** عندما يمارس الفكر الفضائل بطريقة صحيحة، يتقدم في الفهم الأخلاقي. وعندما يمارس التأمل، يتقدم في المعرفة الروحية.

📖 الأولى: تقود المتسابق الروحي للتمييز بين الفضيلة والرزيلة.

📖 والثانية: تقود المشارك إلى الصفات الداخلية للأشياء المعنوية، والأشياء المادية. وفى النهاية، يُمنح الفكر نعمة اللاهوت، عندما يُحمل على أجنحة الحب، الذي يلي تلك المرحلتين السابقتين، إنه يُرفع إلى الله، وبمساعدة الروح القدس يُدرك - على قدر ما هو مستطاع للفكر البشرى - صفات الله.

77 الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٦

📖 **٥٤-** راعى المواشي يمثل الإنسان الذي يمارس الفضيلة، لأن الإنجازات الأخلاقية يمكن أن تتمثل بواسطة القطيع. لذلك قال يعقوب: "عبيدك أهل مواش" {تك ٤٦ ٣٤}.

📖 راعى الغنم يمثل العارف {روحياً}، لأن الخروف يمثل الأفكار التي ترعى بواسطة العقل، في جبال التأمل. هذا الذي لأجله "كل راعى غنم رجس للمصريين" {تك ٤٦: ٣٤} أي للقوى الشيطانية.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٧٢

📖 **٥٧-** هناك فضائل للجسد، وفضائل للنفس:

📖 تلك التي للجسد تشتمل على الصيام - السهر - النوم على الأرض - خدمة احتياجات الناس، العمل بيدي المرء حتى لا يكون حملاً {على أحد}، أو من أجل أن يعطى الآخرين {ق.م. ١ تس ٢: ٩، أف ٤: ٢٨}.

📖 وتلك التي للنفس: تشتمل على الحب ـ طول الأناة ـ الوداعة ـ ضبط النفس ـ والصلاة {ق.م. غل ٥ :٢٢}.

📖 وإذا وجدنا أننا لا نستطيع أن نمارس الفضائل الجسدية المذكورة أعلاه، كنتيجة لبعض المعوقات، أو لبعض الظروف الجسدية، مثل المرض، أو ما شابه ذلك. فالله يغفر لنا، لأنه يعرف الأسباب. ولكن إذا فشلنا في أن نمارس فضائل النفس، فلن يكون لنا عذراً واحداً، لأنه في مقدورنا دائماً أن نمارسهم.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثانية ـ صفحة ٧٢

📖 **٧٩ـ** الرذائل الرئيسية {هي}: الغباء ـ الجبن ـ الفجور ـ الظلم. {و} هي {صورة} الإنسان "الترابي".

📖 الفضائل الرئيسية {هي}: الذكاء ـ الشجاعة ـ كبح النفس ـ العدل. {و} هي صورة "الإنسان السماوي". وكما حملنا صورة الترابي، فدعنا نحمل صورة السماوي {ق.م. ١كو١٥: ٤٩}

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثانية ـ صفحة ٧٦

📖 **٩٥ـ** في المزمور ٢٣، الـ «مراعى الخضر» تمثل ممارسة الفضائل، «مياه الراحة» {تمثل} المعرفة الروحية للأشياء المخلوقة.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثانية ـ صفحة ٧٩

📖 **٢ـ** "هيأت مائدة قدامى ... " {مز ٢٣: ٥}. في هذه الفقرة، «مائدة» تعنى ممارسة الفضائل، لأن هذه قد أُعِدَتْ لنا بواسطة المسيح، لكي نستخدمها تجاه مضايقينا.

📖 «الدهن» الذي يمسح الفكر، هو التأمل في الأشياء المخلوقة.

📖 «كأس» الله هي: "معرفة الله".

📖 «رحمته» هو: "كلمته الإلهي".

📖 لأن الكلمة من خلال تجسده يتبعنا كل الأيام، حتى يُدرك كل هؤلاء الذين سيخلصون، كما فعل في حالة بولس {ق.م. في ٣ :١٢}.

الـ «بيت» هو الملكوت الذي سيسكن فيه كل القديسون إلى "مدى الأيام" تعنى الحياة الأبدية.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثالثة ـ صفحة ٨٠

٦٦- معرفة الأشياء المقدسة {الوصايا} الخالية من الشهوة {القلبية لاقتنائها}، لا تقنع الفكر أن يحتقر الأشياء المادية بالكامل، إنها تشبه الفكر الخالي من الشهوة في شيء حسي.

لذلك من الممكن أن نجد كثير من الناس، الذين لهم كثير من المعرفة، ولازالوا يتمرغون في شهوات الجسد مثل الخنازير في الحمأة، من خلال الاجتهاد ينظفون أنفسهم بصورة مؤقتة، ويحرزون المعرفة، ولكن بعدئذ يصبحون مهملين بهذه الطريقة {بسبب عدم وجود شهوة الصلاح داخلهم، وبذلك} يشبهون شاول: لأن شاول قد منح المملكة، وتصرف بشكل غير لائق، وطرد بغضب شديد {ق.م. ١صم ١٠: ١٥}.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثالثة ـ صفحة ٩١



٤٦- كما الصحة والمرض لجسم الشيء الحي، والنور والظلمة للعين، كذلك الفضيلة والرزيلة للنفس، والمعرفة والجهل للفكر

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الرابعة ـ صفحة ١٠٢

٤٧- الوصايا، التعاليم، الإيمان: هذه هي الثلاثة مواضيع التي لفلسفة المسيحي:

الوصايا: تُبعد الفكر عن الشهوات.

التعاليم: تقوده إلى المعرفة الروحية التي للكائنات المخلوقة.

والإيمان: إلى التأمل في الثالوث القدوس.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الرابعة ـ صفحة ١٠٣



📖 **١٦-** من يؤمن يخاف، ومن يخاف هو متضع، ومن هو متضع يصبح مهذباً، ويجعل الدوافع التي للإثارة والرغبات التي هي مضادة للطبيعة خاملة. والشخص المهذب يحفظ الوصايا، ومن يحفظ الوصايا قد تنقى، ومن قد تنقى قد استنار، ومن قد استنار قد أصبح صديق الختن الإلهي والكلمة في مقدس الإسرار.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١١٣

📖 **٢٠-** من يتبع الطريق الروحي من أجل التباهي، ويفشل في أن تحقيقه يجب ألا يحسد جاره، أو يصبح مهموماً، بل بالعكس، كما أوصيَّ، ليقوم بالاستعداد للسبت في مكان ما مجاور، من خلال التدرب على الفضائل، وبالعمل بجد مع جسده، سوف يُعد نفسه لهذه المعرفة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١١٥

📖 **٢١-** هؤلاء الذين يشتاقون حقاً وبإخلاص لفهم الكائنات المخلوقة، وليس لهم فكر التباهي بالنفس، سوف يجدوا أنهم قد منحوا بصيرة واضحة في مثل هذه الكائنات. وهذا أيضاً إنه من خلال هذه البصيرة، يُحرزون المعرفة التي يسعون إليها في أكثر أشكالها دقه.

📖 لمثل هؤلاء الناس يقول الناموس: "ستأتي وترث مدن كبيرة وجيدة، ومنازلاً لم تبنيها، مملوءة بأشياء جيدة، وأبار عميقة لم تحفرها، وكروم وأشجار زيتون لم تغرسها" {ق.م. تث ٦: ١٠ :١١}. لان من لا يعيش لنفسه، ولكن لأجل الله {ق.م. ٢كو ٥: ١٥} هو مملوء بكل مواهب الروح القدس، التي لم تكن تظهر فيه قبلاً، بسبب الاضطراب الناتج عن الشهوات.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١١٥

📖 **٣٣-** بحسب الإنجيل: الشخص الذي هو ببساطة رجل الإيمان، يمكن أن ينقل جبل خطاياه، من خلال التدرب على الفضائل {ق.م.

{مت ٢٠١٧}، محرراً نفسه هكذا من ارتباطه بالدوران المتواصل الذي للأشياء الحسية.

📖 وإذا كان عنده القدرة على أن يكون تلميذاً، فسيأخذ قطع من أرغفة المعرفة الروحية من أيدي الكلمة، ويُغذى آلاف من الناس {ق.م. مت ١٤: ١٩ - ٢٠}، مظهراً بفعله كيف تزايدت وتضاعفت قوة الكلمة بواسطة التدرب على الفضائل.

📖 وإذا كان عنده أيضاً القدرة على أن يكون رسولاً، فسيشفى كل مرض وعجز، إنه يخرج الشياطين {ق.م. مت ١٠: ٨؛ لو ١٠:١٧}، أي إنه يتخلص من نشاط الشهوات، إنه يشفى المريض.

📖 ومن خلال الرجاء يعيد حالة التقوى للذين فقدوها، ومن خلال تعليمه عن الدينونة يُصَلِّبْ عزيمة هؤلاء الذين لانوا بسبب الكسل.

📖 لأنه منذ ذلك الحين الذي قد أُمر فيه بأن يدوس الحيات والعقارب {لو ١٠ :١٩} فهو يحطم بداية ونهاية الخطيئة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١١٨ - ١١٩

📖 ٧٧- إخضاع الشهوات ليس كافياً لتأمين السعادة الروحية للنفس، إلا إذا اقتنت النفس أيضاً الفضائل بحفظ الوصايا.

📖 يقول الكتاب المقدس: "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم" أي: فعاليات الشهوات، ولكن: "لأن أسماءكم كتبت في السماوات" {لو ١٠:٢٠}، منقولين إلى موضع اللاهوي، بنعمة البنوة المكتسبة من خلال الفضائل.

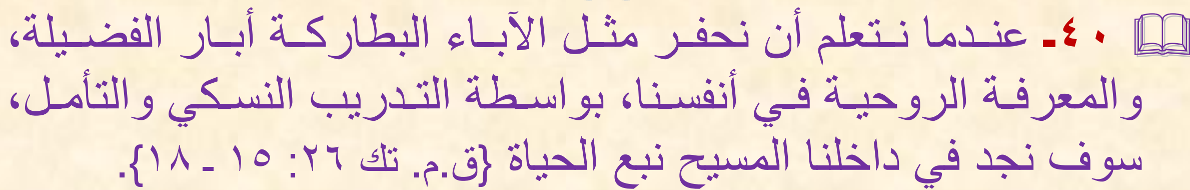
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٦

📖 ٧٨- من يمتلك المعرفة الروحية، يجب أيضاً أن يملك باستمرار الغنى المذخر في الفضيلة، المكتسبة من خلال تصرفاته.

📖 الكتاب المقدس يقول: "من له كيس" أي: المعرفة الروحية "فليأخذه"، "ومذود كذلك" أي: المخزن الذي يُغذى نفسه بحرية بالفضيلة منه. من ليس له كيس ومزود، أي المعرفة والفضيلة،

"فليبع ثوبه ويشترى سيفاً" {لو :٢٢: ٣٦}. يقصد الكتاب المقدس بهذا، فليقدم جسده طواعية للأتعاب في للفضيلة، ومن أجل سلام الله دعه يشن بحكمة حرباً على الشهوات والشياطين، أي: ليقتني مهارة التمييز بكلمة الله بين الأدنى والأعلى.

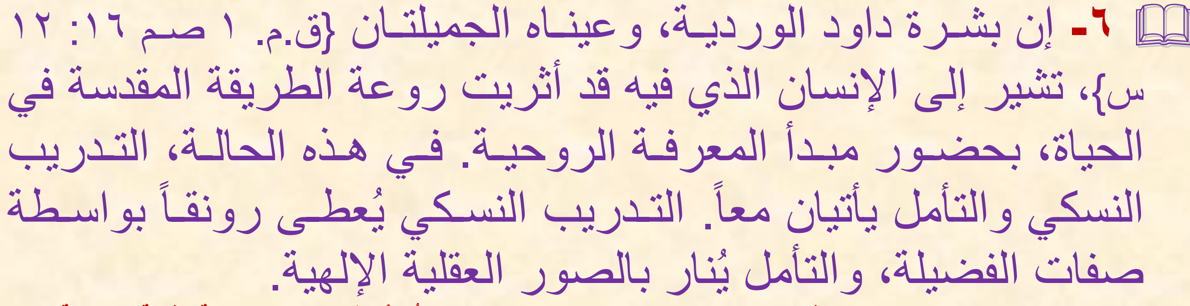
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٦



📖 **٤٠-** عندما نتعلم أن نحفر مثل الآباء البطاركة أبار الفضيلة، والمعرفة الروحية في أنفسنا، بواسطة التدريب النسكي والتأمل، سوف نجد في داخلنا المسيح نبع الحياة {ق.م. تك ٢٦: ١٥ - ١٨}.

📖 الحكمة تأمرنا بأن نشرب من هذا النبع، قائلة: "اشرب مياهاً من جبك، ومياهاً جارية من بئرك" {أم ٥: ١٥}. إذا فعلنا ذلك، فسوف نجد أن كنوز الحكمة هي حقاً بداخلنا.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الثانية - صفحة ١٤٣



📖 **٦-** إن بشرة داود الوردية، وعيناه الجميلتان {ق.م. ١ صم ١٦: ١٢ س}، تشير إلى الإنسان الذي فيه قد أثريت روعة الطريقة المقدسة في الحياة، بحضور مبدأ المعرفة الروحية. في هذه الحالة، التدريب النسكي والتأمل يأتيان معاً. التدريب النسكي يُعطى رونقاً بواسطة صفات الفضيلة، والتأمل يُنار بالصور العقلية الإلهية.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الثانية - صفحة ١٤٥

📖 **٥٨-** الرب يكون حاضراً من خلال الفضائل للإنسان، الذي يحيا حياة التدريب النسكي. ولكن يكون غائباً عن الإنسان الذي لا يبالي بالفضيلة. بالمثل: يكون حاضراً في المعرفة الأصيلة للكائنات المخلوقة، للإنسان المنهمك في حياة التأمل، ولكن يغيب عندما يحدث بعض الانحراف عن هذا.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الثانية - صفحة ١٤٦

{٢٦}

الأنبا موسي الأسود

أقوال القديس في الفضائل والرذائل

🕮 خوف الله يطرد جميع الرذائل، والضجر يطرد خوف الله.

🕮 كما يفعل السوس في الخشب، كذلك تفعل الرذيلة في النفس.

🕮 **ستة أشياء تدنس النفس والجسد:**

🕮 المشي في المدن ـ إهمال العينين بلا تحفظ – التعرف بالنساء – مصادقة الرؤساء ـ محبة الأحاديث الجسدانية – الكلام الباطل.



🕮 **أربعة يجب اقتناؤها:**

🕮 الرحمة ـ غلبة الغضب ـ طول الروح ـ التحفظ من النسيان.

🕮 **أربعة يحتاج إليها العقل كل ساعة:**

🕮 الصلاة الدائمة بسجود قلبي – محاربة الأفكار – أن تعتبر ذاتك خاطئاً – ألا تدين أحداً.

🕮 **أربعة عون للراهب الشاب:**

🕮 الهذيذ في كل ساعة في ناموس الله – مداومة السهر – النشاط في الصلاة – إلا يعتبر نفسه شيئاً.

🕮 **أربعة تؤدى إلى الزنى:**

🕮 الأكل والشرب – الشبع من النوم – البطالة واللعب – التزين بالملابس.



🕮 **أربعة مصدر ظلمة العقل:**

📖 مقت الرفيق – الازدراء به – حسده – سوء الظن به.

📖 **أربعة أمور بها يتحرك في الإنسان الغضب:**
📖 الأخذ والعطاء – إتمام الهوى – محبته في أن يعلم غيره – ظنه في نفسه انه عاقل.
كتاب بستان الرهبان ـ الأنبا موسي الأسود ـ صفحة ٧٦

📖 **أربعة تقتنى بصعوبة:**
📖 البكاء – تأمل الإنسان في خطاياه – جعل الموت بين عينيه – أن يقول في كل أمر "أخطأت"، "اغفر لي".
ومن يحرث ويتعب فانه يخلص بنعمة ربنا يسوع المسيح.
كتاب بستان الرهبان ـ الأنبا موسي الأسود ـ صفحة ٧٧

{٢٧}

كتاب بستان الرهبان

📖 **قال شيخ إن أنبا بفنوتيوس قال لي:**
📖 إن جميع آبائنا الذين كانوا قبلنا. حفظوا قلوبهم.
📖 إذن فإن كان أحد من جيلنا الآن يحفظ لسانه من النميمة، وجسده من الزنى، ويديه من السرقة، وبطنه من الشره، فهو طوباوي. لأن الشره هو الذي يولد الزنى، والسرقة، وأشياء أخري كثيرة جداً.
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٩٤

📖 **وقال أنبا بلا:**
📖 "إن حفظنا الإيمان الصحيح، وحفظنا الجسد من الزنى، واللسان من النميمة، فنحن بنعمة الله مفلحون حسب هذا الزمان".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٩٤

📖 **سئل شيخ:** "كيف يقتنى الراهب الفضيلة؟".

📖 فأجاب: "إن شاء أحد إن يقتنى فضيلة ما، فإن لم يمقت أولاً الرذيلة التي تضادها فلن يستطيع إن يقتنيها.
📖 فإن شئت أن يحصل لك الحزن، فأمقت الضحك.
📖 وإن آثرت أن تقتني التواضع، فابغض الكبرياء.
📖 وإن أحببت أن تضبط إرادتك، فامقت الشر والتحريف في الأشياء.
📖 وإن شئت أن تكون عفيفاً، أمقت الفسق.
📖 وإن شئت أن تكون زاهداً في المقتنيات، فامقت حب الفضة.

📖 ومن يريد أن يسكن في البرية، فليمقت المدن.
📖 ومن يشتهى أن يكون له سكوت، فليمقت الدالة.
📖 ومن أراد أن يكون غريباً من عاداته، فليبغض التخليط.
📖 ومن يريد أن يضبط غضبه، فيبغض مشيئاته.
📖 ومن يريد أن يضبط بطنه، فليبغض اللذات، والمقام مع أهل العالم.
📖 ومن أراد عدم الحقد، فيبغض المثالب.
📖 ومن لا يقدر أن يكابد الهموم، فليسكن وحده منفرداً.
📖 ومن يريد أن يضبط لسانه، فليسد أذنيه لئلا يسمع كثيراً.
📖 ومن يريد أن يحصل على خوف الله، فليمقت راحة الجسد، ويحب الضيقة والحزن".

فعلى هذه الصفة يمكنك أن تعبد الله بإخلاص.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٣٦

📖 **وسأل أحد الأخوة شيخاً:**
📖 "كيف تقتنى النفس الفضيلة؟".
📖 فقال: "إذا هي اهتمت بزلاتها وحدها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٣٦

📖 **قال قديس:** "إن الفضيلة تريد منا أن نريدها لا غير".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٣٦

📖 **وقال مار إسحق:** "لا تظن في نفسك إنك تنال مسيرة فاضلة، أو صلاحاً لنفسك بغير تعب".

📖 **إن حد كل تدبير للسيرة يكون بهذه الثلاثة:**

📖 التوبة، والنقاوة، والكمال.

📖 ما هي التوبة؟ هي ترك الأمور المتقدمة، والحزن من أجلها.

📖 ما هي النقاوة؟ هي قلب رحيم على جميع طبائع الخليقة.

📖 وما هو الكمال؟ هو عمق الاتضاع، ورفض كل ما يرى وما لا يرى، أي ما يرى بالحواس، وما لا يرى بالهذيذ عليه".

📖 **وقال أيضاً:** "خمس فضائل بدونها جميع طبقات الناس لا يمكنهم إن يكونوا بلا لوم، وإذا حفظها الإنسان، يخلص من كل مضرة، ويصير محبوباً عند الله والناس أيضاً، وهي:

📖 "جسد عفيف ـ لسان محترس ـ زهد في الرغبة والشره ـ كتمان الشر في سائر الأشياء، بغرض مستقيم إلهي ـ وإكرام كل طبقات ومراتب الناس، فوق ما يستحق ذلك الوجه.

📖 لأن الذي يكرم الناس يكرم هو أيضاً منهم، كما يأخذ المجازاة من الله، لأن الكرامة توجب الكرامة، والازدراء يجلب ازدراء، والذي يكرم الله يكرم هو أيضاً منه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٣٦ ـ ١٣٧

📖 **وقال أخر:** "من أجل هذا لسنا نفلح، لأننا لا نعرف مقدرتنا، وليس لنا صبر في عمل نبدأ به، ولكننا نريد إن نقتني الفضائل بلا تعب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٣٧

📖 **لماذا نحب الفضائل:**

📖 "لنحب المسكنة، لنخلص من محبة الفضة".

📖 "لنحب السلامة، لننجو من البغضة.

"لنقتني الصبر، وطول الروح، لآن ذلك يحفظنا من صغر النفس".

"من له معرفة وهمة، فقد هزم الشر. لأنه مكتوب: "إن الاهتمام ملازم للرجل الحكيم، والضعيف الهمة لم يعرف بعد ما هو لخلاصه". أما الذي يقهر أعداءه، فإنه يكلل بحضرة الملك".

"لو لم تكن حرب وقتال، ما كانت فضيلة. ومن يجاهد بمعرفة، فقد نجا من الدينونة. لآن هذا هو السور الحصين".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٣٧ - ١٣٨

وقال أنبا أغاثون: "إن الشر أزاغ الناس عن معرفة الله، وفرق الناس بعضهم عن بعض، فلنبغض إذا الشر، ولنطلب السلام لبعضنا البعض، وبذلك تكمل فلسفة الفضيلة.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٤١



وقال شيخ:

"كما إن الأرض لا تثبت وحدها من غير بذار، وفلاحة، ومطر سمائي، وحراسة مما يمكن حراستها من البهائم والطيور، وسلامة من الله، مما لا يقدر الإنسان على دفعه، كالدود، والجراد، وريح السموم.



فإن كانت الأرض لا تثبت بغير تلك الأمور، فكم بالحري النفس، فإنها لا تثمر الفضائل بدون تعليم، وتعب كثير، ومعونة الهيه واحتراس من الأعداء بقدر استطاعة الإنسان، ثم تضرع إلى الله في طلب تعضيده إزاء ما تعجز قدرته عنه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٤٤



قال شيخ: "طوبى لمن أبغض الإثم وأحب البر، وخاف عقاب الجحيم، وآثر ثواب الملكوت، وقاوم إرادة الشياطين، وأطاع إرادة الله، وصلى بلا فتور، بلا طياشة".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٥٥



📖 **سأل أخ الأب ماطوس قائلاً: "قل لي كلمة"**
📖 فقال له: "أقطع عنك مماحكة {مجادلة} الأمور كلها. وابك، ونح، فقد قرب الوقت. أطلب إلى الله أن يعطيك نوحاً في قلبك، وتواضعاً في نفسك، وتأملا دائماً في خطاياك، ولا تدن آخرين.
📖 ولا تجعل لك صداقة مع صبي، ولا معرفة بامرأة، ولا صديقا ًمخالفاً {هرطوقياً}، ولا صلة بإنسان ما.
📖 اضبط بطنك، ولسانك. وان تكلم أحد بحضرتك فلا تحاججه.
📖 وإن قال لك جيد قل: "نعم"، وإن تكلم رديئاً فقل: "أنت أخبر بما تتكلم به"، ولا تمار، فهذا هو حد الخلاص".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٨



📖 **سأل أخ الأنبا مادانا: "قل لي كلمة"**
📖 فقال له الشيخ: "امضي وأسال الله أن يهب لك في قلبك نوحاً ـ واتضاعاً ـ واجعل بالك من خطاياك كل حين ـ ولا تدن أحداً.
📖 بل اجعل نفسك تحت كل الناس ـ ولا تجعل لك مرافقة مع صبي ـ ولا معرفة بامرأة ـ ولا صداقة مع هرطوقي ـ واقطع عنك الدالة ـ واحفظ لسانك ـ وامسك بطنك من الخمر قليلاً ـ ولا تكن محباً للقنية، ولا تلاجج أحداً، ولا تحارنه ـ وهذا هو الاتضاع.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٨



📖 **قال أخ:** "كما إن الكنز إذا ظهر نقص، كذلك الفضائل إذا اشتهرت، وعرفت، تبيد وتهلك".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٩



📖 **حدثوا عن رهبان المصريين:**
📖 "بأنه إذا عرف الناس سر عملهم، فما كانوا يحسبونه فضيلة، بل خطية".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٣٠



📖 **سئل شيخ:** ما معني المكتوب: "وتبصر بني بنيك؟"
📖 فقال: "إن ثمرة أتعاب القديسين هي بنو بنيهم".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩١

{٢٨}
أغناطيوس بريانتشانينوف

📖 إن حفظ وصايا الإنجيل هي دائما غاية، وجوهر الحياة الرهبانية، والعمل الرهباني، والأمر نفسه يصح اليوم. فكل مكان وظرف له دواعيه، من أجل هذه الدعوة، ومن أجل عمل المحبة هذا.

📖 ... مالك الأرض الغني، أو لَم بسخاء لأصحابه، ومعارفه، ولعدد كبير من الناس، ودعاهم جميعا إلى مائدته وذلك كي يوسع دائرة أصحابه ومعارفه. مقادير لا حدود لها من الأطعمة الروحية ذات النوعية الفائقة الوصف والتصور دفعت إلى هذه المائدة الروحية. وفي نهاية العشاء منح الضيوف بكرم وسخاء أطايب وهبات روحية.
📖 وعندما غادر الضيوف المائدة، أجال صاحب البيت نظره في أرجاء صالة العرس فلمح عند الباب حشدا من المتسولين الجائعين {متى ٢٢:١١} الذين كانوا يودون بفرح أن يشاركوا بالفتات المتساقط من هذه المائدة العظيمة.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣٣٧

📖 فأوعز السيد الكلي الرحمة إلى عبيده، أن يتوقفوا عن تنظيف المائدة، وقام ودعا المتسولين للدخول، غير آبه بالوسخ، والنتانة المتعذر اخفاؤها، بالنظر إلى عظمة صالة العرس، ثم قدم لهم بعد ذلك ما تبقى من الوليمة.

📖 فولج المتسولون إلى البهو الواسع بعجب وحياء، ومضوا إلى المائدة، ووقفوا أمامها كما اعتادوا أن يفعلوا، ثم شرع كل واحد منهم يتناول مما هو أمامه. لقد التهموا كل ما تبقى من الوليمة. وبداهة أن أحدا منهم لم يذق طبقا كاملا، أو يسمع أجواق المغنين، أو الموسيقى التي نفذت أنغامها إلى أعماق الكون، وارتفعت حتى السماء.

📖 لهذا السبب لا أحد من المتسولين، رغم أن بعضهم كانوا ممن تمتعوا بذكاء طبيعي، لا أحد استطاع أن يكون فكرة دقيقة وواضحة لنفسه عن الوليمة. فهم بعد أن سدوا جوعهم بما بقي من الوليمة، باتوا مقتنعين بأطايب المائدة، التي ذاقها الضيوف المحتفى بهم.

📖 وبعد أن أتوا على ما بقي على المائدة، انطرحوا عند قدمي رب البيت، يشكرونه على الطعام الذي لم يتناولوا، أو يروا مثله من قبل.

📖 فقال لهم: يا اخوتي، عندما كنت أعد للوليمة، لم تكونوا في خاطري. لهذا لم ينل أي منكم العشاء اللائق به. والآن لست أعطيكم الهبات التي سبق أن وزعت وفقا لحسابات سابقة.

📖 فذهل المتسولون، وبصوت واحد قالوا مخاطبين رب البيت: يا سيد، من نحن كي نأخذ هبات، ونتناول عشاء عظيما، نحن عاجزون عن رفع الشكر لك، لكونك لم تزدر أيا منا، بل قبلتنا رغم حالتنا الرثة، لقد قبلتنا بكل عيوبنا، في صالة العرس، وأنقذتنا، لأننا كنا نتضور جوعا.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٣٨

📖 وتفرق المتسولون شاكرين ومباركين رب البيت الحنون.

📖 أما هو فالتفت إلى خدامه وقال: والآن نظفوا المائدة، واغلقوا الباب. فليس هناك ضيوف بعد الآن. وكل ما كان يجب أن يقدم، قد تم تقديمه. لقد انتهى كل شيء.

📖 يا لعمق وغنى وحكمة ومعرفة الله. ما أبعد أحكامه عن الفحص، وسبله عن الاستقصاء. لأن من عرف فكر الرب، أو من صار له

مشيرا، أو من سبق فأعطاه، فيكافأ، لأن منه، وبه، وله كل شيء، له المجد إلى الأبد آمين.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣٣٩

{٢٩}

فيلوكالية الأباء الزاهدين

فصل ٤

في أن بداية كل ما تعمله في الله هي أن نحيا بموجب وصايا المخلّص والغاية أن نعود إلى النعمة الكاملة، نعمة الروح القدوس مبدأ الحياة، وقد أعطيناه منذ البدء في المعمودية الإلهية

📖 بداية كلّ ما يُعمل في الله إنما هي بوجيز الكلام "أن نسعى بكل وجه، وبكل قوانا، إلى أن نحيا بموجب شرائع جميع وصايا المخلص المؤلهة". والغاية إنما هي "العودة عبر هذا التقيد بالوصايا، إلى الصورة الجديدة، الخليقة الجديدة الكاملة والروحية".

📖 خليقة النعمة التي أعطيناها من العلاء مجاناً، بفضل هذه البداية، أي بفضل حميم المعمودية المقدسة.

📖 أو هي أيضاً أن تدعو هذه الهبة صديقة لك. أو أخيراً أن تنزع آدم القديم بأفعاله وشهواته، وتليس الجديد والروحاني، وهو الرب يسوع المسيح، على حد قول بولس الإلهي: "يا بني أنتم الذين اتمخض بهم مرة أخرى، يصور فيهم المسيح" وأيضاً: "إنكم وقد اعتمدتم جميعاً في المسيح، قد لبستم المسيح".

فيلوكالية الأباء الزاهدين - كاليستوس وأغناطيوس - الجزء الأول - الفصل٤ - صفحة ٢٣ - ٢٤

فصل ٦

في أن النعمة الإلهية تُعطاها مجاناً في المعمودية المقدسة

فإذا طمسناها بالأهواء، يمكن أن تستعيدها
في ملء سناها بتتميم الوصايا

📖 إذ ذاك، في حضن الله، أي في غسل المعمودية المقدسة، نتقبل الهبة الكاملة من كل الوجوه، النعمة الإلهية. فإذا اتفق لنا، لاحقاً، بسبب سوء استعمال الشؤون الزمنية، واهتمامنا الأمور الحياة، وبسبب ضباب الأهواء، ان نطمس هذه النعمة، كما لا ينبغي أن نطمسها.

📖 فبإمكاننا، هنا ايضاً بالتوبة، واتمام وصايا العمل الإلهي، أن نسترد فوراً هذا النور البهيج الفائق الطبيعة، ونملكه مرة أخرى، ونعاينه في أصفى تجلياته.

📖 بيد إن النعمة تتجلى لنا بقدر يقظة كل منا في الإيمان، وقبل كل شيء بمؤازرة الرب يسوع المسيح ولطفه.

📖 وهذا ما يقوله مرقص الناسك، وإن المسيح بما أنه إله كامل، وهب المعمدين نعمة الروح القدس الكاملة، وليس لنا أن نضيف عليها شيئاً، ولكن هذه النعمة تُكشف لنا، وتُعلن بمقدار ما ندأب في حفظ الوصايا.

📖 وهي علاوة على ذلك، تهبنا الإيمان، إلى أن نبلغ في وحدته، مقدار ملء المسيح. فإذا قربنا ذواتنا، مجددين فيه بالميلاد الثاني، فهذا له ومنه، وكان فينا بطريقة مستترة.

فيلوكالية الأباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ الفصل٦ ـ صفحة ٢٧ ـ ٢٨

فصل ٧

في أن الذي يحيا حياته في طريق الله عليه أن يتقيد بكل الوصايا
وفي أنه يجب أن نخص أولى الوصايا وأهمها،
بالقسط الأكبر من العمل

📖 هذا العمل كله، مبدأه، وجذره، إنما هو كما قلنا، أن نحيا حياة مطابقة للوصايا الخلاصية. وأما الغاية والثمرة، فهما العودة إلى نعمة الروح الكاملة، التي أعطيناها بالمعمودية، وهي في داخلنا.

📖 فقد قيل: "إن الله لا ينكص عما يعطينا"، ولكن النعمة تغشاها الأهواء، ويجلوها {أي يعاد مجدها بـ} العمل بالوصايا الإلهية.

📖 إذا حفظنا جميع هذه الوصايا، قدر الإمكان، أتيح لنا السعي، بكل طريقة، إلى ان تُحرّر فينا تجلى الروح، ونعاينه جلياً جداً.

📖 "شريعتك" - يقول لله داود المغبوط – "مصباح لقدمي، ونور لسبيلي"، وأيضاً: "وصية الرب نقية تنير العيون"، وأيضاً: "سلكت في جميع وصاياك".

📖 ويقول الرسول الحبيب: "من حفظ وصاياه، أقام في الله، وأقام الله فيه". ويقول أيضاً: "ليست وصاياه شاقة".

📖 ويقول المخلص: "ومن تلقى وصاياي وحفظها أحبني. ومن أحبني أحبه أبي، ونجيء إليه، فنجعل لنا عنده مقاماً. ومن لا يحبني لا يحفظ كلامي".

📖 هذه الوصايا الأولى، وهي الأعم، وأمهات الوصايا الأخرى.

📖 نوعاً ما يجب أن نخصها بالقسط الأكبر من العمل. وهكذا نتمكن من أن نبلغ مع الله، أكيداً، الهدف الذي كنا قد توخيناه، وهو المنطلق الجيد، ونهاية المسعى، أعني تجلي الروح.

فيلوكالية الأباء الزاهدين - كاليستوس وأغناطيوس - الجزء الأول - الفصل٧ - صفحة ٢٨ - ٢٩

فصل ١٨

في أنه بالوصايا، وبالإيمان بالسيد يسوع المسيح يجب علينا إذا حان الوقت، ألا نوفر حياتنا في شيء

📖 في شأن ما أتينا على ذكره عليك، أن تعلم هذا أيضاً: "في سبيل وصايا السيد يسوع المسيح، المفيضة الحياة. وفي سبيل الايمان الذي يمر خلالها، علينا - متى حان الوقت - أن نبذل بفرح هذه النفس أيضاً. ومعنى ذلك: أنه لا يسوغ لنا أن نذخر حياتنا".



📖 وهذا ما يقوله أيضاً السيد الرب يسوع المسيح: "إن الذي يفقد حياته في سبيلي، وفي سبيل الإنجيل، فإنه يجدها". وعليك أن تؤمن بلا تردد، ولا تشك إن الإله - الإنسان يسوع المخلص ـ هو ذاته القيامة، والحياة، والطريق الى الخلاص. على حد قوله: "أنا القيامة، والحياة. من آمن يحيا وإن مات" وأيضاً: "من يجي مؤمناً لا يمت أبداً".

📖 وأيضاً: "إن الله بلغ من حبه للعالم، أنه جاد بابنه الواحد، لكيلا يهلك من يؤمن به، بل ينال الحياة الأبدية".

📖 وأيضاً: "وأما أنا فقد جئت لتحيا الخراف فيها الحياة".

📖 افعل إذن هكذا، إنس ما وراءك، وامتد الى الأمام. مع المسيح يسوع ربنا، ولا تلتفت الى الوراء.

فيلوكالية الأباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ فصل ١٨ صفحة ٦٥ ـ ٦٦

